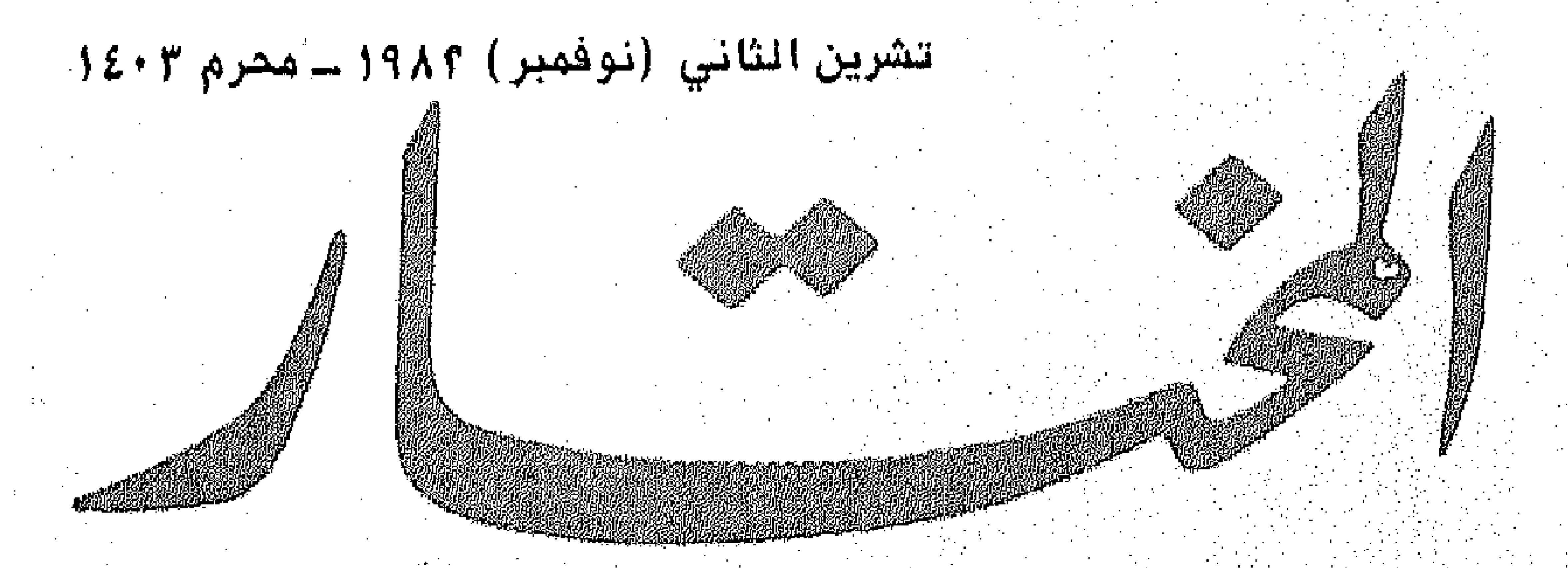
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ - محرم ١٤٠٣



المختار

من ريدرز دايجست

التدخين: النكهة اخطر من النيكوتين!

(ص ١٧)

خاص بـ"المختار"

(ص ١١٦)

من قتل نابوليون بونابرت؟

الزوج الرصين غير موجود

(ص ٧)

بنان ٥٠٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٧د - قطر ٦ر - البحرين
٦٠٠ف - السعودية ٧ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٧٠٠م - لنبيا ٧٠٠د - اليمن ٧ر - مسقط ٦٠٠ب - العراق ٦٠٠ف -
ونس ٥٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - أنكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢:٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest November 1982 No 48

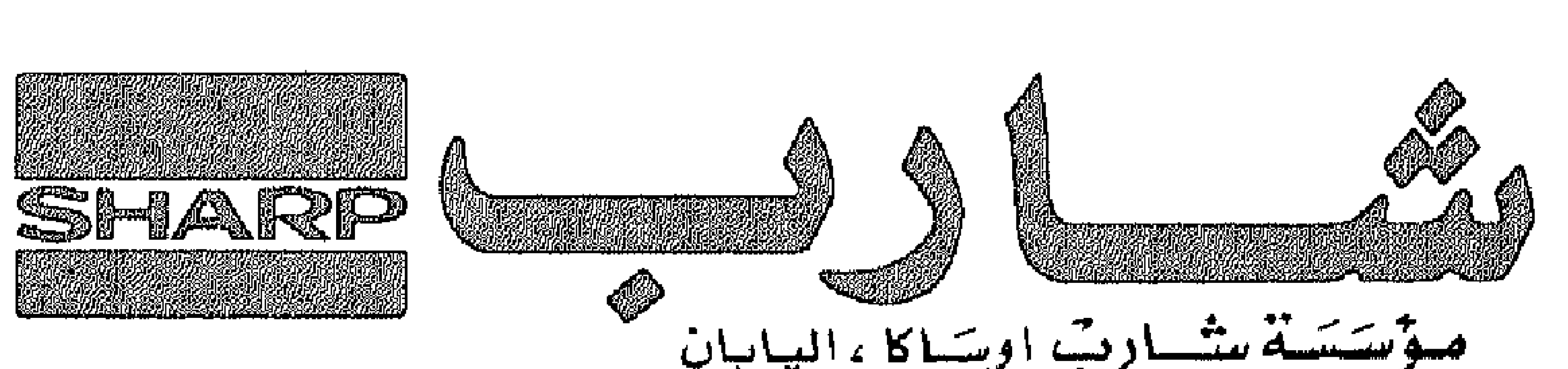
الصوت المدهش

البيانو . لايمكنك ان تضاهيه للمدى الديناميكي الواسع من الاصوات الواطئة الى العالية المتازة . ولاقتناص ذلك المدى وضعت شارب النظام المتعدد PMPO ٩٠ وات فى GF-767Z بمكبرين كبيرين للاصوات ذات التردد المنخفض فى نظام ٦ مكبرات للصوت بثلاثة اتجاهات . وكانت النتيجة واقعية الصوت الخفيض الذى لاتتصوره من جهاز نقال . وللموسيقى حسب الطلب اضف قدرات التسجيل / الاستماع الخلاقة اللامحدودة من الكاسيت المزدوج . انها جميعا تضيف الى النظام السمعي الكامل لمحبي الموسيقى المتشددين الذين يريدون واقعية الصوت من الواطيء جدا الى العالي .

راديو باربع موجات / مسجل شريط ستيريو كاسيت مزدوج

GF-767Z 90 W PMPO

MULTI-AMP SYSTEM SuperWoofer | Double Cassette | APSS | METAL | Soft-Touch Soft-Touch Operation



مؤسسة شارب اوساكا ، اليابان



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:



صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

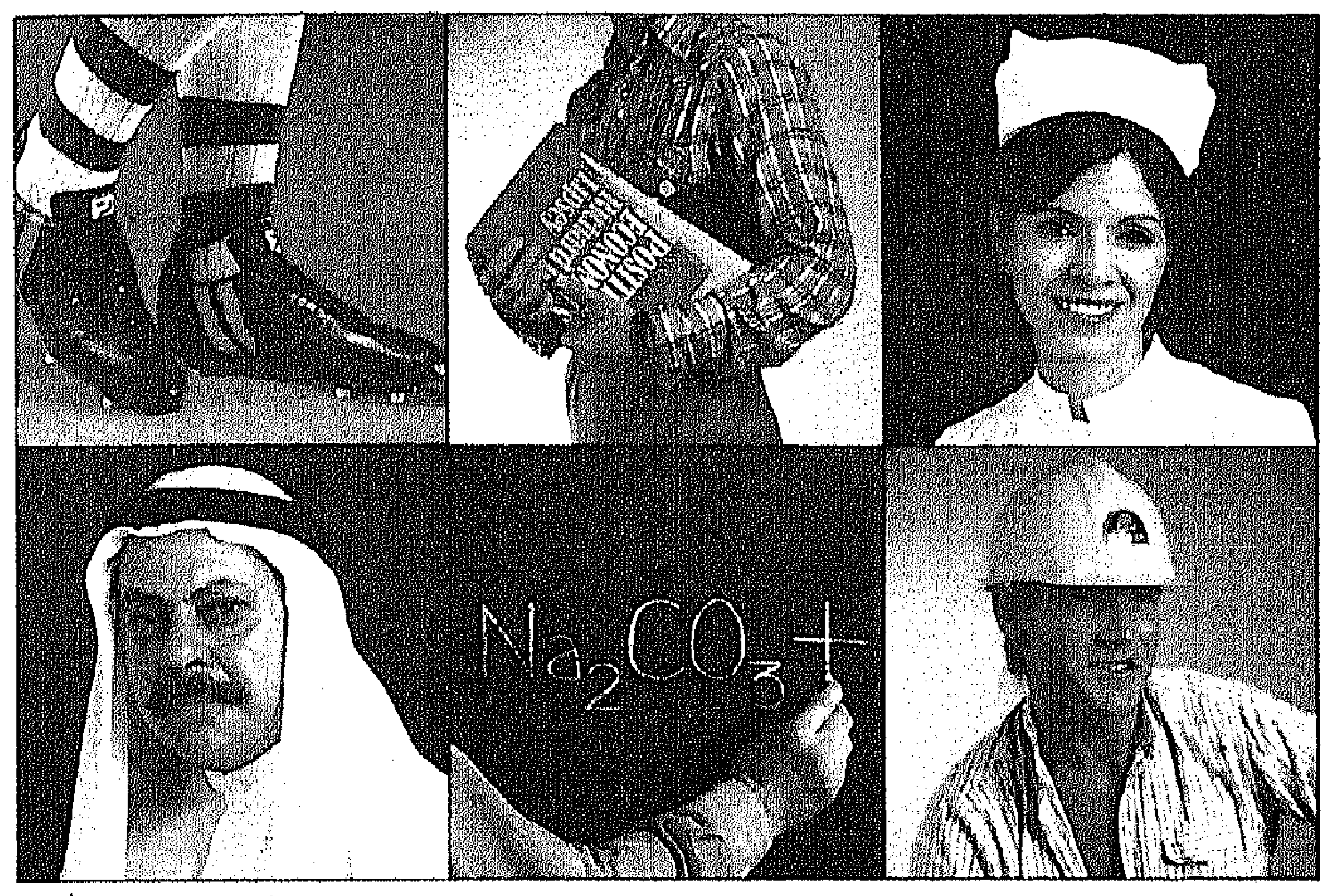
المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

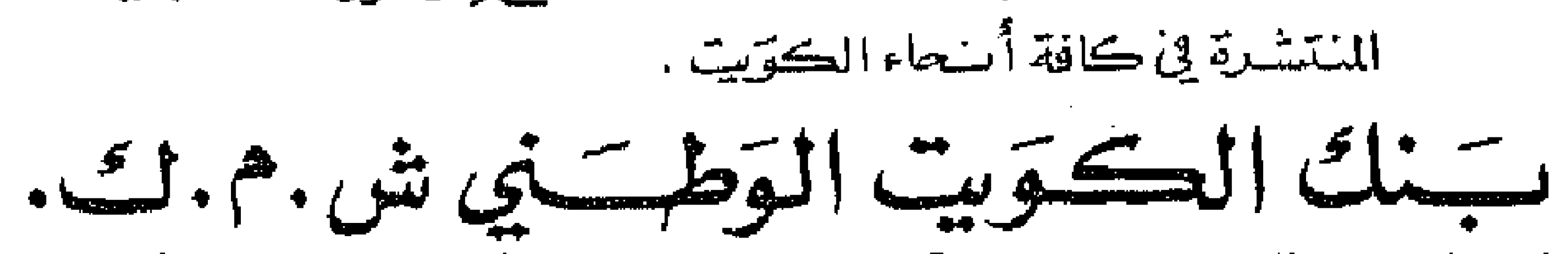
توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست - شارع المقدسي - بناية الشرتوني - ص: ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.**

ما هو الشيء المشترك بين هؤلاء الأشخاص ؟

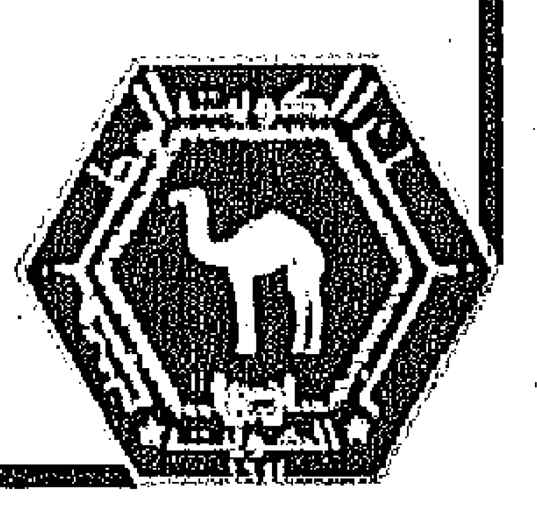


بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم إحتياجات مالية ومصرفية مختلفة، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني.
الجميع من أطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار.
حسابات إدخار، حسابات جارية، حسابات أمانات، قروض شخصية، حسابات إيداع، شيكات سياحية وشهادات إدخار،
جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً،
الخدمة التي تحتاجها.



لكافة احتياجاتكم المالية، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين المنتشرة في كافة أنحاء الكويت.



بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبدالله السالم - ص.ب ٩٥ صفاة، كويت - تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً) - برقياً: ناشيونال - تلكس ٢٢٤٥١.



المختـار

من ريـدرز دايـجست

مجـلة شهريـة

رئيس التحرير: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:

رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: الان دوليرو، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٢١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest, 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: سهرة أمواج بعد منتصف الليل (جون روبنسون)

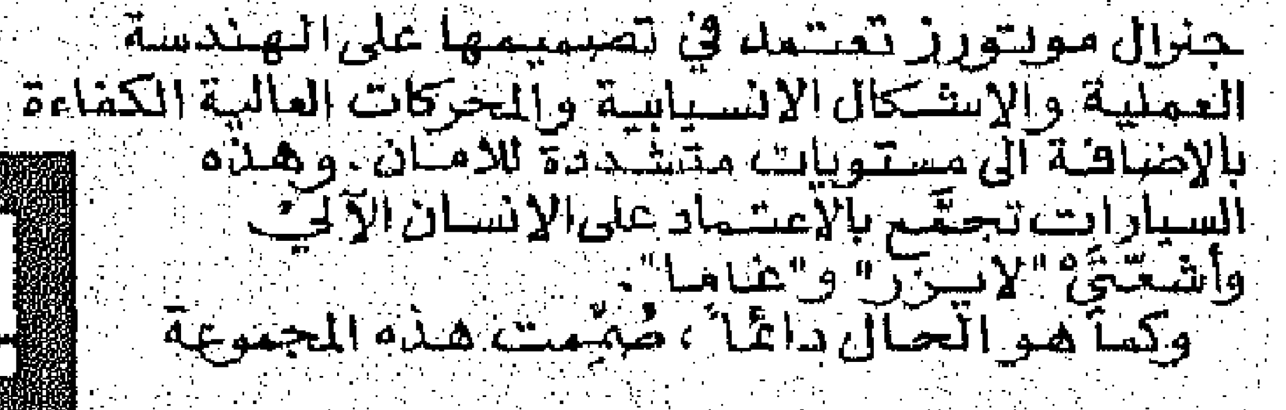
AL MUKHTAR min Reader's Digest

November 1982 No 48 (New Series) Vol. 4

اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.

أولد زموبيل ٩٨ ريجنسي | بويك سكايهوك | جي.ام.سي إس-١٥

لدخــــول عــــالــــم الحــــركــــة.



جنرال موتورز تعتمد في تصميمها على الهندسة العملية والإشكال الانسيابية والمحركات العالية الكفاءة بالإضافة الى مستويات متشددة للأمان. وهذه السيارات تجمّع بالاعتماد على الإنسان الآلي وأشعّتيْ "لايزر" و"غاما".
وكما هو الحال دائماً، صُمّمت هذه المجموعة لتوفر لك الراحة ومتعة القيادة.

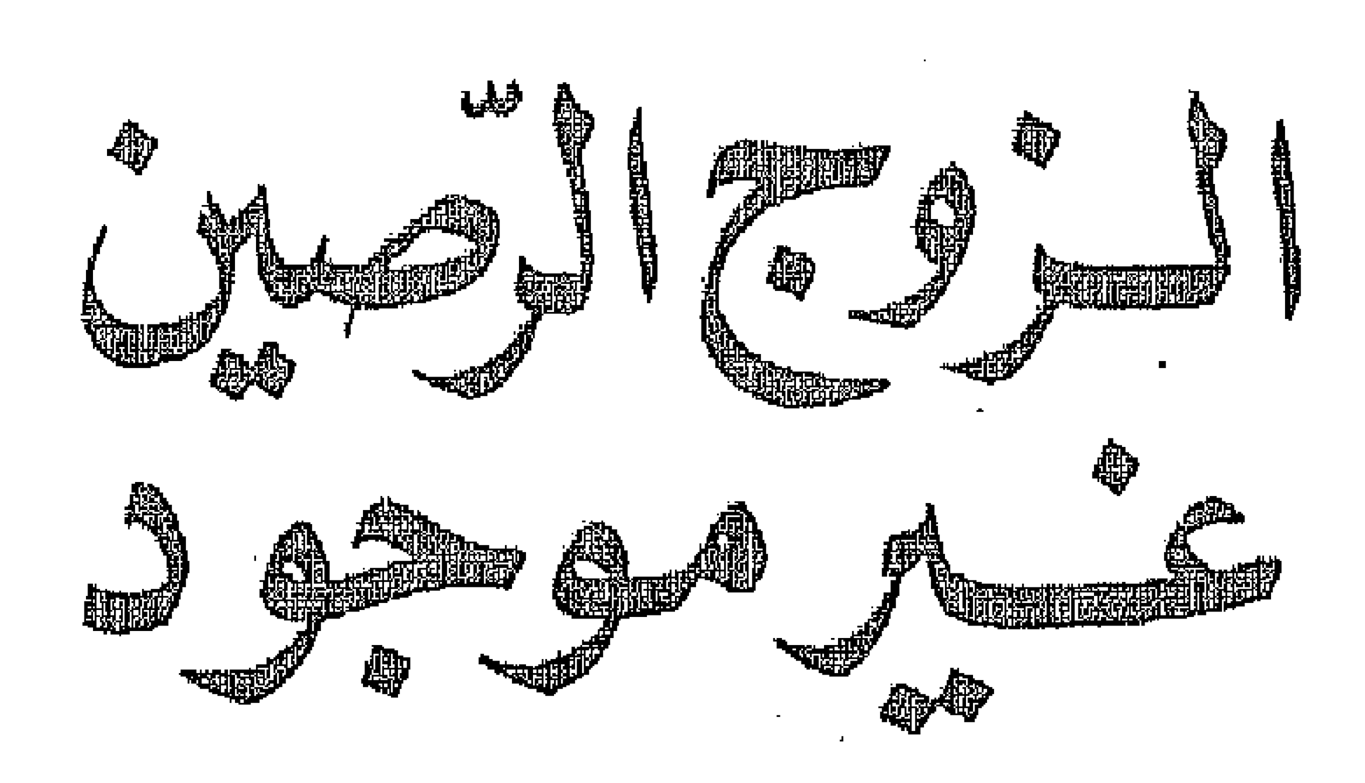
اعلاه ترى تشكيلة صغيرة من جيل السيارات الامريكية الجديدة من صنع جنرال موتورز.
فتعال الى مركز "ابكوت" في عالم والت ديزني أو قُمْ بزيارة الوكيل المعتمد لسيارات جنرال موتورز. في كلتي الحالتين، سوف تدخل عالم الحركة.

GM

THE NEW AMERICANS FROM GENERAL MOTORS

CHEVROLET PONTIAC OLDSMOBILE BUICK CADILLAC GMC

بيت صغير وعروسان شابان وعمة عجوز
تتربص بالزوج لتسجل
عليه ادنى هفوة



كانت زوجتي وعمتها سنثيا التي جاءت لزيارتنا غارقتين في احدى تلك المحادثات الحميمة التي تجري بين القريبات والتي لا يفقه كنههااي غريب متطفل،واخيراً عزفت عن متابعة الحديث ورفعت اطباق الحلوى عن المائدة واخذتها الى المطبخ.

وفيما انا اغسل الاطباق اسقطت سهواً ملعقة في مصرف القمامة، وأدخلت يدي في الفوهة لاخراجها، كما رأيت زوجتي تفعل مراراً منذ زواجنا قبل خمسة أشهر. لكن يدي اضخم من يد زوجتي، ولذا علقت.

وفكرت في الموقف ثم ناديت زوجتي لتحضر لي وعاء الزيت. وهكذا زيتُ يدي وتمكنت من تحريرها. بعد ذلك عدنا الى المائدة حيث وجهت العمة سنثيا سؤالا الى زوجتي متجاهلة حضوري: "ماذا اراد ان يفعل بالزيت؟"

ترددت زوجتي بالجواب، فسارعت الى شرح الوضع قائلا: "لقد علقت يدي في فوهة مصرف القمامة."

رفعت العمة سنثيا حاجبيها دهشة. اما زوجتي فخفضت رأسها حياء ولم تفه بكلمة.

في ما بعد، حين كنا وحدنا، قالت زوجتي: "اتمنى ان تكون اكثر حذراً مع العمة سنثيا. فهي لم تألفك بعد."

ـ أؤكد لك اني لم أدس يدي في الفوهة عمداً.

"كل ما أعنيه انك تتصرف بانفعال. فالعمة سنثيا بمثابة ام اخرى لي، وهي تجشمت مشقة هذه السفرة لكي ترى اي نوع من الرجال تزوجت. كانت دائماً تقول ان آمن طريق للمرأة هي ان تتزوج رجلا رصيناً."

صحت مغضباً: "اتراها تظنني رجلا اهوج؟"

اجابت زوجتي بعد تفكير: "هي تعتقد انك غريب الاطوار. فمباشرة بعد وصولها امس رأتك تغرز عصا في الارض حول المرجة الخضراء."

- كنت افعل ذلك لأفتح ثقوباً أسقط فيها حبوب الزرنيخ، فالمناجذ تتلف إعشاب المرجة.

"حسناً، يجدر بك ان تفسر مثل هذه الاشياء للعمة سنثيا. لا تنسَ أنها تعيش في المدينة."

بعد ليلتين أرقت واستعصى علي النوم. وفيما انا مستلق على فراشي قرابة الثانية فجراً افكر في طريقة مجدية لتمضية وقتي، تذكرت ان الورود النامية قرب الرواق الامامي تحتاج الى تشذيب. فارتديت معطفاً وانرت الرواق، ثم احضرت المقص من القبو.

استغرقت عملية التشذيب ٤٠ دقيقة، اعدت بعدها المقص الى القبو. واذ توجهت الى الباب الامامي المغلق، تذكرت اني تركت مفاتيحي على المنضدة قرب السرير. وكانت جميع نوافذ الطابق الارضي مقفلة باستثناء نافذة غرفة الضيوف التي فتحتها العمة سنثيا قبل أن تأوي الى فراشها. ودنوت من النافذة وأصخت السمع. كانت العمة سنثيا تشخر.

تسلقت الجدار ووقفت على عتبة النافذة. ثم ادخلت قدمي في الظلام لتثبت على الطاولة الخشبية تحت النافذة في الداخل. ما لم أكن اعرفه هو ان العمة سنثيا وضعت فوقها مجموعة من قوارير الدواء وكأساً كبيرة من الماء.

انقلبت الكأس والقوارير محدثة جلبة من الرنين والقرقعة وخرير الماء المندلق. وتحول شخير العمة سنثيا شهقات مجفلة ثم دمدمات هلعة.

واشعلت النور وفمها يرتجف وعيناها جاحظتان في وجهها الناحل، فقلت لها محاولا أن أهدىء من روعها وقدمي ما زالت متدلية تحت النافذة: "هذا أنا يا عمتي سنثيا. لقد اقفلت الباب وانا فيالخارج." وهنا تذكرت نصيحة زوجتي بضرورة تفسيرالامور، فأضفت:"كنت أشذب الورود."ولم تقل العمة سنثيا شيئاً، بل استمرت تحدق الي بعينين زائغتين.

في اليوم التالي رأيت زوجتي تعد القهوة في المطبخ وهي تلتقط دموعها بمحرمة، فسألتها: "كيف حال العمة سنثيا؟"

فتنهدت قائلة: "انها تحس بآلام في الصدر.سآخذها الى الطبيب." ثم نظرت الي باستعطاف وسألتني: "هل ذلك صحيح انك تسللت من نافذة غرفتها عند منتصف الليل؟"

- نعم، لم أقدر ان انام...

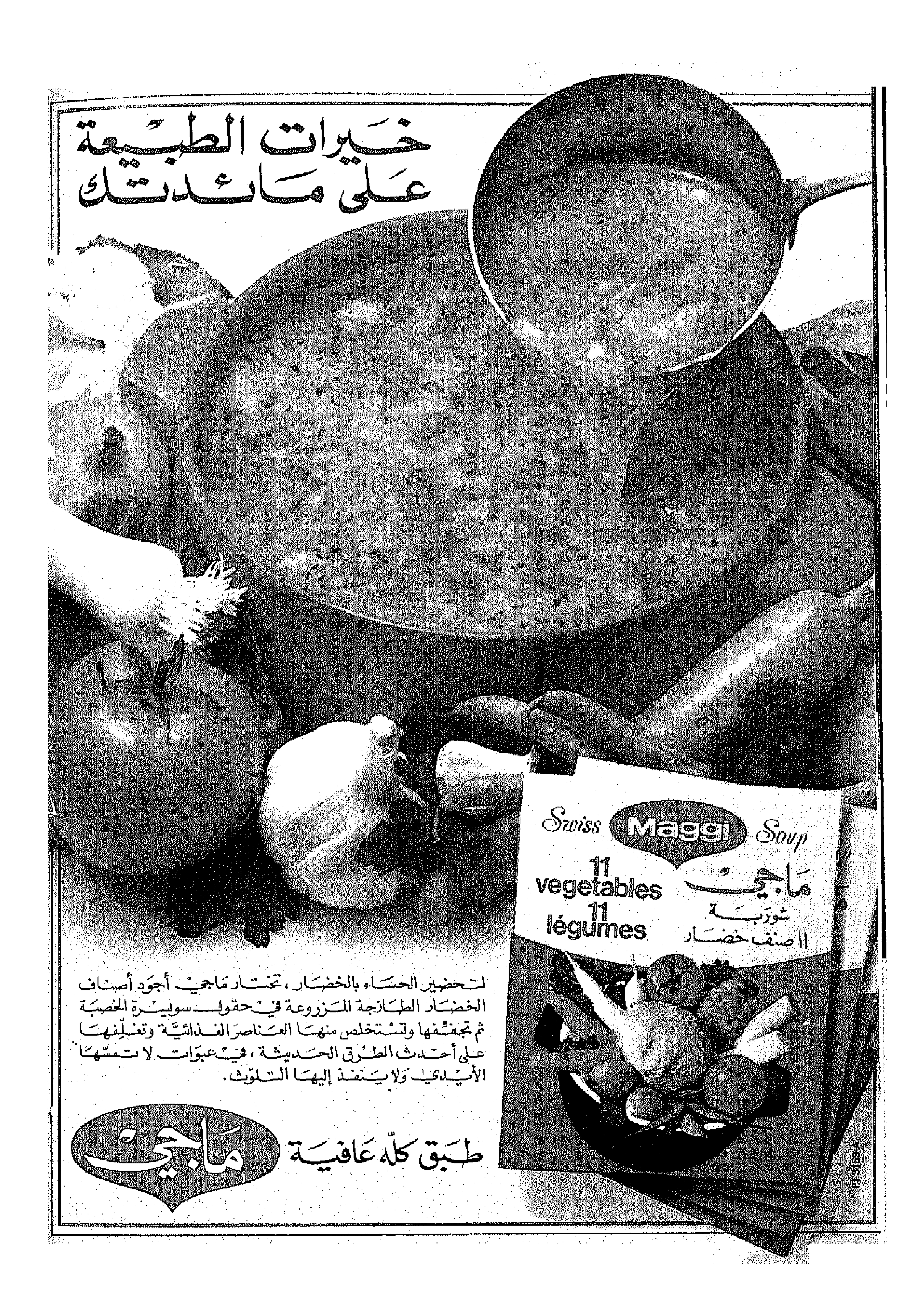
"أتراك تفعل ذلك عن قصد؟"

- هذا سخف، كنت أشذب الورود.

وطوقتها بذراعي مهدئاً.

وصف الطبيب للعمة سنثيا دواء واوصاها بأن تلزم الراحة.ولذا مكثت في سريرها حتى نهار السبت وهو موعد رحيلها. وأصيبت زوجتي بزكام شديد، فتوليت انا أيصال العمة سنثيا الى المحطة. ولما كان مستحيلا ايقاف السيارة قرب رصيف القطار، ساعدتها على الترجل ووضعت حقائبها بجانبها وقلت لها اني سأعود حالا.

استغرق بحثي عن موقف لسيارتي


خيرات الطبيعة
على مائدتك
Swiss Maggi Soup
11 vegetables
11 légumes
ماجي
شوربة
١١ صنف خضار
لتحضير الحساء بالخضار، تختار ماجي أجود أصناف
الخضار الطازجة المزروعة في حقول سويسرة الخصبة
ثم تجففها وتستخلص منها العناصر الغذائية وتغلفها
على أحدث الطرق الحديثة، في عبوات لا تمسها
الأيدي ولا ينفذ إليها التلوث.
طبق كله عافية
ماجي

وقتاً طويلا ٠ واخيراً تمكنت من حشرها طولا في فرجة ضيقة بين سيارتين وعجزت عن فتح اي من البابين نظراً الى ضيق المجال عن جانبي السيارة٠ لذا قررت ان ارفع النافذة الخلفية وأحبو خارجاً منها فوق الصندوق الخلفي٠ لكن السحاب الذي يثبت النافذة في مكانها علق، ولم ينفتح من النافذة سوى نصفها٠ وكانت الفتحة كافية لخروجي، لكني لم احسب حساباً للمعطف السميك الذي كنت ارتديه بلا داع في ذلك اليوم الدافيء٠ وفيما انا احاول ان انزلق خارجاً ، علق جسمي في الفتحة٠

وكنت على وشك الصياح طالباً النجدة عندما رأيت القطار يتحرك٠ وبقيت في مكاني محشوراً في فتحة النافذة أحدق الى وجوه المسافرين الذين تركزت ابصارهم عليّ وانا في هذا الوضع الغريب٠ واخيراً لاح لي وجه العمة سنثيا بسحنتها المجعدة الملتصقة بزجاج النافذة٠ يبدو انها تمكنت بطريقة ما من ركوب القطار٠ وهي لم ترد على ابتسامتي المرحة ولا على تلويحي، بل أشاحت بوجهها عني حالما رأتني٠

اخبرت زوجتي بما حصل لي وحدثتها عن عامل السكة الحديد الذي تلطف بمساعدتي ودفعني الى داخل سيارتي٠ ثم قلت لها : "هل يجدر بي ان اكتب رسالة لطيفة الى عمتك اوضح فيها ما وقع لي؟"٠

قالت زوجتي مستعطفة: "كلا، ارجوك الا تفعل٠"

وفي نهاية الاسبوع لاحظت ان زوجتي تنظر الي من فوق حافة كتاب كانت تقرأه وهي جالسة على كرسيها فوق المرجة الخضراء٠ كنت على سطح البيت اسقط حجاراً في المدخنة لأدمر عش سنجاب يسدها٠

وبعدما نزلت عن السطح قلت لها : "اظنك كنت تتساءلين عما أفعل٠"

هزت زوجتي رأسها نفياً بتصميم قاطع٠ ففهمت ماذا تعني٠ العروسان يحتاجان الى وقت ليعتاد كل منهما تصرفات الآخر٠ وعلى الرجل ان يكون صبوراً٠

■ هاريسون كيني

شباب غير دائم

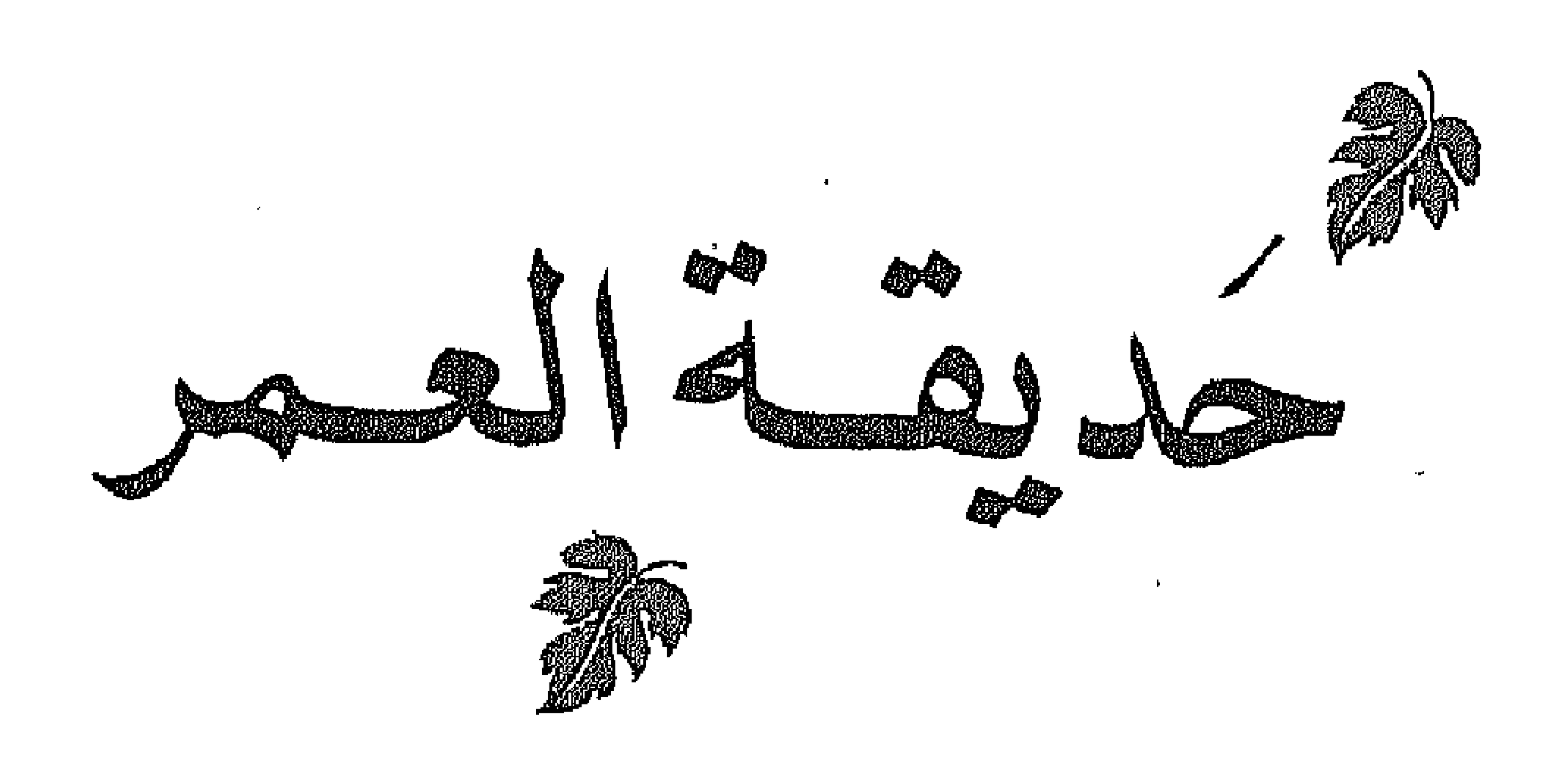
من باب التعارف والزواج في صحيفة "امرأة موظفة تبحث عن رجل فوق الخامسة والخمسين، لا يدخن ولا يشرب ولا يظن أنه في الخامسة والعشرين٠"

ف٠ش٠

من صحيفة يومية:"رجل من البروليتاريا يبحث عن فتاة بورجوازية٠الهدف: صراع الطبقات"٠

ف٠ف٠و٠

الريح تضرب الزهر في الحديقة،
ولكن اذا افلحت هذه الكائنات
الضعيفة في التشبث بالارض،
فالعجوز يمكنه الصمود أيضاً



حديقة العمر

وقفتُ ذات يوم في رواق منزلنا وحفيدي الى جانبي، ننظر الى الخليج النهري الصغير أمامنا. والعادة، لدى انحسار المد، أن تنكشف صخور الشاطىء وتصعد ذكور الفقمة واناثها من المياه الباردة لتنعم بدفء الشمس.

هكذا كانت الحال عندما وقفتُ وحفيدي هناك. ورأينا فراخ البط تجذف في المياه الضحلة، وقد عجّ الفضاء بأسراب النورس ومالك الحزين والغراب والقرقف. هذه كلها كانت تعلن مولد الربيع مرة اخرى.

تلك الحياة والحركة كانتا أمراً غريباً ومختلفاً بالنسبة الى حفيدي الذي يسكن مدينة اخرى بعيدة. وأعطيته منظاري القديم، فوضعه على عينيه وراح يتابع جماعات الفقمة والبطّ والنورس. وما لبث، كما الاطفال، أن عكس اتجاه المنظار، فاذا بكل ما كان قريباً يغدو بعيداً. ويبدو أن ذلك أمتعه، فضحك وهو يشير بيده قائلا: "تلك الفقمة تبعد مليون كيلومتر."

أجل! انها النظرة البعيدة الى الاشياء. عينا الطفل لا تستريحان الا عند الافق. وهو، اذا سرّحهما، تراءى له ما بت اعجز عن رؤيته. ووقف يقول: "عندما أكبر، سأصبح قائد فريق رياضي،

وبعد ذلك اغدو طبيباً." وهذا يعني بعد عشرين سنة، بعد خمس وعشرين سنة، بعد أربعين سنة... آه الاطفال! أن التقدم في السن يسلبنا هذه المباهج وهذه الارقام.

اننا، معشر الشيوخ، نحمل المنظار كي يقرب الينا الاشياء البعيدة. ونحن نخطط لهذا اليوم أو ليوم غد، وللشهر التالي أو للسنة المقبلة في أقصى حد. لكن ثمة شرطاً يلازم كل خطة نرسمها: "اذا جرت الامور كما يُرام".

والحق أن ما يملأ أفكارنا هو الايام الخوالي بحلوها ومرها، بانجازاتها وخيباتها، بما كان ينبغي أن نفعله اليوم وأجلناه الى الغد.

الغد؟ ترى كم غداً بقي لنا؟ أليس في غد يترصد لنا الموت، مثل هوة لا قرار لها؟

عرس الالوان — وقت طويل انقضى بعد انتصاف الليل، وها هو العجوز الذي تمر في ذهنه هذه الافكار يجلس وفي حضنه كتاب. غير أنه يحمل الكتاب ولا يقرأ. انه يحدق الى المصباح بجانبه. الليل بارد، يبث فيه قشعريرة تخترق ملابسه الليلية الى الجلد والعظم.

ويعسر على العجوز النوم في بعض الليالي، خصوصاً اذ يشتد البرد شتاء وتغدو الارض زلقة في الخارج. وهذا يسلبه فرصاً كثيرة للرياضة. فأقل سقطة على الثلج من شأنها ان تكسر وركه او تسبب له ذات الرئة أو تجلب نهايته. غير أنه، في حداثته، كان ينظر الى الكبار ويعجب للضجة التي يثيرونها حول صحتهم. لقد عاشوا حياتهم وربوا أولادهم، فلماذا يطلبون العمر المديد؟ وأي مهمة بقيت لهم؟

يفكر العجوز في هذه المسائل ثم تلوح له زجاجة الشراب. عندما تكون الزجاجة ملأى، ففي امكان المرء الاسراف في تعاطيها ودعوة الآخرين الى مشاركته في الشرب. أما الحياة للمتقدم في السن فهي كالقطرات الاخيرة التي بقيت في قعر الزجاجة: ثمينة، عزيزة. "أجل،" يقول وهو يهز رأسه، "انها هكذا حقاً. وهي تغدو أثمن يوماً بعد يوم."

ويتنحنح العجوز في كرسيه. وكنحلة الحدائق التي تطير من زهرة الى اخرى، هكذا تطير به الذكريات الى حفلة ميلاد او عيد أو جنازة قبل سنوات كثيرة. ثم تحمله الذاكرة الى امسية في شهر سبتمبر (ايلول) الماضي حين وقف عند طرف حديقته المزروعة أزهاراً. والحق أنها ليست حديقته هو، بل حديقة زوجته. ففي وسعها أن تبعث الزهر في التراب العقيم.

ذلك المساء البارد في أواخر الصيف، رفع العجوز عينيه بعيداً الى التلال. هناك رأى القمم تستحم في حمرة الشفق وقد تدلت منها سُحُب وردية قاتمة نشرت ملاءة رقيقة فوق الوادي. وسمع هزيم رعد آتياً من وراء الجبال. وانخفضت عيناه لرؤية ذلك العرس من الالوان عند قدميه.

وها هو الآن غارق في بحران من الافكار، حمل اليه كل ذكرياته الماضيات... يا له من زمن قُلّب!



صَبَاحَ الخَيْرْ!
NESCAFÉ
نسكافه
كوبٌ من نسكافه مع الحليب، في الصباح
وفي أي وقت، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه: خلاصة القهوة اللذيذة، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية، سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2959

ما الذي يمنع عاصفة من أن تهبّ الليلة، وأن تسوط الريح سيقان الازهار وتخنق الحياة في وجوه الكائنات الهوائية؟ ولكن ليأتِ الرعد والبرق والمطر الغزير. فهذه لن تقوى على سحق تلك المخلوقات التي ستعود مع الصباح.

تلك الأمسية وهو في حديقته يتأمل جمال العالم عند قدميه، جاءته هذه الفكرة: اذا افلحت هذه الازهار الضعيفة في التشبث بالارض، فهو كذلك سوف يفعل.

كنزة اخرى - وتقول لي زوجتي: "لا شك في أنك كنت تتنهد."

- أحقاً تقولين؟ لا علم لي بذلك!

نجلس معاً في المساء، أنا وزوجتي، هي على مقعدها وأنا على مقعدي. انها تحوك لي كنزة اخرى من الصوف. وأتساءل عن عدد الكنزات التي حاكتها لي طوال هذه السنوات. لقد لبستها كلها، وبقيتُ أرتدي بعضها حتى بعدما نسلت خيوطه. ولو كان الامر عائداً الي لما تخليت عن أي منها. فهي كلها عزيزة لانها من صنع زوجتي.

وأحدق اليها. لقد مرت سبع وأربعون سنة على زواجنا. أيعقل أن تكون تلك السنوات كلها انقضت وهي الى جانبي، تهب الى معونتي كلما دعت الحاجة؟

لقد كانت رائعة الجمال. شعرها كان في لون القمح. وكحقل قمح تحت نسيم الصيف كان شعرها يطير فوق رأسها ويستريح فوق عنقها وعلى الكتفين وقد استحالت أطرافه كالخواتم. وكانت بشرتها فاتحة اللون، على بعض من الحمرة الطبيعية في الصيف وفي الشتاء. وقد زادها ذلك جمالا على جمال.

وتتوقف سنارتاها عن الاصطفاق. انها تنظر اليّ الآن.

وتسأل: "يجب أن تكتب الى ابننا. لقد مرّ شهر كامل على وصول رسالته الطويلة".

ابننا!

- أجل! سأكتب اليه هذا المساء.

"وشجرة البتولا تلك في الحديقة؟ اتودّ التأكد من موتها قبل أن تقطعها؟"

- أتظنين أنها ماتت؟

"حسناً. انّ ورقة واحدة لم تنبت فيها خلال فصلي الصيف الاخيرين." تقول هذا بسخرية.

أما أنا فأبتسم قائلا: "سأقطعها في الصباح."

- أجل! ثمة أمر آخر...

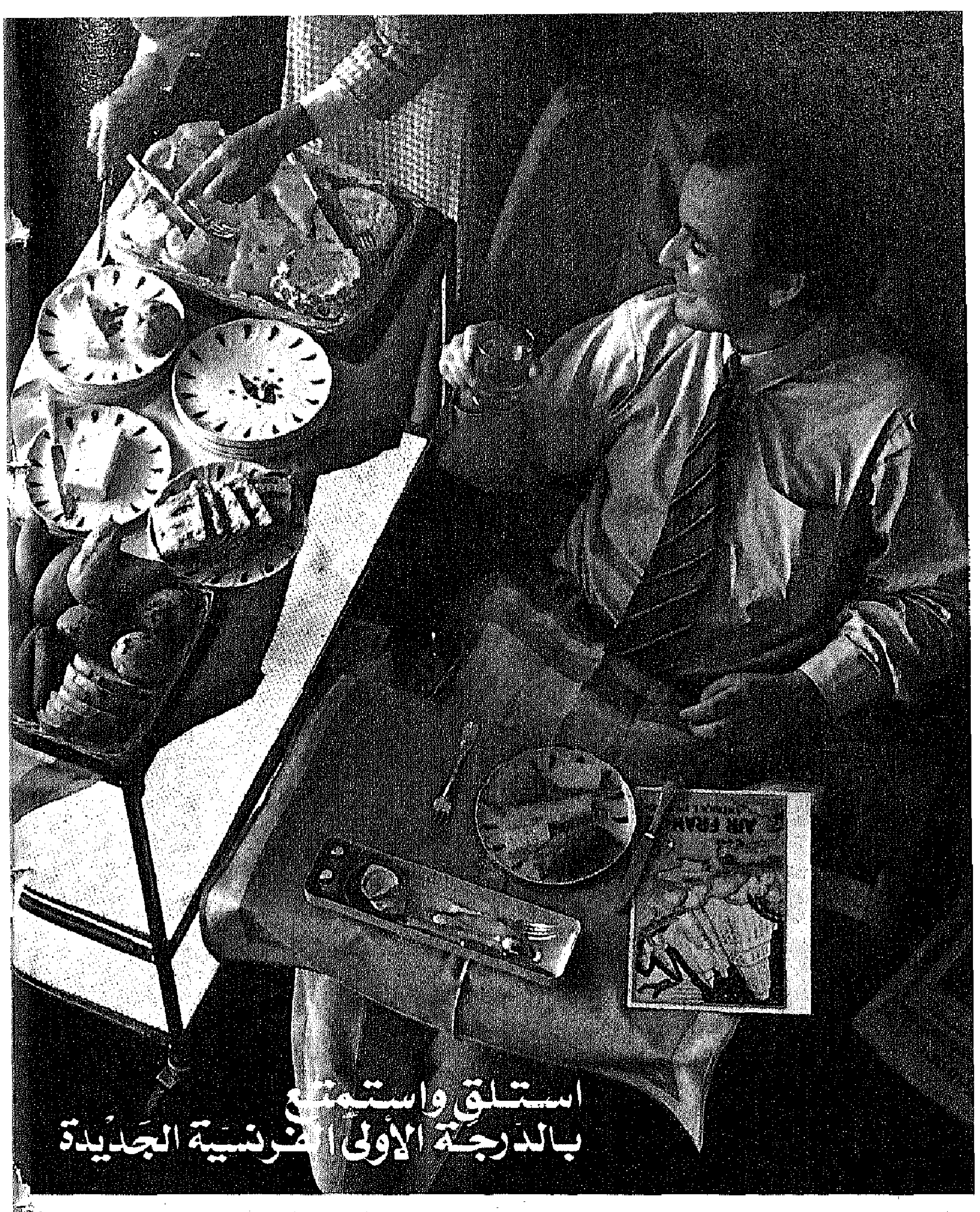
وأقاطعها شاكياً: "ان قلع الشجرة وقطعها هو كلّ ما استطيعه."

وتجيب برقة: "أعرف هذا. لكنّ هناك أمراً واحداً آخر: لقد طال الشعرُ على رأسك وكان ينبغي قصه قبل اسبوعين."

ونضحك معاً.

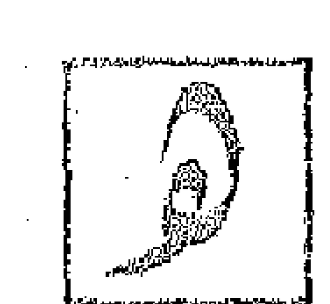
الافق... الافق! لا تنظر اليه بعينيك العاريتين، بل خذ المنظار من حفيدك وضعه كما يجب كيما يقرب اليك الاشياء البعيدة. اكتب تلك الرسالة. اقطع الشجرة. قصّ شعرك. لا تتأسف لحالك. ولا تنسَ: صباح غد ستبقى الازهار هناك، حيث هي.

■ **جيمس ماكراكن**


استلق واستمتع
بالدرجة الأولى الفرنسية الجديدة

النكهة في السيجارة قد يفوق ضررها ضرر القطران والنيكوتين

تغزو الاسواق اليوم اصناف متنوعة من السجائر الملطفة ذات المحتوى المنخفض من القطران والنيكوتين. الا ان المواد المطيبة والمعطرة التي تضاف الى تبغ هذه السجائر قد تفوق في اذاها هاتين المادتين



هل يمكنك ان تسمي سلعة تتسبب او تساهم في موت مئات الالوف سنوياً وتبقى محتوياتها سرية، لا تخضع لأي من الانظمة الصحية السارية؟

الجواب طبعاً هو: السيجارة.

هناك كثير من البضائع التي يشكل سوء استعمالها خطراً على الصحة. ولكن من العسير أن تجد سلعة توازي في خطرها منتجات التبغ. ان التدخين، بأي مقدار يكن، لا يمكن اعتباره صحياً. فحتى السيجارة الواحدة تنطوي على اخطار.

لهذا السبب، وطوال ثلاثة عقود، ظلت السلطات المسؤولة عن الصحة العامة في انحاء العالم متوجسة خيفة من السرية التي تحيط بالمواد التي تضاف الى التبغ. فعندما يشتري

المواطن طعاماً معلباً او دواء من صيدلية، تكون محتويات هذه المواد بحكم القانون مدونة على الورقة الملصقة. لكن لفائف التبغ التي هي دائماً مضرة بالصحة، لا تحمل علبها اي معلومات عن محتوياتها. والآن برزت اسباب جديدة للقلق مما يمكن ان تحويه هذه اللفائف.

بدءاً من اواسط السبعينات، واستجابة لطلبات المدخنين المستمرة لخفض الاخطار الصحية، اخذت تظهر في الاسواق اصناف "ملطفة" (لايت) ذات محتوى مخفض من القطران والنيكوتين. ان خفض كمية القطران في السجائر آمر سهل، ومن الوسائل المعتمدة في ذلك مزج الدخان بالهواء عن طريق فلتر مهوّى او ورق مثقّب، وتضييق قطر اللفافة وحشوها بكمية اقل من التبغ، واستعمال فلتر اطول، وزرع تبغ ذي محتوى اقل من القطران. لكن الفلتر وسواه من الاساليب تؤثر في النكهة، كذلك يصبح الدخان اكثر جفافاً ويفقد الكثير من جوهره. يقول فريدريك تريست، خبير النكهة في صناعة التبغ الامريكية: "المدخنون العاديون اعتادوا مقداراً معيناً من النكهة والرائحة. وفي حال التبغ ذي المحتوى المخفض من القطران، تبقى امام المصنعين طريقة واحدة لتوفير هذا المقدار للمدخنين وهي تقديمه اليهم عن طريق المطيبات والغطور، وبعبارة اخرى عن طريق اضافة مواد اخرى الى التبغ."

عام ١٩٧٩ ساور القلق الدكتور جوليوس ريتشموند، مساعد وزير الصحة في الولايات المتحدة، من جراء الكيميائيات الاصطناعية والمواد الطبيعية التي تضاف الى التبغ. ومع ان المواد الطبيعية تنتقى عموماً من مركبات تعتبر غير خطرة على البشر، فأن تقريراً عن التدخين والصحة أعده مساعدو الدكتور ريتشموند اشار الى ان هذا الاعتبار "لم يضمن ان المنتجات المهيأة على هذا النحو تبقى مأمونة بعد احتراق المواد التي تتألف منها."

وبما ان الاصناف ذات المحتوى المخفض من القطران تستلزم اضافة المطيبات المنكهة، ساور الدكتور ريتشموند شك في ان المنتجين ربما ادخلوا على التبغ مقداراً من الضرر يفوق ما انتزعوه منه. ومن المعروف انه في اختبارات طلي الجلد سبب القطران في صنف واحد على الاقل من السجائر "الملطفة" عدداً من الاورام في حيوانات الاختبار يوازي ما سببه صنف يحوي أعلى مقدار من القطران. وهناك قانون في الولايات المتحدة يلزم وزير الصحة والخدمات الانسانية دراسة الاخطار الصحية المرافقة لتدخين السجائر التي تحوي مواد اضافية، وتقديم تقرير في شأنها الى الكونغرس (البرلمان الامريكي). وفي يوليو (تموز) ١٩٨٠ اخطر ريتشموند، بموجب هذه الصلاحية، ستاً من كبرى الشركات المنتجة للسجائر الامريكية بوجوب تسليمه "لائحة بالمواد التي تدخلها الشركات على الاصناف التي تنتجها."

سموم سرطانية ــ كانت هناك سابقة دولية لهذا الطلب. فقد طلبت حكومتا

كندا وبريطانيا تحديد محتويات الاخلاط السرية في الاصناف المنتجة محلياً، وحصلتا، في نطاق من الكتمان، على التركيبات المطلوبة. كما ان سلطات المانيا الغربية تراقب المواد التي تضاف الى السجائر.

ولم يكن الدكتور ريتشموند يطلب الاطلاع على اسرار تجارية، فكل ما ابتغاه كان لائحة بالمواد المضافة الى التبغ. لكنه تلقى ردوداً مهذبة خالية من اي معلومات محددة. وعلى اثر كتاب آخر أرسل الى هذه الشركات في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، وردت ايضاً اجوبة خالية من اي معلومات تفصيلية من شركتين هما: شركة التبغ الامريكية (اميركان توباكو) وشركة براون ووليامسون. فقد ارسلت الشركتان الى ريتشموند نسخاً من "لائحة الاضافات المسموح بها الى منتجات التبغ" وهي اللائحة التي نشرتها عام ١٩٧٥ اللجنة العلمية البريطانية المستقلة للتدخين والصحة، وهذه هيئة حكومية. ولم تذكر اي من الشركتين اذا كانت تستخدم هذه المواد المضافة.

حتى اللائحة البريطانية للمواد الموافق عليها، وهي تشمل نحو ٣٥٠ مادة، تضم عدداً من المواد التي تسبب السرطان في الحيوانات وقد تشكل خطراً على البشر، كالكومارين الذي يستخرج من نبات يعرف باسم ديبتاريكس (تونكا) او من اوراق الفانيلا البرية او يركّب اصطناعياً. وهذا يعطي دخان التبغ رائحة طيبة ومذاقاً يشبه طعم التبن المقتطع حديثاً. ولكن في اواسط الخمسينات، عندما اظهر الكومارين انه سام ويسبب تلفاً في انسجة الكبد واعضاء اخرى، شطبته دائرة الغذاء والدواء الامريكية من لائحة المواد التي تضاف الى الاطعمة والادوية "المعترف بأنها مأمونة."

وتتمسك الشركات الامريكية بهذه اللائحة في المواد التي تضيفها الى التبغ. وهي بدأت قبل سنوات قليلة تخفض استعمال الكومارين بعد الاجراء الذي اتخذته دائرة الغذاء والدواء. الا ان "الدليل الدولي لمشتري التبغ" للعام ١٩٨٢ يدرج اسماء ١١ مورّداً للفانيلا البرية، وعلى ذمة احد التقارير لا يزال الموردون يبيعون هذه المادة لشركات امريكية عدة.

بضع مواد مسموح بها في اللائحة البريطانية - مثل الكراميل والسكر المعدّل (نصف دكستروز ونصف ليفولوز) واليوجينول والغاياكول - هي اما مواد مساعدة في احداث السرطان واما انها تنتج مثل هذه المواد عند احتراقها او تدخينها (هذه المواد المساعدة تزيد كثيراً قوة المقادير الضئيلة جداً من المواد المسببة اصلا للسرطان). ويظن العلماء ان مادة اليوجينول ذاتها تسبب السرطان. اما خلاصة جذور الانجليكا المدرجة على اللائحة البريطانية فتحوي عناصر مسببة للسرطان، كذلك فان زيت قشر البرتقال يحدث اوراماً في الفئران. وعلى اللائحة البريطانية كذلك عدد من المواد، مثل دوديكان - ٥ - اوليد ونونان - ٤ - اوليد، التي تنتج مواد مسببة للسرطان عندما تسخن.

وعلى رغم ان اللجنة البريطانية تسرّعت الى مدى خطر في الموافقة على بعض السموم والكيميائيات المسببة للسرطان كمواد مسموح باضافتها الى السجائر، الا انها اظهرت حرصاً حكيماً في اعتبار واحد، اذ انها لم تقر الكاكاو وهو مطيب للتبغ عميم الاستعمال.

في اواسط السبعينات أجرى المعهد الوطني للسرطان في الولايات الامريكية اختبارات مختلفة على السجائر، ومن بينها صنف مطيّب بالكاكاو فقط تبين انه مسبب قوي للاورام. وفئران الاختبار التي طلي ظهرها بالقطران بعد ازالة الوبر عنه ظهرت عليها اورام جلدية. مثل هذه الاختبارات البيولوجية يفترض ان تشير الى الضرر الذي يصيب المدخنين. وهكذا، وعلى رغم ان مسحوق الكاكاو يوفر لنا شراباً صحياً، فأن دخان الكاكاو المحترق في اللفائف قد يكون خطراً.

ومع ذلك تبقى صناعة التبغ الامريكية مستهلكاً مهماً للكاكاو. ومن بين المطيبات الرئيسية التي يستخدمها مصنّعو التبغ، فان انواعاً مختلفة من الكاكاو تشتهر بصلتها ببعض اصناف السجائر الامريكية.

اسرار تجارية – المطيب الرئيسي الآخر في السجائر الامريكية هو عرق السوس. والواقع ان كل ما يستخرج من خلاصة عرق السوس في الولايات المتحدة، ومقداره ٥٥٠٠ طن سنوياً، يستهلك في صناعة التبغ. فهذه الخلاصة تعطي التبغ نكهة وتحفظه رطباً كما تحسن قابليته للاحتراق. وتحوي خلاصة عرق السوس حامض الغليسيريزيك وهو احد مصادر الهيدروكربونات الحلقية العطرة المسببة للسرطان.

السكر ايضا – سواء أكان مستخلصا من القصب ام الحبوب ام الشمندر ام الفواكه – هو مادة اضافية رئيسية في صناعة التبغ الامريكية ويؤلف نحو ٤ في المئة من وزن التبغ في معظم الاصناف التي تصنع في الولايات المتحدة منذ اوائل القرن العشرين. وعندما يحترق السكر مع التبغ فأنه يزيد في تكوين القطران. وهناك بعض اشكال السكر مثل الكراميل والسكر المعدل تنتج الكاتيكول عندما تسخن. وقد جاء في النشرات العلمية التي يصدرها ديتريتش هوفمان، مساعد مدير المؤسسة الامريكية للصحة، ان الكاتيكول هو المادة الرئيسية المسببة للسرطان المعروفة في دخان التبغ.

للاحتفاظ بالتبغ القديم قابسلا للتصنيع وابقاء السجائر طرية، تضاف الى التبغ مواد مرطبة ومن بينها على نحو رئيسي مركبات الغليسرول والغليكول. وقد جاء في تقرير لمدير الصحة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٩: "يرتاب الاطباء في ان مركبات الغليكول تزيد احتمال اصابة المدخن بسرطان المثانة."

والى ذلك يحوّل الاحتراق مركبات الغليكول مادة تدعى آكرولين، وهذه تخمد حركة الشعيرات الدقيقة في القصبة الهوائية التي تدفع بتحركها الدائم المواد المهيجة خارج الرئتين.

ونتيجة لذلك يزداد احتمال تعرّض المدخن للالتهاب الشعبي المزمن والانتفاخ الرئوي، وتصبح الرئتان معرضتين لفتك السموم والمواد المسببة للسرطان.

وهكذا نرى ان معظم المطيبات والمطريات التي نعلم انها كانت تضاف الى التبغ طوال السنوات السبعين الاخيرة هي خطرة او، بأحسن تقدير، مريبة في ما يختص بالصحة البشرية. ثم ما شأن النكهات الاصطناعية المختلفة والعطور التي تم تطويرها من اجل تحسين مذاق اللفائف الجديدة ذات المحتوى المخفض في القطران؟ أتراها أشد خطراً من المواد المضافة التي نعرفها؟

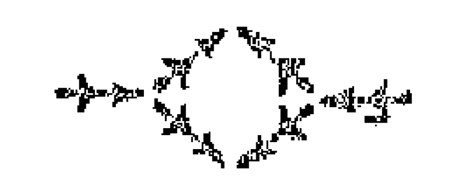
هذه هي الاسئلة التي طرحها الدكتور ريتشموند والتي لم يتلقَ اجوبة عنها.

لقد ترك الدكتور ريتشموند منصبه. وحتى هذا التاريخ لم يتابع خلفه الدكتور ايفريت كوب ابحاثه في شأن المواد التي تضاف الى التبغ. ولكن لم يسمح للموضوع بأن يضيع في مزالق الاهمال. فقد تولى الدكتور ادوارد براندت الابن، مساعد وزير الصحة، والدكتورة جوان لووتو، رئيسة مكتب التدخين والصحة في الوزارة، متابعة الطريق التي اختطها الدكتور ريتشموند. وهما يواصلان المفاوضات مع اصحاب صناعة التبغ. وقد عينت ست شركات تبغ رئيسية ممثلين لها هما المحاميان هوراس كورنيغاي رئيس مجلس ادارة معهد التبغ وستانلي تمكو من شركة كوفنتون وبورلنغ.

اجتمع كورنيغاي وتمكو غير مرة ببراندت ولووتو وقدما عرضاً بنشر لوائح بالمواد التي تضاف الى تبغ السجائر الامريكية. غير ان خطط صناعة التبغ معقدة وملأى بالتقييدات الهادفة الى حماية الاسرار التجارية. ويخشى رجال هذه الصناعة ان تضطر الحكومة الامريكية، بموجب قانون حرية الاعلام، الى افشاء ما تقدمه اليها الشركات من معلومات سرية.

ومهما يكن، يبدو ان بداية ما تحققت وعلينا ان نتمسك بالأمل بأن الحكومات لن تنثني عن ملاحقة هذا الموضوع الحيوي بالنسبة الى صحة ملايين البشر. وكما قال الدكتور ريتشموند في الكتاب الذي وجهه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ الى صانعي السجائر في الولايات المتحدة: "اذا كانت المواد المستعملة لا تشكل خطراً داهماً او طويل الأجل، فلتعلن هذه الحقيقة على الملأ. اما اذا كانت تشكل خطراً بالفعل، فلنقلع عن استعمالها."

■ والتر روس



مصلحة الرؤوس

وضعت الملاحظة الآتية على واجهة محل لقص الشعر: "نحتاج الى رأسك من أجل ازدهار مصلحتنا".

ا.ب.

مشاهد واقعية من الحياة تثبت ان المؤسسة الزوجية ما زالت في عافية

عمروا بيوتكم بالحبّ

وصل جهاد وسميرة الى الفندق منهكين. وكانت سميرة أعدت كلّ ما يلزم لحجز غرفة في الفندق وبطاقتين للحفلة الموسيقية ذلك المساء، وما فتئت طوال الطريق تخبر زوجها عن الاتصالات التي أجرتها في الفنادق قبل التمكن من حجز مكان.

وفي ردهة الفندق وقفا أمام الموظف المسؤول حيث عرفا، لخيبتهما، أن الحجز لم يتم. وسحب الموظف ملفاً من الدرج عثر فيه على رسالة سميرة التي تبين منها أنها ذكرت تاريخاً آخر.

وتقول سميرة: "كنتُ أظن أنّ جهاداً سيعطيني العقاب الذي أستحقه."

لكنه، عوضاً عن ذلك، طوقها بذراعيه وقال: "انزعي الهموم من رأسك يا حبيبتي. واخرجي لنبحث عن مكان آخر."

وأدركت سميرة اذ ذاك أنها تزوجت الشخص الذي لن يخذلها اذا هي أخطأت.

"أتذكر تلك الأمسية كلما تبادرت الى ذهني سيئات جهاد. وهي تذكرني حقاً بأني عثرتُ على الشخص الصحيح."

□ ترك كمال زوجته وأولاده ليتخذ له عشيقة. ألا أنّ سلوى، زوجته وأمّ أولاده، رفضت الطلاق، قائلة له انها تحبه وانه في أعماقه الدفينة يكنّ لها الحبّ.

وذات صباح، عقب ليلة خالية من العاطفة في أحضان عشيقته، قاد كمال سيارته الى منزله الزوجي وأوقفها خارجاً. ومن النافذة أمكنه أن يرى زوجته تعدّ الفطور وتلبس الاولاد للذهاب الى المدرسة. ويتذكر ذلك بقوله: "كانت تفعل ما في وسعها لتبقي حياة الاولاد وحياتها،

وحياتي أنا أيضاً، سليمة من الاذى."
وهزته تلك المثابرة حتى الاعماق. وفي ذلك اليوم نفسه طلب منها السماح له بالعودة الى البيت معترفاً أمامها بأنها كانت على حق وبأنه يحبها كثيراً.

□ نسيت عفاف موضوع المشادة بينها وبين زوجها، ولم يبقَ في ذاكرتها منها سوى أنها بدأت قبيل الفطور ولم تكن انتهت عندما همّ عادل بالانصراف الى عمله.

وصرخت فيه عفاف: "كيف يمكنك أن تدير ظهرك وتمشي؟ يجب أن نفضّ النزاع أولا."

وما كان من عادل ألاّ أن فعل ما لا يفعله معظم الرجال، خصوصاً اذا كان دافعهم الى العمل قوياً كدافعه. فقد خابر المكتب وألغى مواعيده كلها ذلك اليوم وقال لزوجته: "انّ علاقتنا أغلى من الوظيفة،" مبرهناً لها أنه على استعداد للتضحية بعمله من أجلها.

□ أُصيبت فاتن بمرض جلدي ترك لديها ندوباً وقتية يصاحبها صلع تامّ. الا أن ذلك لم يثنِ خطيبها عن اصراره على الزواج في شهر اغسطس (آب) كما كان مقرراً: "ربما متّ أنت أو متُ أنا. فلنحقق العهد قبل فواتَ الاوان."

وتقول فاتن ان العريس "ينظر اليّ كما لو أن المرض لم يفعل فعله فيّ. واذ يقسم على أن يحبني في المرض كما في العافية، وأن يكرّمني طوال حياتي، لا يمكنني أن أحبس دموع الفرح لمعرفتي أني اخترتُ الشريك المثاليّ."

□ بعيد احتفال هناء ومكرم بعيد زواجهما السادس، احترق منزلهما وبات رماداً. وما أن سُمح لهما بالبحث عن البقايا الضائعة تحت الرماد حتى هرعت هناء تفتش عن مجموعات الصور الفوتوغرافية. وركضت الى مكرم تزفّ بشرى العثور على الصور، فوجدته مكباً فوق حفنة رماد يرفع من تحتها رسائلهما المتبادلة في فترة الخطبة ويضعها بتؤدة في علبة بعد نفض الغبار عنها.

وتقول اذ تتذكر ما حصل: "عندما شاهدتُ زوجي راكعاً فوق الرماد، أيقنتُ أن واحدنا وُجد للآخر. فها نحن، أمام تلك المأساة العظيمة، نعطي الامور المعنوية أولوية على الماديات. ولما ركعتُ الى جانبه كي اساعده في انقاذ الرسائل، أدركتُ أننا لم نفقد شيئاً ذا أهمية."

□ هناك رغبة رافقت أنور طوال ماضيه، وهي أن يتسلق جبلا. وانطلق لتنفيذ رغبته يوماً، فسقط بالحبل عن علوّ مئة متر واصطدم رأسه بالارض. وعندما أخبرت زوجته بالحادث والخطر المحدق بزوجها، طرحت سؤالا واحداً هو الآتي: "عندما هوى، أكان صاعداً أم نازلا؟"

وأبلّ أنور من الحادث بعد أسابيع، وأُعلم برد فعل زوجته على خبر سقوطه. وهو يقول: "لقد هز تقديرها أعماقي. فهي نسيت خطر الترمل الذي يتهددها لتتأكد من أني انتصرتُ قبل أن أُهزم. وأني لن أنسى، ما حَييت، افتخاري بموقفها الذي ينطوي على الحبّ والشهامة."

□ جلس أحمد على المقعد الوثير قبالة النافذة، وهو المقعد الذي فرغت زوجته صباح لتوها من تلبيسه بقماش مخملي أنيق. وراح يحدق الى المطر ينهمر فوق أوراق الخريف. وملأه ذلك المشهد بالتأملات، واذا به يترك سيجارته تسقط سهواً على الغطاء الجديد وتحرقه.

وكان ذلك، بالنسبة اليه، رمزاً للعدمية التي تميز الحياة: أوراق الشجر تسقط في الخارج والغطاء يحترق في الداخل. وما أن رأت صباح ما حصل حتى مررت خيطاً في أبرة وجعلت تخيط البقعة المحروقة حتى استحالت زهرة جميلة ملونة.

ويقول أحمد: "عندئذ أدركتُ أن لديّ امرأة من شأنها أن تمسك بي وترفعني من هوة الليل المحيق." لقد عرف أنه تزوج امرأة ترتق ما تمزق وتعمر البيوت.

□ لا نكير أن بعض أعمق المشاعر تثيره أصغر الامور. فحين مُنع الزوج من حضور عملية ولادة طفله، وجد طريقه الى غرفة التوليد متنكراً في زيّ معاون طبي. وهناك رجل آخر سمع زوجته تتكلم في نومها عن رقائق الحلوى، فهرع الى محلّ الحلويات في الصباح الباكر واشترى لها ما اشتهته في أحلامها.

وقد عُهد الى هيام في تحضير حلوى بالشوكولاته لحفلة عشاء مشتركة. لكنّ القالب الذي صنعته جاء غريباً في شكله ومذاقه.

ولما ذهبت وزوجها الى العشاء ووضع القالب على الطاولة، حمله زوجها حازم قائلا: "انه أشهى ما ذقتُه في حياتي. لذلك اسمحوا لي بأن أتناوله كله، واني لن آكل شيئاً سواه."

وتتذكر هيام ما حدث باعتزاز: "جلس حازم في زاوية من الغرفة وشرع يأكل قالب الحلوى ولا يترك منه قطعة صغيرة تسقط لئلا يذوقها الآخرون فيكشفوا السرّ."

وتلك هي فكرة هيام عن الزوج الصحيح: "ذاك الذي يهبّ الى نجدة زوجته. وبادرة حازم كانت خير برهان على أني عثرتُ على الرجل الذي يحميني."

■ جوديت فيورست

عريس تحت الطلب

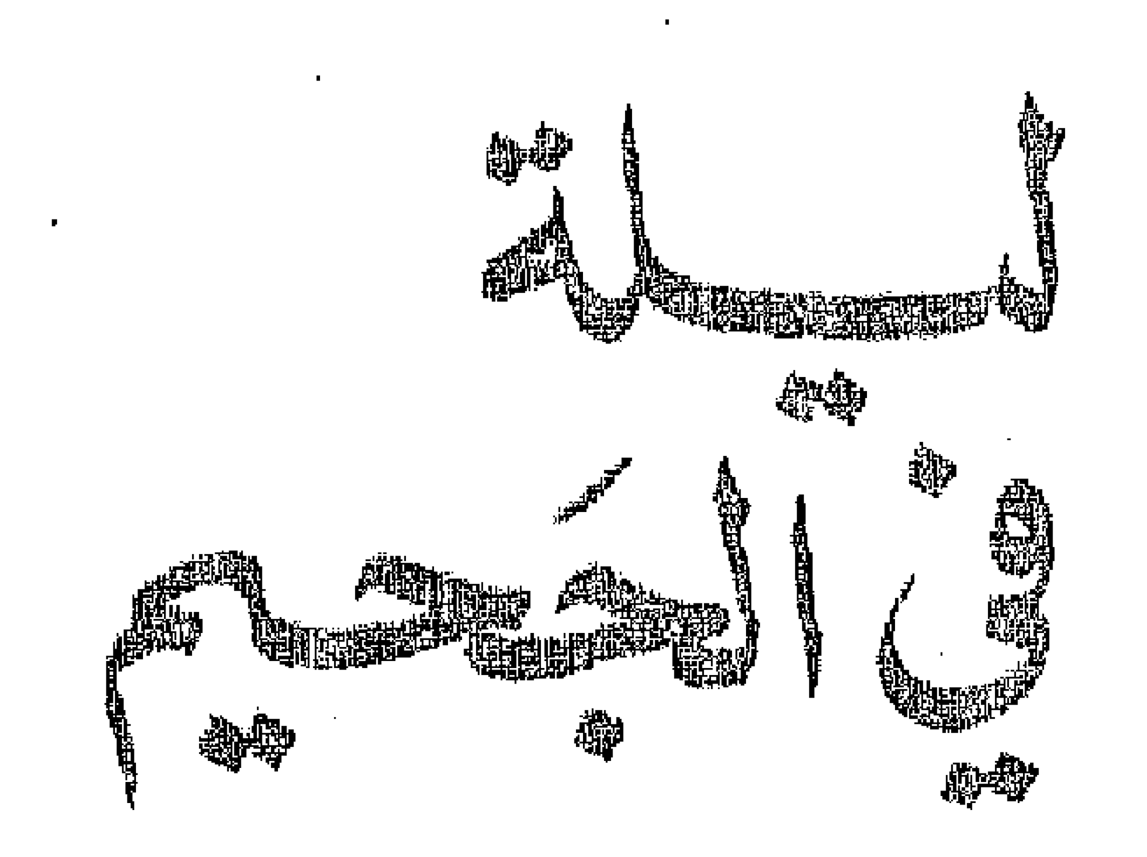
كانت احدى المحاكم تعقد جلسة للنظر في قضية طلاق. وفجأة انفتح باب المحكمة على مصراعيه ودخلت امرأة أخذت تصرخ في وجه محاميها وتقول:

"إني أكره جميع المحامين، وأنت بينهم. كما أكره زوجي السابق، وهو محام أيضاً. ولا ريب في أني سأتزوج من جديد، لكن زوجي لن يكون محامياً هذه المرة، وربما تزوجتُ طبيباً..."

وهنا اوقفتها امرأة اخرى دخلت الغرفة، وربتت على كتفها قائلة: "اذا انتظرتِ عشر دقائق هنا، فسيأتيك طبيب برسم الزواج".

ك.ك.

كان الفندق يعج بالساهرين، فجأة حدث انهيار عظيم وباتت المئات تحت الركام



كان المحامي الجنائي جيمس ماكمولن نازلا على سلم كهربائية من أحد مطاعم فندق حياة ـ ريجنسي في مدينة كانساس الامريكية الى الطبقة الارضية في الفندق، ورأى تحته ردهة الفندق الفخمة تعجّ بما يربو على ١٥٠٠ شخص جاؤوا يشاركون في حفلة الشاي الراقصة التي تقام بين

الخامسة والثامنة مساء من كلّ يوم جمعة. وكان الحاضرون يملأون حلبة الرقص في الردهة، كذلك شرفاتها المعلقة التي ترتفع خمس طبقات وتحميها أسوار من الزجاج الكثيف ترتفع حتى الخصر.

ولما وضع ماكمولن قدميه على الارض كانت الموسيقى في أوجها والناس يرقصون، وذلك في السابعة والدقيقة الخامسة من مساء الجمعة ١٧ يوليو (تموز) ١٩٨١.

وفجأة سمع أصوات تكسُّر والتواء يرافقها صياح شديد. ولم يصدق وهو يرى شرفة الطبقة الرابعة تنشق عند نصفها وتهوي الى أسفل بمن تحمل من الحاضرين. وقبل سقوطها أرضاً، صدمت شرفة الطبقة الثانية وأنزلتها معها بمن فيها أيضاً. ويتذكر ماكمولن أن الدهشة التي أصابت الناس "لم تترك وقتاً للصراخ. وانهال الزجاج المتطاير والركام فوق الطاولات والناس على مسافة ثلاثين متراً."

ولما خفتت أصداء الانهيار المريع، هيمن صمت غريب على المكان. وما لبث الزعيق والنواح والعويل أن تصاعدت من الضحايا الذين قبعوا تحت مترين من الركام. وهرع ماكمولن الى مكان الكارثة وهو يقول لنفسه: "يا إلهي! ينبغي أن نساعدهم." وكاد أن يشرق بالغبار مع سواه ممن عاينوا الحادث. وحاول هؤلاء رفع أجزاء الشرفتين الهاويتين، ولكن من غير جدوى. ذلك أن كلا من الجسرين، وهو يوزن نحو ٣٦ طناً، انشق أربعة أقسام اختلطت بعضها ببعض، باستثناء قطعة صغيرة تدلت من شرفة الطبقة الثانية.

ويقول ماكمولن الذي كان ضابطاً بحرياً في الجيش الامريكي خلال الحرب العالمية الثانية: "كانت تلك الكارثة أسوأ من كلّ شيء رأيته في المعارك. لقد نتأت الأذرع والسيقان والأجساد المشوّهة من بين الحطام، ورحنا نحفر ونرفع من غير أن نصل الى مكان. وأخذ الرجال، وأنا بينهم، يصرخون خيبة ويأساً."

الطوارىء – افتُتح فندق حياة – ريجنسي في كانساس الذي تملكه شركة هولمارك قبل عام من الحادث. وقد بلغت كلفته خمسين مليون دولار. وجُعلت ردهته الفسيحة على طراز ريجنسي الفذ الذي استهلّته مجموعة فنادق حياة عام ١٩٦٧ في مدينة اطلنطا، عاصمة ولاية جورجيا. وبلغ فرع كانساس مبلغاً معمارياً رفيعاً جعل المدينة أحد مراكز المؤتمرات العشرة الرئيسية في الولايات المتحدة. وجاءت حفلات الشاي الراقصة مساء كلّ جمعة لتضع الفندق في طليعة المراكز الاجتماعية الشعبية في المدينة وجوارها.

بعد سقوط الشرفتين خيم الذهول على الشهود العيان ثلاث دقائق كاملة، رفع بعدها أحد الموظفين سماعة الهاتف ليعلن بصوت يملأه الرعب: "أرجوكم أن تأتوا الى حياة ريجنسي! فندق حياة ريجنسي! على الفور! شرفتان معلّقتان... مليئتان بالناس... وقعتا... على الفور! حياة ريجنسي."

وما هيّ الاّ ثلاث دقائق حتى وصلت سيارة الاطفاء الاولى الى المكان. ولم يدرِ الكابتن جوزف توماس ما ينتظرهُ وهو يدخل من الباب الدوّار. ووقف برهة وهو ينظر بلا حراك الى الخراب أمامه. ثمّ سحب جهاز الراديو وبث النداء الآتي بصوت متهدج: "الطوارىء! النجدة! الردهة الامامية. هناك اناس كثيرون تحت الانقاض. اننا نحتاج الى معدات ثقيلة لرفعهم، كذلك الى سيارات إسعاف."

وانتشرت أنباء الكارثة سريعاً في المدينة. وأسرع عمال البناء من ورشة قريبة كانوا يعملون في نوبة مسائية، وفي أيديهم ثقابات يدوية ومعدات اخرى. وفيما رفع متطوعو الانقاذ من أمكنهم رفعهم، راحت سيارات الاجرة وحافلات النقل العمومية والسيارات الخاصة تصطف خارجاً، ومعها طائرة مروحية وسيارات اسعاف معاونة لإخلاء الجرحى.

وتجدر الاشارة الى أنّ المدينة كانت مؤهلة لمواجهة ذلك النوع من الكوارث، اذ لم تنقضِ خمسة أشهر على اقرار خطة لمواجهة الطوارىء. وبرهنت تلك الخطة عن فاعليتها في حادثين وقعا قبل بضعة أسابيع.

وخلال نصف ساعة تجمهر مئتا شخص (أصبحوا ألفاً في ما بعد) من اطفائيين ورجال شرطة وأطباء وممرّضين ومتطوعين من الصليب الاحمر وراحوا يحاولون بلا كلل رفع الاحياء والموتى والمنازعين من تحت الانقاض.

وبعد احضار العدة الثقيلة وتسليط الانوار الكشافة على المكان، غدت الردهة مشبعة بالحرارة والرطوبة الخانقتين. واختلط العَرق والدمع والدم بالمياه الراشحة من الانابيب الممدودة داخل سقف البناء. وفي الثامنة والنصف مساء كان متطوعو الانقاذ أرسلوا الى المستشفيات مئة شخص من ضحايا الحادث، كُتبت لهم جميعاً الحياة.

صوت داخلي — الحظ كان العامل الأكبر في انتشال الضحايا التي أُنقذت حياتها تلك الليلة. وقد أُصيبت شابة بكسر في ذراعها، في حين شُلَّت شقيقتها التي كانت تقف على بعد سنتيمترات منها من العنق الى أسفل. وهناك موظف في الفندق بقي سالماً من كلّ أذى، على رغم أن الشرفتين الهاويتين استقرّتا على بُعد مترين منه. وهو يصف المشهد بالآتي: "لقد مزق الزجاج جسد فتاة على مقربة مني وبقيت بوعيها التام. وعَلِقَ رجل من خصره وقد سحنت بلاطة ثقيلة الجزء الأسفل من جسمه. ان بعضهم نجا، لكن البعض الآخر أُصيب. ولا يصدّق العقل كيف، في برهة قصيرة، تغيرت حيوات وانتهت اخرى."

وبين الضحايا محام في الثالثة والاربعين اسمه اد بيلي. هذا عَلِقَ ورفيقته شيلي ماكويني ساعات تحت ثقل الشرفتين. وهو سمع دويّ التصدع، ولكن لم يمكنه أن يتقي الخطر. ويتذكر ما حصل قائلا: "فجأة ارتفع صوت هائل، ثمّ لفنا ظلام حالك وبتنا عاجزين عن الحراك.

وكان في وسع المرء أن يسمع الناس وهم يصلون ويتضرّعون ويطلبون النجدة ويهتفون بأسماء أحبائهم. وأمكنني أن ألمس بعض من حولنا، فوجدتهم مائتين. أما نحن الاثنين فقد عصّرنا ألم مبرح."

وهناك دون وكوني داونينغ وابنهما دالتون البالغ الحادية عشرة الذين لم يبلغهم أيّ صوت. وتقول كوني: "في لحظة كنا نراقب مباراة الرقص، وفي اللحظة التالية دُفنا أحياء. وأحسستُ كأن شاحنة نفايات ألقت حمولتها فوقنا."

وأمكنها أن ترى دالتون الى جانبها، وأحسّت يده تشد يدها. لكنها لم تعرف أنّ زوجها، وهو على بُعد خطوات، نجا هو الآخر.

ان معظم الضحايا الذين كانوا تحت الشرفتين مباشرة لم تكتب لهم النجاة. وراوحت أعمار القتلى بين فتاة في الحادية عشرة وأرمل في الثمانين. ولقي ١٨ رجلا مصرعهم مع زوجاتهم.

ومن غرائب الامور أن الأب جيمس فلاناغان، وهو كاهن في السابعة والخمسين، ظلّ أسابيع قبل الكارثة يأتيه نذير بالموت. ولما استدعي لاجراء الواجبات الدينية الأخيرة للذين كانوا على أبواب الموت في فندق حياة، أدرك أنّ هاجسه تحقّق. غير أنّ هول المنظر فاق تصديقه وهو يدخل الردهة. ووقف يتضرّع الى الله قائلا: "أرجوكَ يا إلهي، امنحني القوة."

وما فتىء الأب فلاناغان، طوال تلك الليلة المشؤومة، يزحف من مكان الى آخر بين الركام، يعزي ويبارك ويمسح بالزيت المقدّس. ويقول: "حيثما كنتُ أنظر، كنتُ أرى شخصاً ذا إصابة بالغة أو أسمع صوتاً يدعوني الى تعزية أحدهم في محنته. وبدا أن الكارثة ضربت من غير تمييز أو رحمة."

وبعد دقائق من وصول الدكتور جوزف واكيرل (٣٥ سنة) رئيس قسم الطوارىء في المستشفى المعمداني الى موقع الحادث، سمع كبير المعاونين الطبيين، جيم تيلور، يدعوه قائلا: "الى هنا! الى الرّدهة."

وباشر الاثنان عملا استغرق الليل كلّه، وهو الزحف بين الركام وفصل الأحياء عن الموتى. ووصف واكيرل العذاب لاحقاً كالآتي:

"كان الظلام مخيماً فوق المكان، تتخلله بعض أنوار منبعثة من المصابيح القوية. ووقفنا وسط اناس مسحوقين ومشوّهين، ونحن نسمع حولنا من كل جانب ضجيج آلات الضغط ومولدات الكهرباء والمناشير والثقابات.

"وكانت الروائح والمناظر والاصوات تحمل الموت من كلّ جانب. ومن الغريب أنّ أياً منا استطاع العمل. غير أن الجميع، من اطفائيين وأطباء وعمال بناء ورجال شرطة ومتطوعين، أدوا عملهم على خير وجه."

أصحاب النخوة ــ طوال ذلك الليل الرهيب كانت القوة التي دفعت مئات المتطوعين الى العمل أملهم في العثور على ضحية اضافيّة ينقذونها.

وكلما حصل ذلك، كان الهتاف يعلو في القاعة ويحفز الرجال على العمل، علّ شخصاً آخر يبرز حياً من بين الانقاض٠

وبث المحافظ نداء واحداً عبر الاذاعة للتبرّع بالدم، فكان أن تدفق أكثر من ٨٠٠ شخص على مركز الدم في المدينة٠ واكتظت الشوارع بحركة السيارات الى حد أن المسؤولين حاولوا ثني أكبر عدد ممكن عن التقدم بحجة أن الوصول الى المركز يستغرق ثلاث ساعات في تلك الظروف٠ غير أن أحداً لم يبارح مكانه، بل ازداد عدد المتبرعين بدمهم٠ وكانت الساعة العاشرة والنصف ليلا٠

وعندما أعلن الرجال داخل الفندق عن حاجتهم الى آلات اضافية، فتحت المتاجر أبوابها ودعاهم أصحابها الى أخذ كل ما يحتاجون اليه من غير حساب٠

وفي التاسعة والنصف ليلا أُخذت آلة رفع وآلة حفر وبضع شاحنات ثقيلة نحو الفندق، وأوقفت عند مدخله الرئيسي وحائطه الغربي٠ وعقد العمال أسلاكاً حول الابواب المتحركة، ثم سحبوها من مكانها بآلاتهم٠ وهذا مكن الشاحنات من دخول الّردهة، حيث بدأ الموظفون يزيلون بحذر شديد الاجزاء العالقة من الشرفة العليا٠ عندئذ ارتفعت الاصوات من تحت الركام، فيما راح المتطوعون يشجعون المنكوبين ويمدون نحوهم خراطيم الهواء٠ وراحت الثقابات تعمل من جديد وتوسّع مكاناً يستطيع واكيرل أن ينفذ منه٠

ويقول اد بيلي: "تلك الثقابات أخافتني أكثر من اي شيء آخر٠ فقد بدا من صوتها أنها على بعد سنتيمترات من رؤوسنا٠ وكنت أخشى أن تنقض علينا فجأة وتمحونا٠" لكن المنقذين استخدموا تلك الادوات بدقة تفوق التصوّر٠

وسمع بيلي شخصاً يصيح: "اننا على وشك الوصول اليكم٠" وللحال أحس عصفة هواء منعش تسقط عليه٠ وامتدت يدان اليه، لكنه ظلّ مقيّداً في مكانه٠ وأزاحت الجرافة ما بقي من ركام فوقه٠ ولما رُفعت البلاطة عنه ونُشل من سجنه، شاهد امرأة تقوم هي الاخرى من جانبه٠ ثم تبين ملامحها جيداً، فوجد أنها ميتة وأنها كانت ملتصقة بالبلاطة كما بمادة دبقة٠ ويتذكر ذلك قائلا: "في تلك اللحظة أدركتُ كم كنا محظوظين، انا وشيلي٠"

اللحظة المرعبة – بينما كانت كوني داونينغ وابنها دالتون عالقين في جيب تحت عارضة هاوية، سمعا تكسُّر الزجاج من جراء دخول الشاحنات الرّدْهَة٠ ولما سمعا التعليمات اللاحقة، خشيا أن يقضيا تحت الركام٠ فصرخ دالتون طالباً النجدة، وهو يحاول ايصال صوته الى أحد المتطوعين هناك٠

وسمع الاطفائي مايكل تريدر صوت دالتون، وتوجه فوراً الى مصدره٠ وبقي ساعتين يتحدث الى الصبي ويطمئنه الى أن الاصوات التي يسمعها هو وأمه تحمل الرجاء لهم جميعاً٠ وكانت الساعة تجاوزت

الثانية فجراً عندما أكملت الرافعات ازاحة ٦٨٠٠ كيلوغرام من الركام وفتح منفذ الى السيدة داونينغ وولدها وتحريرهما. وفي الرابعة والنصف فجراً أعتق آخر الاحياء من تحت الركام. الا أن العمال أكملوا مهمتهم طوال ساعات الصباح، علهم يعثرون على حي آخر.

وفي نحو السابعة والنصف صباحاً، بينما المطر يسقط رذاذاً في الخارج، اختبر رجال الانقاذ أسوأ جانب في مهمتهم. فبعد تسع ساعات من العمل الشاق انتهت برفع الجزء الاخير من الشرفة الهاوية، كان الرجال يتوقعون العثور على جثث قليلة اضافية. غير انهم وجدوا إحدى وثلاثين جثة.

ويتذكر الاب فلاناغان ذلك بقوله: "وقف المتطوعون يهتزون أمام ذلك المشهد كأوراق الخريف. ويبدو أن ذلك ثبط عزائمهم."

وفي النتيجة، تجاوز عدد الضحايا الثلاثمئة، وفي عدادها ١١٤ ميتاً. ووصفت السلطات الامريكية تلك الكارثة، في ضوء عدد القتلى والجرحى بأنها "أسوأ حادث من نوعه في الولايات المتحدة."

ولا شك في أن عبء المصيبة الاكبر وقع على مدينة كانساس التي كانت مسرحاً للكارثة. والفرق بين ذلك الحادث والاحداث الاخرى، ومنها تحطم الطائرات وحرائق الفنادق، أن أكثر من ٩٠ في المئة من ضحاياه كانت من المنطقة نفسها. ويبدو أن كل شخص في كانساس تعرف على واحدة أو أكثر من الضحايا. وعلق المحافظ ريتشارد باركلي على الحادث بالآتي: "لقد بدا ذلك مثل كارثة عائلية."

خطأ فادح — في المكتب الوطني للمقاييس والموازين، وهو المؤسسة المسؤولة عن مواصفات البناء والخلل الذي يصيب الابنية، تمت دراسة عينات من شرفتي الفندق الساقطتين بعد الحصول عليها باذن من المحكمة. ولم يجد الخبراء في المواد أو في تركيبها أي هفوة من شأنها أن تؤدي الى ما حصل. ولكن تبين لهم أن الخطأ الفادح يعود الى التصميم الاساسي والى تعديل أدخل عليه لدى تنفيذه.

لقد صُممت الشرفتان الثانية والرابعة بحيث تشدهما الى السقوف حمالات متصلة تبلغ كثافتها ثلاثة سنتيمترات. وبما أن ذلك يستغرق وقتاً، فقد ارتأى أحدهم لدى التنفيذ اللجوء الى طريقة أسهل. وهكذا أنجز تعليق الشرفة الرابعة بالسقف تبعاً للخطة المرسومة، أما الثانية فقد شدت الى الرابعة بدلا من شدها الى السقف، مما ضاعف الثقل على الشرفتين معاً عند بعض النقاط. وجاء تقرير مكتب المقاييس الموازين واضحاً، وهو أن الشرفتين كانتا معرضتين للسقوط منذ انجازهما على ذلك النحو، وان سقوطهما حدث في أسوأ ظرف ممكن.

ولكن على من تقع تبعة ذلك؟

ان التعديلات التي أدخلت على التصميم الاساسي شارك فيها مدير مصنع الفولاذ وراجعها المهندس المعماري ومهندس البناء والمتعهد.

غير ان ادوارد فرانغ الذي رأس لجنة خبراء مكتب المقاييس والموازين، يقول: "ان أي مهندس يزاول المهنة لا يمكن أن يخفى عليه أن ذلك التعديل يتجاوز قوانين البناء المعتمدة في مدينة كانساس."

والمؤسف أن التصميم المعدل لم يخضع لاي مراجعة قانونية. فالقانون المحلي لا يقتضي ذلك. لكن التقرير المذكور يقول ان التصميم الاساسي الذي وافقت عليه المراجع المسؤولة لم يكن يجاري القوانين المرعية. وقد رفعت دعاوي كثيرة حتى الآن، غير أن الراجح أن تبقى المحاكم سنوات قبل التوصل الى تحديد المسؤولية الفردية.

ترى أيعقل أن تتكرر هذه المأساة؟

لقد حذر المسؤولون في ولايات كثيرة من أن ما حدث في مدينة كانساس يمكن أن يحدث في أي مكان آخر. وبالتالي دعوا الى مراجعة قوانين البناء على نحو دقيق صارم.

وتجدر الاشارة الى أن المعهد الامريكي للمهندسين المعماريين أنجز، قبل شهرين من وقوع كارثة حياة - ريجنسي في كانساس، دراسة مستفيضة للابنية المعدة للاستعمال وقتاً طويلاً، خصوصاً تلك المعرّضة للاخطار. والدافع الى تلك الدراسة كان سقوط عدد من تلك الابنية في الآونة الاخيرة. الا أن عدد القتلى كان ضئيلا في تلك الحوادث، لان عدد الحضور نفسه كان قليلا. ويحذر ذلك التقرير من أن "العاقبة لن تكون سليمة كل مرة."

وفي الاول من اكتوبر (تشرين الاول) (١٩٨١)، أعيد افتتاح فندق حياة - ريجنسي في مدينة كانساس بعد إقفاله ثلاثة أشهر تم خلالها تجديده تبعاً لبرنامج كلف خمسة ملايين دولار. وكانت لجنة من أرفع الخبراء تفحصت البناء زاوية زاوية، واقترحت إدخال تعديلات هنا وهناك. وقُوّيت السطوح والجدران وعوازل الحريق. وأقيم مكان الشرفتين الهاويتين شرفة واحدة متينة، مرتكزة على عشر دعائم ومؤسسة على صخر متين. وربما أمكن القول ان هذا الفندق اليوم هو من أكثر الابنية أماناً في العالم. ومن العسير أن يصدق المرء أن كارثة حدثت هناك قبل وقت قصير.

غير أن ذكرى تلك الليلة الرهيبة لا تزال حية في أذهان سكان المدينة. ويقول ماكمولن: "إنها ليلة لن ينساها أحد قط... ليلة لا يجوز أن تعيد نفسها البتة في أي مكان."

■ اميلي وبير اولا دولير

القانون

القانون يستحقّ بعض المحبة لانه عادل وبعض الخوف لانه قاسٍ وبعض الكره لانه - الى حدّ - من مخلّفات الماضي وبعض الاحترام لانه ضروري.

ا.ف.

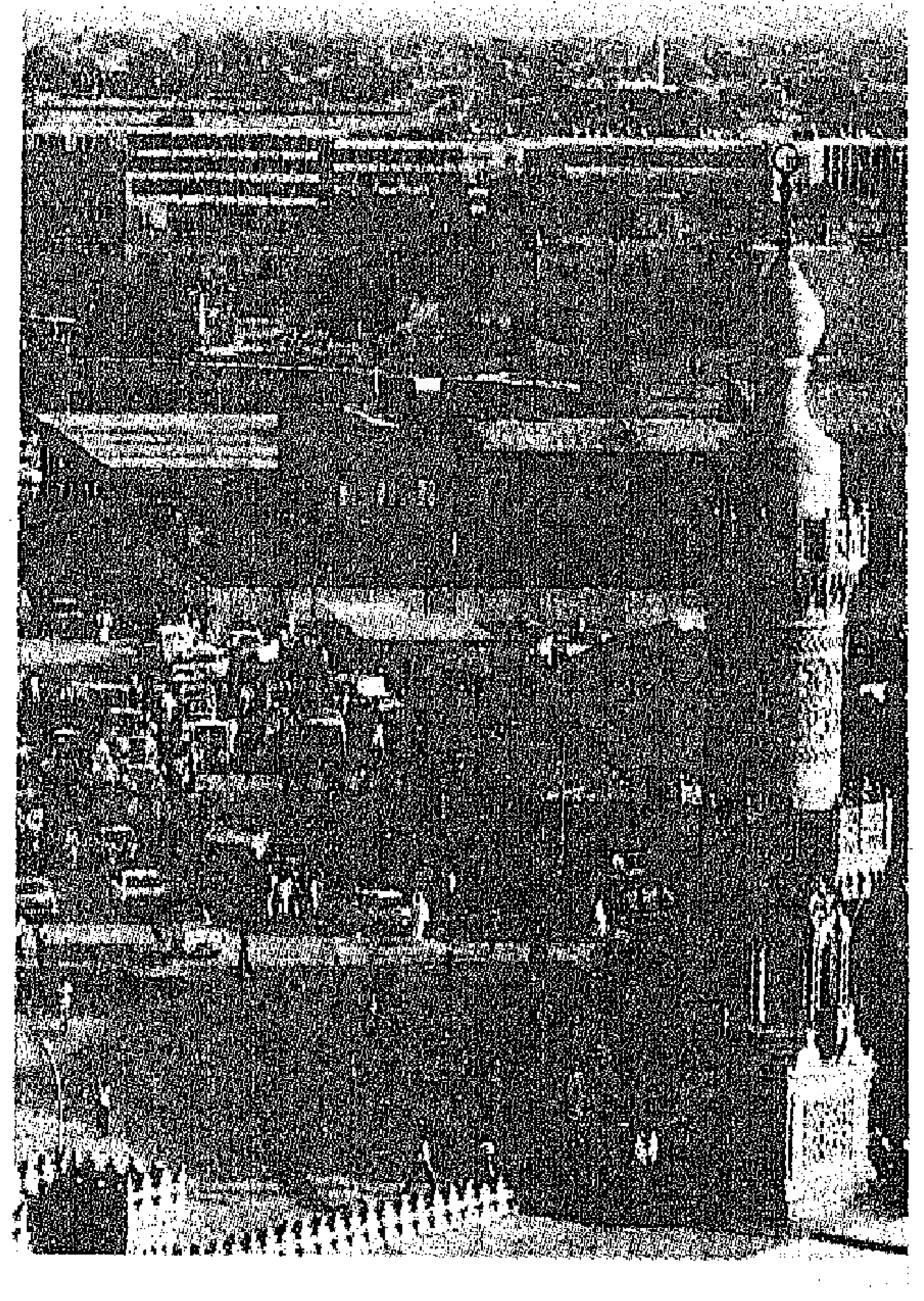
السودان أرض الخيرات

عندما انهت بريطانيا ومصر حكمهما الاستعماري للسودان عام ١٩٥٦ نشبت حرب أهلية دامية بين الشمال والجنوب استمرت ١٦ سنة. وما زالت بعض مشاعر المرارة تشوب النفوس من اثر ذلك الصراع الذي خلّف نصف مليون قتيل و٧٥٠ الف مشرد.

هذا الصراع فتح الباب للتدخل الاجنبي. وعلى غرار مصر في ذلك الوقت أصبح السودان حليفاً للاتحاد السوفييتي. وفي العام ١٩٦٩ تسلم جعفر نميري الحكم على اثر انقلاب عسكري. وبعد سنتين وقعت محاولة انقلاب يسارية ضده، لكنها اخفقت. فقطع النميري تحالفه مع الاتحاد السوفييتي.

وقد استطاع النميري بقوة شخصيته ان يحفظ وحدة بلاده المتفسخة. وقال لي احد السياسيين: "اذا حدث للنميري مكروه، فقد ينشب القتال مجدداً. انه الغراء الذي يجمعنا."

الخرطوم عصراً. زحمة السيارات والشاحنات والمارة عند مفترق طرق. والى اليسار مئذنة الجامع الكبير.



كالرعد اصطدمت الباخرة الثقيلة بضفة نهر النيل. لكن الربان حسن ناصر، وله خبرة ٢٠ سنة في الملاحة النهرية، كان يعرف كيف يقود سفينته في تلك المنعطفات التي لا يزيد عرضها على عرض السفينة الا بعشرة امتار. وكان الاصطدام جزءاً من تقنية الملاحة. وارسل الربان اشارة الى غرفة المحركات، واذا بالعجلات الخلفية الكبيرة تعيدنا

بعنف الى الوراء. وبعد اندفاع امامي تمكنا من اجتياز المنعطف.

قال الربان ناصر: "انه عمل صعب، والسفينة بطيئة. ولكن هذا هو السودان. بالعمل الجاد سنزدهر يوماً ان شاء الله."

كنا عند الفجر غادرنا جوبا عاصمة الاقليم الجنوبي. وكنت جالساً في غرفة القيادة مع الربان ومعاونيه، فقال لي الدليل محمد: "السودان بلد كبير جداً. وأحياناً أظن انه اكبر مما ينبغي. بعض الناس يقولون انه يجب ان يصبح بلدين، الشمال والجنوب. ولكن ما جدوى ذلك؟ النيل هو الخيط الذي يربط بيننا، ولا يمكن قطعه."

السودان في الواقع اكبر بلدان افريقيا، وتزيد مساحته على مليونين ونصف مليون كيلومتر مربع. لكن عدد سكانه لا يتجاوز ١٨،٩١ مليون نسمة. واسمه متحدر من التسمية العربية القديمة "بلاد السودان" وتعني "ارض السود." وهي كانت اصلا تطلق على المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. لكن البلاد الحديثة تضم العرب والسود وتمتد من الصحراء القاحلة على حدود مصر عبر الاراضي الغنية بالمراعي الى "السد" وهو المستنقع الضخم الذي يغذيه نهر النيل ويفيض حتى يبلغ اتساعه مساحة دولة النمسا. والى الجنوب في محاذاة يوغندا تمتد الغابات الماطرة والجبال العالية الخضراء. هذه البيئات المتباينة هي موطن اكثر من ٥٠٠ قبيلة تتخاطب بأكثر من ١٠٠ لهجة.

الطواف في السودان ليس مهمة سهلة. وفي رحلة سابقة انطلقت من جوبا شمالا بسيارتي المتينة حتى بلغت ارض المراعي الواسعة قرب السد. ذلك هو موطن قبيلة الدنكا التي يعيش افرادها في اكواخ متفرقة خلال فصل الامطار ويحتشدون في فصل الجفاف في مخيمات يجمعون فيها المواشي على حافة المستنقع. وقدتُ سيارتي عبر تلك الارض حتى لاح لي الدخان المتصاعد من مخيم المواشي.

عندما وصلت الى المخيم رأيت عدداً من الرجال والنساء جالسين يتحادثون. قال احد الرجال: "هذه هي الحياة المثلى. هنا نجد الحليب الوفير ونحن احرار في قضاء وقتنا مع القطعان." ان عجلة الحياة بالنسبة الى ابن الدنكا تدور حول مواشيه. وعندما يبلغ أشده فانه يتخذ لنفسه اسماً مستوحى من اسم احد عجول ابيه. وفي مقابل رؤوس الماشية يتزوج ويدفع الضرائب. كما توفر الماشية اللحم والحليب للعائلة.

واو مدينة كبيرة في بلاد الدنكا تقوم فيها مشاريع تطوير عدة، بعضها قابل للنجاح مثل مشروع الري القروي لحفر الآبار في القرى النائية والمستشفى الالماني للجذام الذي يعالج فريقه الطبي المرض المريع ويرشد الاهالي الى طرق الوقاية منه.

حياة البداوة – الى الشمال من واو دخلت بلاد النوير، وهم شعب يعيش على تربية المواشي مترحلا بين السهول والمستنقعات بحسب الفصول. وفي جوار بنتيو، وهي مدينة صغيرة على "بحر الغزال" أحد

روافد النيل الابيض، بلغت طريقاً ترابية واسعة ممهدة شقتها هدية الى البلاد شركة "شفرون" التي تنقب عن النفط في تلك المناطق·

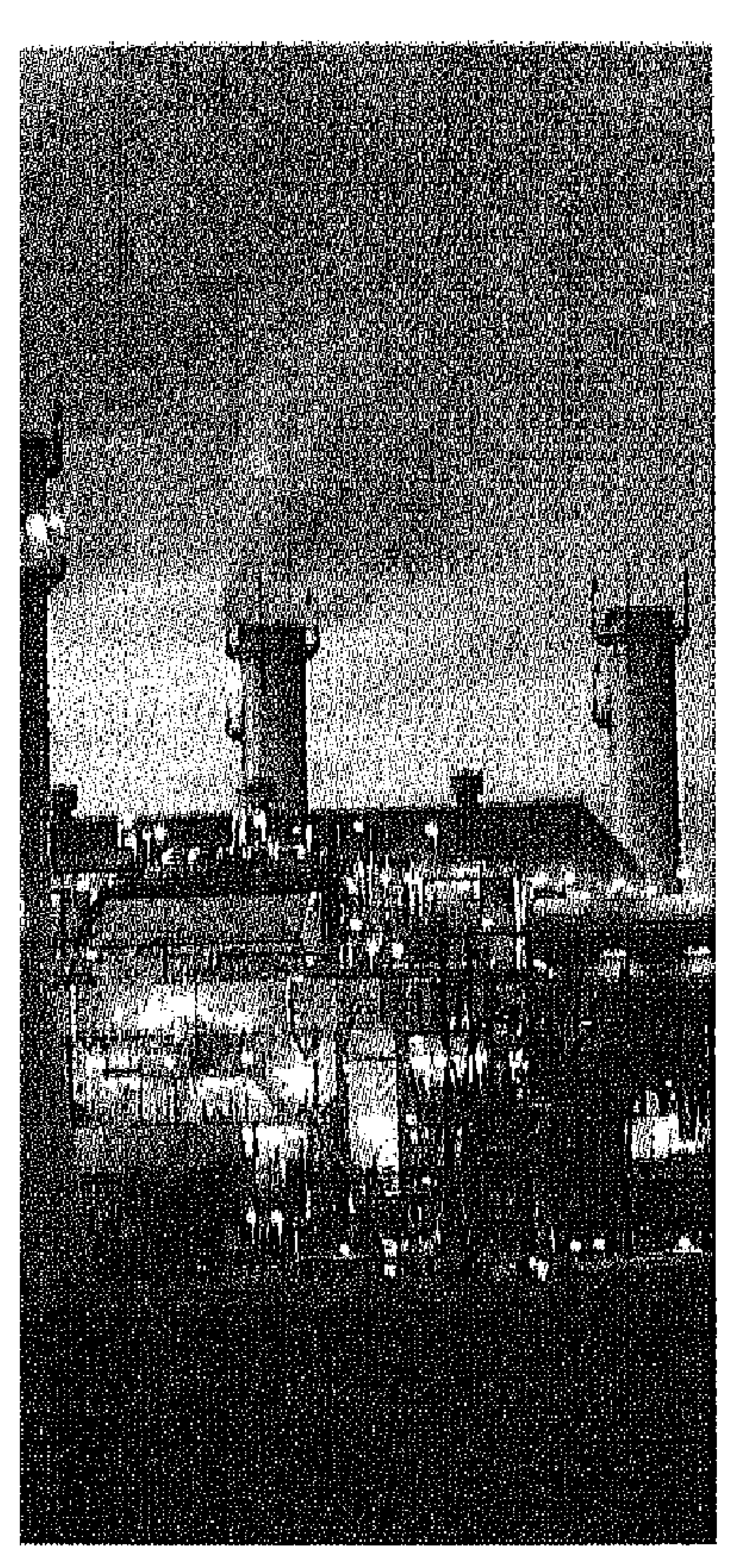
ظل النوير طوال قرون معزولين في مستنقعاتهم· اما اليوم فهناك شاحنات وجرافات وطائرات عادية ومروحية لشركة "شفرون" في كل مكان من ارضهم· لن تبقى الحياة في هذه الديار كما كانت من قبل· وقد قال لي موظف امريكي في الشركة: "بعض هؤلاء العمال الذين تراهم على الحفارة الآن جاؤوني ذات يوم عراة حاملين رماحهم، وطلبوا مني ان اوفر لهم عملا· انهم اليوم قادرون على تشغيل اي حفارة في اي مكان من العالم·"

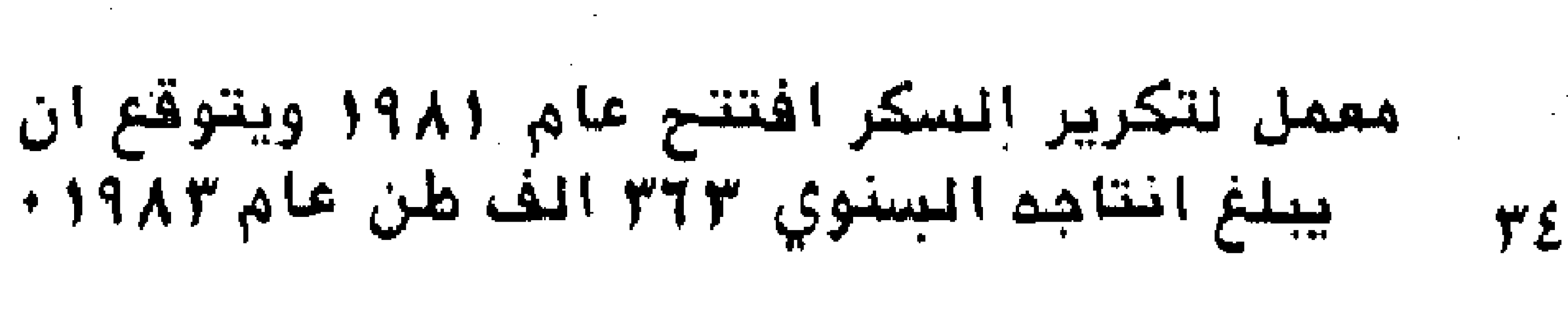
لشركة "شفرون" ثلاثة ابراج حفر تستكشف منطقة امتيازها في السودان· وهي عثرت على بعض النفط، وتخطط لانشاء مصفاة ومد خط أنابيب· وحجم المخزون النفطي غير معروف، ولكن حتى اذا كان الموجود منه لا يكفي الا لسد حاجات البلاد، فانه سيحرر مقداراً من المال يصرف على التنمية· فالسودان يخصص حالياً ٨٠ في المئة من عائدات صادراته لشراء النفط·

الى شمال بنتيو تنتهي مراعي النوير المنبسطة الى جبال النوبة·

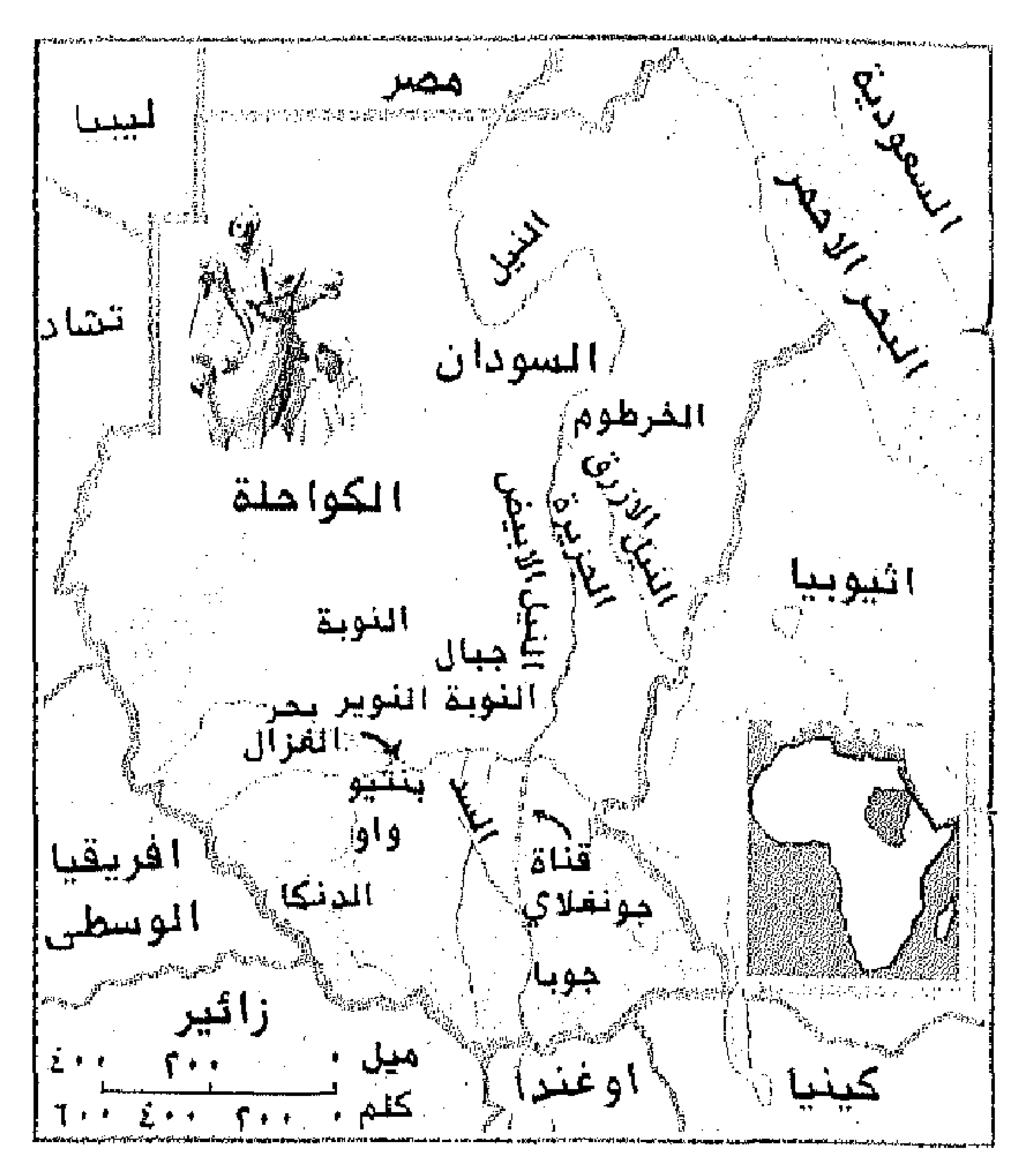


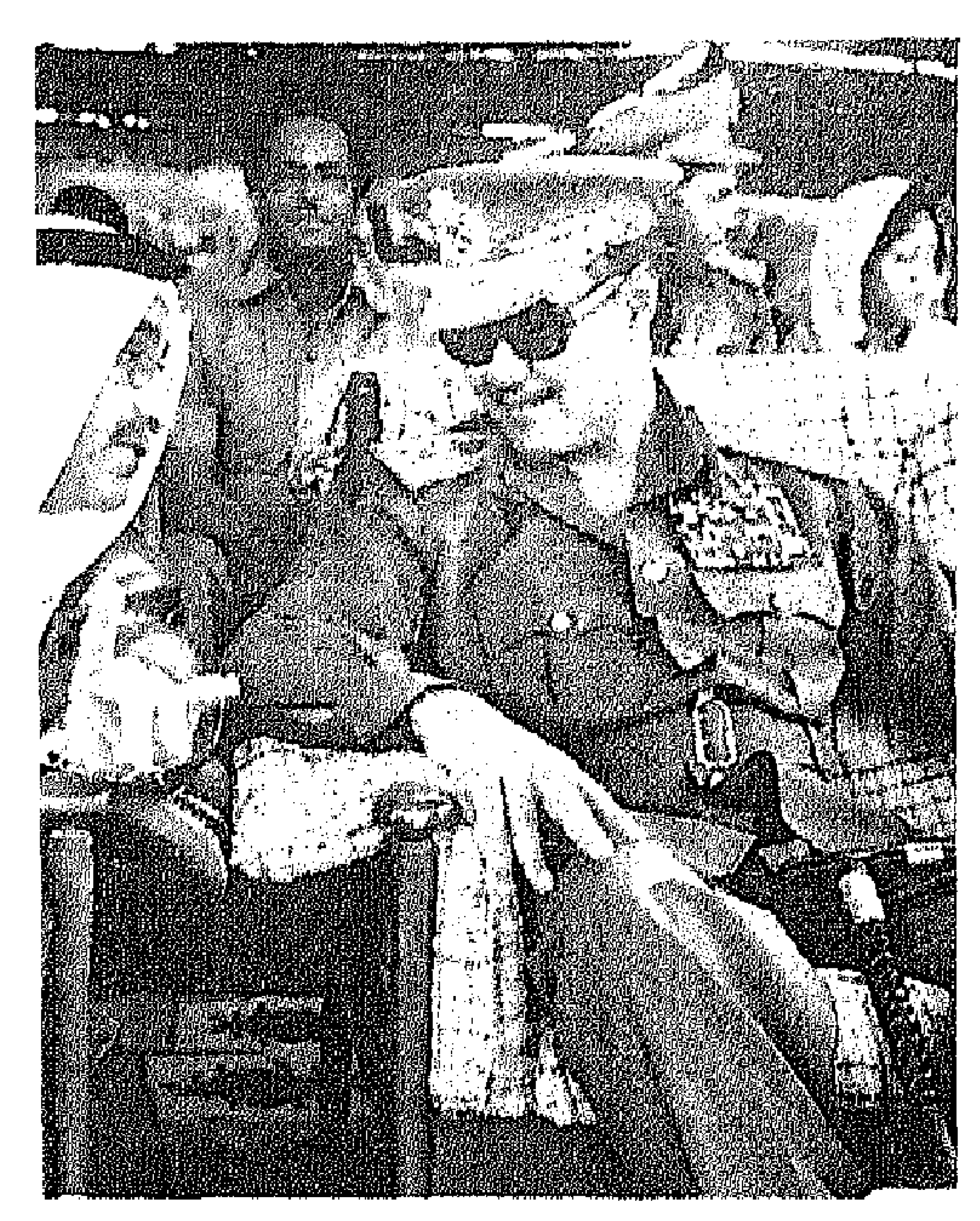
بعة من الاذرع والارجل· ان سقوط احد المتصارعين من
ائل النوبة يقرر نتيجة المباراة·





معمل لتكرير السكر افتتح عام ١٩٨١ ويتوقع ان يبلغ انتاجه السنوي ٣٦٣ الف طن عام ١٩٨٣·





الرئيس جعفر نميري (الى اليمين) يتحدث الى عبد الرحمن العتيقي وزير الخزينة الكويتي آنذاك، وذلك لمناسبة تدشين مصنع للسكر في الكنانة.



وشعب النوبة هو البقية الباقية من قبائل عدة انتشرت ذات مرة في وسط السودان وغربه لكنها انحسرت الى الجبال قبل اكثر من سبعة قرون. هؤلاء القوم يعيشون اليوم معزولين. يربون المواشي ويزرعون السرغوم (١) وهو الطعام الرئيسي في السودان.

كان الاحتفال بالحصاد في أوجه. وانضممت الى تجمع من ٢٠٠٠ نوبي في احد الحقول. كل هؤلاء جاؤوا لمشاهدة المصارعة وكانوا يرقصون في صفوف طويلة متعرجة.

ويتوافد المصارعون من انحاء الجبال وكلهم يرتدون الالبسة الزاهية وقد طلوا اجسادهم باللون الابيض.

(١) نبات من فصيلة الذرة.

وتبدأ دورات المصارعة دفعة واحدة في انحاء الملعب. ليس الهدف ان تؤذي خصمك بل ان تلقيه ارضاً، وبهذا تبرهن عن تفوق قبيلتك.

الى الغرب من وهاد النوبة دخلت ما بدا كانه بلاد اخرى. ومع ان قبائل الشمال متباينة ومتعددة فان الثقافة العربية والعقيدة الاسلامية تشدان الاواصر بينها. رجال هذه القبائل يرتدون الجلابية الطويلة الفضفاضة ويعتمرون العمائم، اما النساء فيتلفعن باثواب طويلة من القماش. وهن لا يخالطن الرجال. هنا تبدلت معالم الارض فاضحت رملية وقل فيها النبات. وللمرة الاولى شاهدت جمالا.

على بعد ٥٠٠ كيلومتر الى الغرب من الخرطوم التقيت الكواحلة، وهي احدى القبائل العربية التي تعتمد تربية الابل وتقطن في الجزء الغربي من السودان. ودعاني احد شيوخ الكواحلة علي شريف عبد الرحمن الى الغداء، وجلسنا على الرمل في خيمته. قال لي: "الكواحلة ومواشينا، هذه هي حياتنا منذ القدم. في الصيف نتغنى كل ليلة بسمنة ابلنا وبالمال الذي ستدره علينا." بالنسبة الى البدوي هذا هو النمط الوحيد للحياة. اما الاستقرار في القرى حيث يزرع الناس الذرة فوق الهضاب الرملية، فأمر لا يحتمل التفكير فيه.

آمال وآلام — في رحلة بالسيارة استغرقت اربعة ايام غادرت ارض الكواحلة وسط عاصفة رملية عاتية الى فندق مكيف الهواء في الخرطوم. ومع ان الفصل بين الجنسين في المناطق الريفية الشمالية هو من العادات المتوارثة، فقد أدهشني انه ما زال متبعاً بين سكان المدن. وذات صباح أرتني الفنانة كمالا اسحق لوحاتها، وهي رئيسة قسم الرسم في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية. كانت لوحات كبيرة فيها صفوف من المكعبات داخلها وجوه ملتوية.

قالت لي: "بدأت ارسم نساء في مكعبات من البلور لاظهر كيف اننا مسجونات. لكن الفتيات في الجامعة يعشن حياة مختلفة. حين نلنا الاستقلال عام ١٩٥٦ كان معظم النساء أميات. اما اليوم ففي الخرطوم محاميات وطبيبات وموظفات."

لكن الامر الاكثر الحاحاً من حقوق المرأة هو التضخم النقدي المرهق الذي يبلغ ٤٠ في المئة سنوياً وتلك الصفوف التي تقف كل يوم للحصول على الخبز والغاز. والنقص يكاد يشمل كل شيء بما في ذلك الطاقة الكهربائية والماء. وتزيد الامر سوءاً هجرة اليد العاملة الماهرة. ففي هذه البلاد التي لا تزيد نسبة المتعلمين فيها على ٢٠ في المئة نجد اكثر من ٣٠٠ الف سوداني يعملون في الخارج، خصوصاً في بلدان الخليج العربي. قال لي كاتب اسمه يحيى: "شهر واحد في المملكة العربية السعودية يوازي سنتين في السودان."

هذا النزف للادمغة، اضافة الى النقص في المال والبنية الاساسية، يعني ان المشاريع القليلة التي يعمل على تنفيذها تسير نحو الاخفاق. ويقال ان الجزيرة التي تقع بين

النيلين الازرق والابيض هي اكبر مزرعة مروية في العالم، اذ تبلغ مساحتها مليوني فدان (٨٤٠ الف هكتار) وتنتج معظم محصول القطن وهو السلعة الرئيسية التي يصدرها السودان. لكنها اليوم تعطي جزءاً ضئيلا من طاقتها الانتاجية.

ومع ذلك فهناك علائم ايجابية قليلة. فشركة "الكنانة" للسكر التي دشنت في شهر مارس (آذار) ١٩٨١ في جنوب الجزيرة تعمل على نحو جيّد ولها ارض مساحتها ٨١ الف فدان (٣٤ الف هكتار) تزرع بقصب السكر. والسودان يرجو ان ينجح في الجمع بين موارد البلاد الطبيعية والتقنية الغربية والبترودولار العربي (٢) فيغدو "مصدر رزق" للعالم العربي. ولكن هنا ايضاً يبقى امام السودان شوط بعيد عليه ان يقطعه. فمن اصل ٨٠ مليون هكتار من الاراضي الصالحة للزراعة في البلاد لا يستثمر الآن سوى ستة ملايين.

المشروع الآخر الذي يعلق عليه السودان الآمال هو قناة جونغلاي التي ما زالت موضوع جدل. وعندما يكتمل بناء هذه القناة التي يبلغ طولها ٣٦٠ كيلومتراً، فانها ستحول جزءاً من مياه النيل الابيض عن مستنقع السد مما يسهل المواصلات والنقل ويوفر الري للسهول الواسعة التي تبقى جافة ستة اشهر من السنة. وبتقليص الارض التي يغمرها الفيضان، ستؤثر القناة في التنقلات الموسمية للحيوانات البرية وفي تربية قطعان الماشية لقبائل الدنكا والنوير الرحل، وربما ادى ذلك الى القضاء نهائياً على نمط حياتهم.

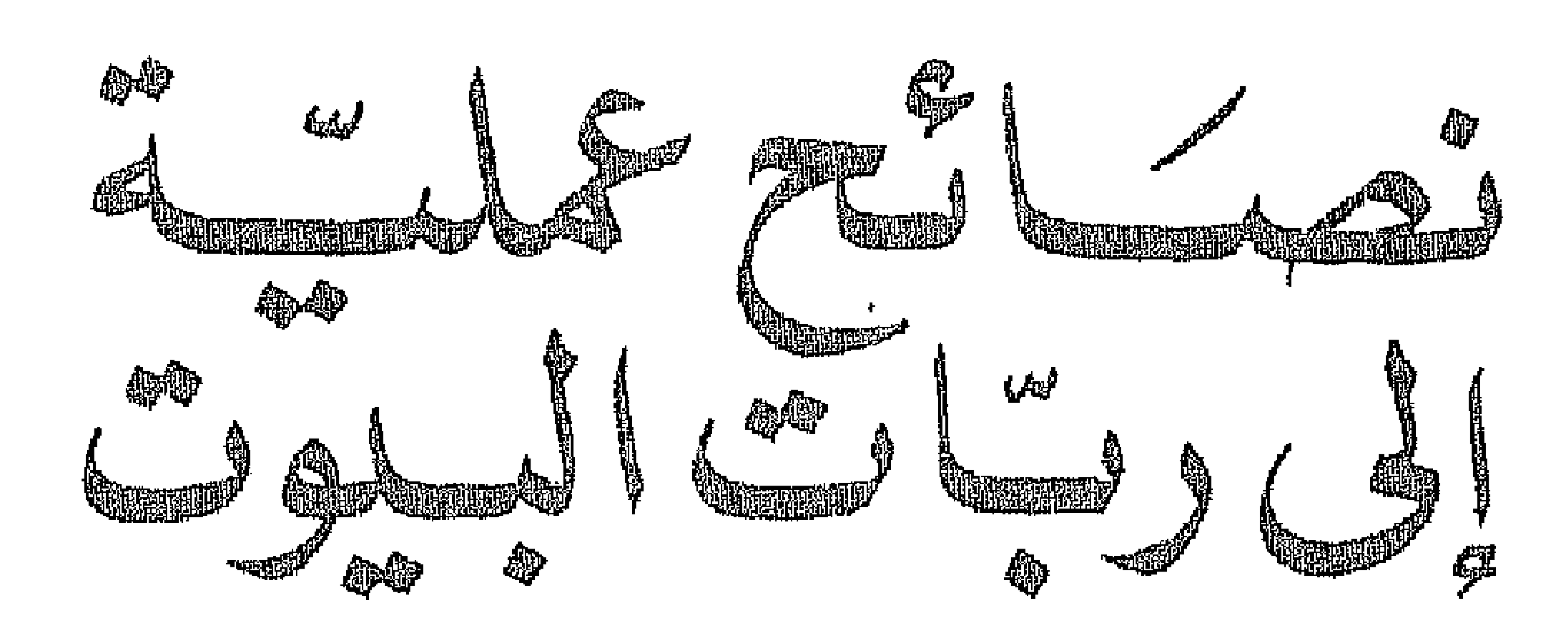
غادرت الخرطوم عائداً الى الجنوب قبل موسم الامطار الذي يجعل الطريق الترابية الوحيدة غير صالحة للعبور. وشعرت أني عدت الى "افريقيا" حين تحولت الارض شبه الصحراوية غابات كثيفة. هنا اشجار النخيل والتمر الهندي والاكاسيا أطول والقردة تتوثب على اغصانها والطيور كثيرة على ضفاف النيل الابيض.

كان السكان يسقفون بيوتهم بالاغصان والاعشاب لان الامطار بدأت تهطل. وخرجت من السيارة ووقفت تحت المطر المنهمر مستمتعاً ببرودته. مرت بي جماعة من الدنكا وكان افرادها يغنون ويتضاحكون. ففصل الحر والجفاف انقضى واخضرت الاشجار وغردت الطيور ونما الكلأ الجديد في الارض القاحلة.

حين ازفت نهاية رحلتي في عوالم السودان المتعددة اخذت افكر في المشاريع التي تنفذها السلطات لتدخل البلاد القرن العشرين. وفكرت قبل كل شيء في الناس الذين يعيشون اليوم كما عاش اجدادهم قبل قرون، معزولين في بلادهم الواسعة المتنوعة. فالنوير ينحصر اهتمامهم في مستنقعاتهم وقطعان مواشيهم، والكواحلة في الصحراء مع أبلهم، والنوبة القابعون في هضابهم بين الفريقين لا يهمهم الا ان يتوافر لهم ما يكفيهم من المطر والمرعى. عسى ان يتوافر لهم ذلك.

■ روبرت كابوتو

(٢) شركة الكنانة حصلت على معظم رأس مالها من الكويت والمملكة العربية السعودية.



افركي اللحم القاسي بالزيت والخل.
جلدي السمك في الماء.
ضعي البصل والافلام والبطاريات في الثلاجة.
لفي الاجبان بقماش مبلل...

الثلاجة

ابقاء الجبن في الثلاجة مدة ١٥ دقيقة يسهل بشره.

ضعي قطعة من الورق المشمع تحت صحفة مكعبات الثلج في برادك فلا تلتصق بقعر الثلاجة.

البطاريات الكهربائية وافلام التصوير تبقى صالحة مدة أطول اذا وضعتها في البراد.

جلدي الاسماك كاملة في علب مملوءة ماء.

للحصول على مكعبات جليد نقية كالبلور اغلي الماء قبل تجليده. فالماء المغلي يحوي مقداراً اقل من الهواء.

السلطة

لكي تفرغي قلب خسة اضربي قفاه بقوة على ظهر الطاولة، عندئذ يصبح من السهل فتل القلب ونزعه. (هذه الطريقة تمنع تكون البقع الدكناء التي تظهر عندما تجوفين الخسة.)

لا يهترىء الخس بسرعة اذا غلف داخل خزانة الخضر في برادك بالاقمشة لامتصاص الرطوبة الزائدة. بضع اسفنجات جافة تعطي النتيجة نفسها.

لا ترمي اوراق الكرفس بل جففيها ثم انخليها كالدقيق لاستخدامها لاحقاً في تطييب الحساء والمقالي والسلطة.

الخضر

اقطعي رؤوس الجزر قبل حفظه. فالرأس يمتص الرطوبة من الجزرة فتغدو هشة وجافة.

يمكن طهو عروق البروكولي (القنبيط الافرنجي) في المدة نفسها اللازمة لنضج الزهرة اذا فتحت في اطراف العروق اخاديد متقاطعة في شكل علامة الضرب (X).

اذا حفظت البصل في الثلاجة فأنك توفرين على نفسك مقداراً من الدموع التي تذرفينها لدى تقطيعه.

لكي تحفظي للشمندر لونه الاحمر الزاهي، اسلقيه كاملا مع حوالى خمسة سنتيمرات من ساقه. اضيفي قليلا من الخل الى الماء الذي يسلق فيه كي لا يبهت لونه.

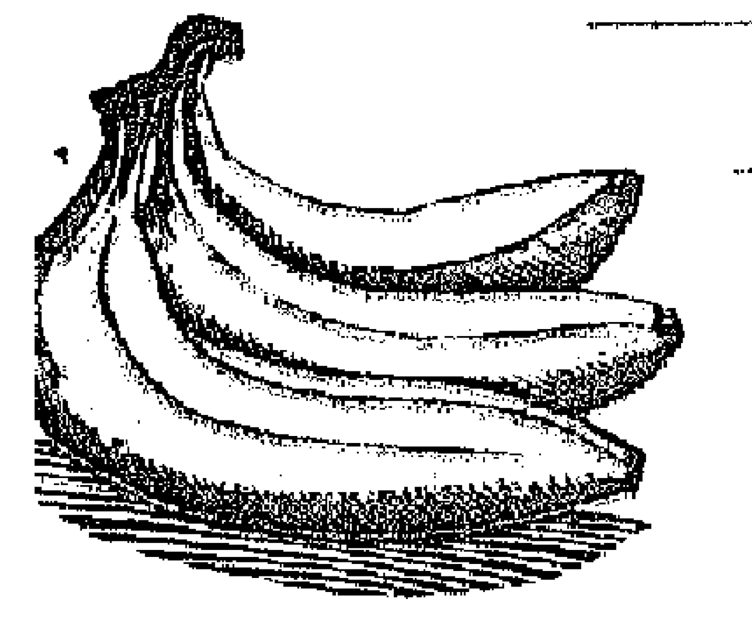
الجبن

للاحتفاظ بالجبن طرياً لفي الاجبان الصلبة بقطعة من القماش مبللة بالخل.

السكين الكليلة تصلح لقطع الجبن اكثر من السكين الماضية. سخني شفرة السكين فيصبح قطع الجبن سهلا كقطع الزبدة.

لكي تمنعي الجبن من التصلب افركي الجانب المقتطع منه بقليل من الزبدة.

الثمار



اخزني الموز في البراد بعد نضجه. فالبرودة تجعل لون قشرته قاتماً لكنها لا تؤذي الشحمة.

اذا كنت تحتاجين الى قطرات قليلة من عصير الليمون، اغرزي شوكة في عقب الليمونة واعصري من الثقب المقدار الذي تحتاجين اليه.

ثمار الدراق تنضج بسرعة اكثر اذا حفظتها في علبة وغطيتها بورق الصحف (هذا يحفظ الغاز داخل العلبة ويساعد في النضج).

السمك

ضعي السمك المجلد في الحليب ليذوي. فالحليب يستخرج منه رائحة التجليد ويعطيه نكهة السمك الطازج.

قبل تنظيف السمك افركيه بالخل. هكذا تنزع الحراشف بسهولة اكثر.

لازالة رائحة السمك عن يديك، افركيهما بالخل والماء أو بالملح والماء.

اللحم

لمنع رقائق اللحم من الالتصاق بعضها ببعض، لفي المجموعة في شكل أنبوب واربطيها بشرائط من المطاط قبل وضعها في البراد.

لصنع شطائر "همبورغر" أندى وأطيب، ضعي مقدار ملعقة من الجبن في داخلها.

لكي تزيلي طعم الملوحة الزائدة من اللحم المقدد، ضعيه قليلا في الفرن واستخرجي منه العصارة ثم اسكبي فوقه كأساً من شراب الزنجبيل واعيديه الى الفرن حتى ينضج تماماً.

لكي تطري اللحم القاسي افركي جوانبه بمزيج من الخل والزيت وانقعيه مدة ساعتين قبل طهوه.

الحساء والملح

اضيفي الى الحساء زلال بيضة واحدة مع قشور بيضتين او ثلاث واغليها لمدة عشر دقائق ثم صفيها. ذلك يجعل الحساء أنقى.

لمنع ثقوب المملحة من الاسنداد، ضعي داخل المملحة بضع حبات من الرز الابيض غير المطبوخ او المعالج.

من الافضل ان تضيفي الملح الى الحساء والمقالي في بداية عملية الطهو.

التنظيف

لتوفير الوقت - والمال - استعملي المنظف الرخيص الثمن لتنظيف الاطباق وأضيفي اليه بضع ملاعق من الخل. فالخل يحلل المواد الدهنية ويجعل الاطباق نظيفة وبراقة.

لتنظيف اناء قهوة زجاجي أسقطي فيه بضعة مكعبات من الجليد ورشي فوقها قليلا من الملح ثم خضي الوعاء بلطف حتى ينظف.

لازالة روائح البصل والثوم ومستحضرات التنظيف عن يديك ضعي اصابعك الخمس حول مقبض ملعقة من الفولاذ الذي لا يصدأ ثم دعي الماء البارد ينصب فوق اصابعك فيما انت تفركينها بلطف.

بعد الحفلة

تمكن ازالة بقع الشمع عن السجاد بوضع كيس من الورق الاسمر الخشن فوقها ثم تمرير مكواة حامية بخفة على الورق.

الشموع المشتعلة تساعد في ابقاء جو الغرفة خالياً من عبق دخان التبغ.

عندما تظهر شقوق صغيرة على اقداح الخزف الصيني، سخني الاقداح في الحليب مدة ٣٥ او ٤٠ دقيقة. فالبروتيين في الحليب يملأ هذه الشقوق فلا تعود في العادة تبدو للنظر.

تمكن ازالة ثلم صغير في حافة كوب زجاجي بحكه على حجر او ورقة صقل.

القطط والحشرات

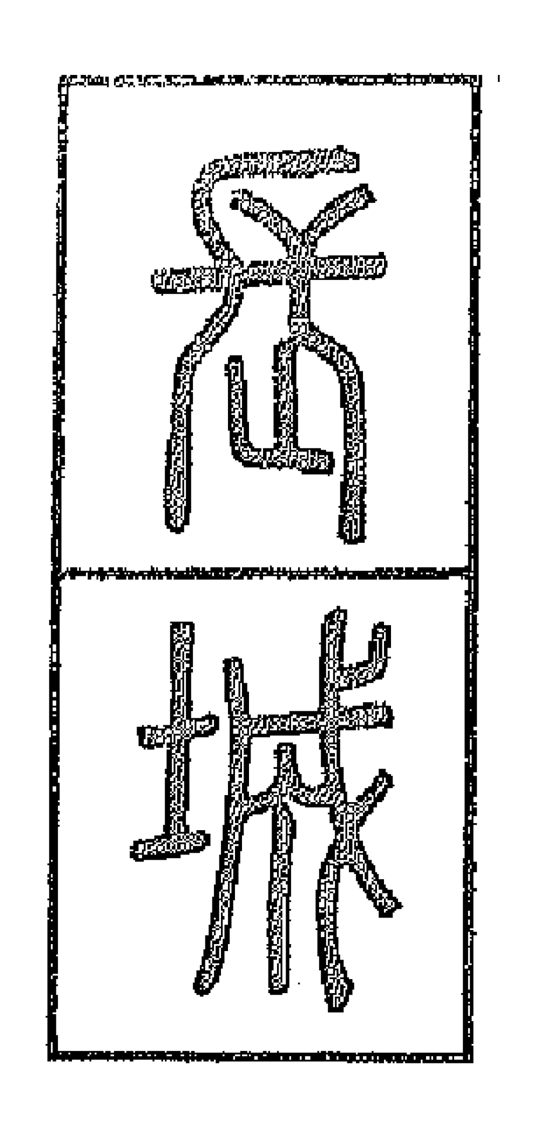


اذا كانت قطتك مولعة بخدش اثاثك الخشبي، افركي المكان بصلصة الفلفل الاحمر ثم امسحيه حتى يلمع. اكثر القطط تعاف هذه الرائحة وتبتعد عن الاثاث.

بعض كرات النفتالين في وعاء القمامة يزيل الروائح ويبعد الحشرات.

■ ماري ايلين

"الجدار العظيم" كما كتب في مخطوطة امبراطور الصين الاول.



انه احد اعظم الانجازات الهندسية في العالم. لكن وراء عظمته انهاراً من الدمع والدم

جدار الصين

اذا زرت جدار الصين العظيم يوماً، فاعلم أنه لا صورة فوتوغرافية ولا وقفة عند أيّ جزء منه يمكن أن تلتقطا سوى مقدار ضئيل منه. فالجدار الذي يطوق نسبة جزء من عشرين من محيط الكرة الارضية ممتداً من المحيط الهادىء الى صحراء غوبي هو أحد أهم الانجازات الهندسية في تاريخ الجنس البشري. ويقال ان المواد البنائية التي يحتوي عليها كافية لاحاطة الارض عند خط الاستواء بحاجز يبلغ ارتفاعه مترين ونصف متر وكثافته متراً واحداً.

امبراطور الصين الاول.

أَضِفْ الى هذا أن الجدار هو من أغرب البدع المعماريّة في التاريخ. فهو يتعرج عبر السهول والاودية والجبال، ثم ينحدر في الممرات الضيقة ويقفز فوق الانهار الهائجة، قاطعاً مسافة ستة آلاف كيلومتر. ولا أحد يعرف سبب هذه التعرّجات. ومن النظريات القديمة واحدة تقول بأن الجدار بُني لتخليد الطريق التي قطعها جواد اسطوري للامبراطور أو تنين سماوي جاء ذكرُه في الخرافات.

لكن الجزء الذي يحظى بزيارة معظم السياح هو مجاز بادالينغ الواقع على مقربة من العاصمة الصينية بكين. وقد شيد بحجر

Engraving from «Chine» by M.G. Pauthier, Librairie de Firmin, Didot (Paris) 1800.

الصوان الرمادي بارتفاع ستة أمتار، وجُعل في اعلاه حاجزان طويلان يرتفعان متراً ونصف متر وتتوسّطهما طريق معبّدة يكفي عرضها لمرور خمسة أحصنة تسير جنباً الى جنب. وفي أجزاء اخرى منه، يرتفع الجدار الى علوّ شاهق وهو قائم على قطع كبيرة من الحصى. وقد اضطرّ بعض المستكشفين الى استخدام الحبال او التعلق باذيال البغال للوصول الى اماكن منه ترتفع نحو ثلاثة كيلومترات في الجبال. وان طريقة رفع حجار الصوان، التي يوزن الواحد منها طنين، ما زالت لغزاً يحير العلماء، فالآلات لم تكن معروفة في تلك الايام. وتقول الاساطير الصينية ان هذه الجلاميد حملت على ظهور الماعز الجبلي الى ذلك الارتفاع.

ولا ريب في أن المعماريين استخدموا كل ما تيسر لهم من موادّ لاقامة الجدار. ففي السهول والهضاب استعملوا الطين والخشب أو حفروا الجدار في التلال الطبيعية ثم لبّسوه بالحجار. وفي الصّحارى لجأوا الى الرمل والحصى والاماليد التي كسوها بالآجرّ. وهذه الاجزاء الصحراوية تداعت على مرّ الزمن. وفي أمكنة اخرى اضمحلّ الجدار ولم يبقَ له اثر، لان السكان المحليين استخدموا حجاره لتشييد منازلهم.

ومما بقي حتى اليوم عدد كبير من الابراج التي ترتفع ١٢ متراً والتي كانت ٢٥ ألفاً في الاساس. وهي بُنيت متراصة وفي أماكن حساسة لتمركز الجند. وفُتحت فيها كوى لرمي السهام القوية التي يمكن أن تخترق دروع الغزاة، أو لقذف الكرات الحجرية التي لها فعل الرّصاص. وكان في وسع الجنود نقل أي رسالة من أقصى الامبراطورية الى أقصاها خلال ٢٤ ساعة، عبر بثّ الدخان نهاراً والنور ليلا من كوة الى كوة، على امتداد تلك الابراج التي كان واحدها يبعد مئتي متر عن الآخر.

وقد أُقيمت مواقع حصينة عند النقاط الحسّاسة. وفي العصر الذهبي للجدار، ربما كان ممكناً ايواء مليون جنديّ خلف أسواره الواقية.

ست ولايات – تبدأ قصة جدار الصين العظيم في القرن الثالث قبل الميلاد، يوم كانت الصين مقسّمة ستّ مقاطعات متحاربة، يحمي كلا منها جدار خاص. ولو استمرت الحال هكذا، لتحولت تلك الولايات مجموعة من البلدان المستقلة تقطنها فئات عرقية متنوعة تتكلم لغات مختلفة.

الا أنّ مصير الصين شهد تحوّلا عام ٢٤٦ قبل الميلاد، عندما ارتقى عرش مملكة الصين شبه المتمدنة، في الطرف الغربي من المنطقة، فتى في الثالثة عشرة هو ابن راقصة يُقال انها كانت حبلى به عندما غدت محظية الملك. وقد وُصف الملك الفتى بأنه كان "ذا أنف عال مستدقّ وعينين مشقوقتين وصدر كصدر حمامة وصوت كالذئب وقلب كالنمر." كما كان يتمتع بعبقريّة سياسيّة وعسكريّة. وفي عهده شنّ قادة جيشه حرباً شعواء على الولايات المجاورة، وقتلوا ٤٠٠ ألف جندي من ولاية واحدة بعد استسلامهم، مما

حمل الصين «كلها على الخضوع لهم.

وأعدّ الامبراطور الشابّ تشين (صين) العدة لتوحيد البلاد بعدما اتخذ لنفسه لقب "امبراطور الصين الأول." وألغى الاقطاعية وأنشأ حكومة مركزيّة وفرض نمطاً واحداً من الكتابة يمكن أبناء المقاطعات جميعاً من فهم بعضهم بعضاً. كما ربط أجزاء الامبراطورية بشبكة مواصلات راقية وأقام سدوداً ضخمة للري وحفر القنوات لوصل الانهار وجعلها صالحة للملاحة.

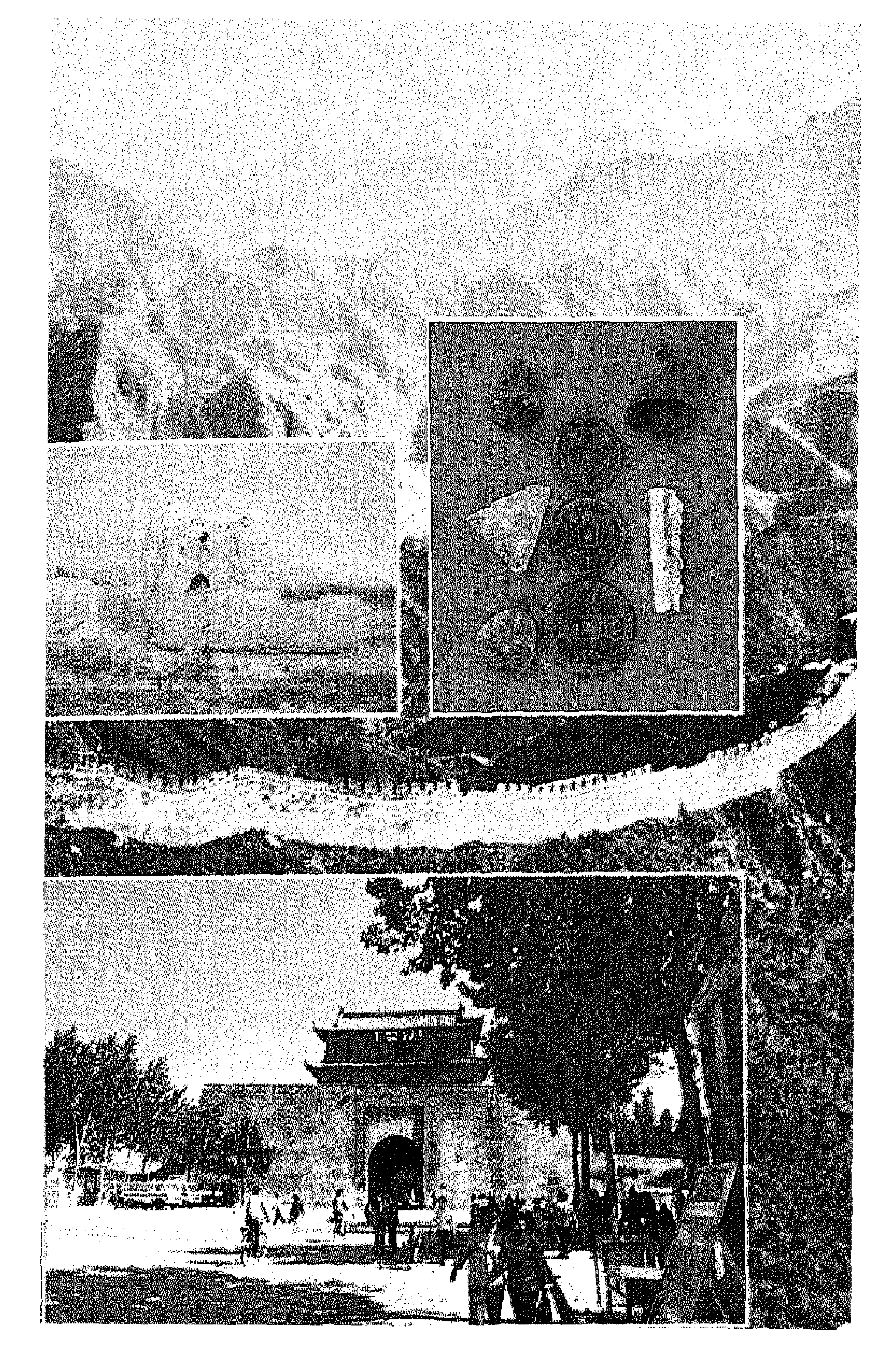
ومن أهمّ القرارات التي اتخذها هدم الجدران التي تفصل الولايات بعضها عن بعض باستثناء تلك التي تواجه الشمال. فهو وسع تلك الاسوار وزادها ٢٨٠٠ كيلومتر شرقاً وغرباً على طول الحدود. ومنذ ذلك الحين بات كل شيء شمال الجدار يعدّ "بربرياً" فيما حمل كل شيء الى جنوبه اسم "الصين" تيمّناً بسلالة الامبراطور.

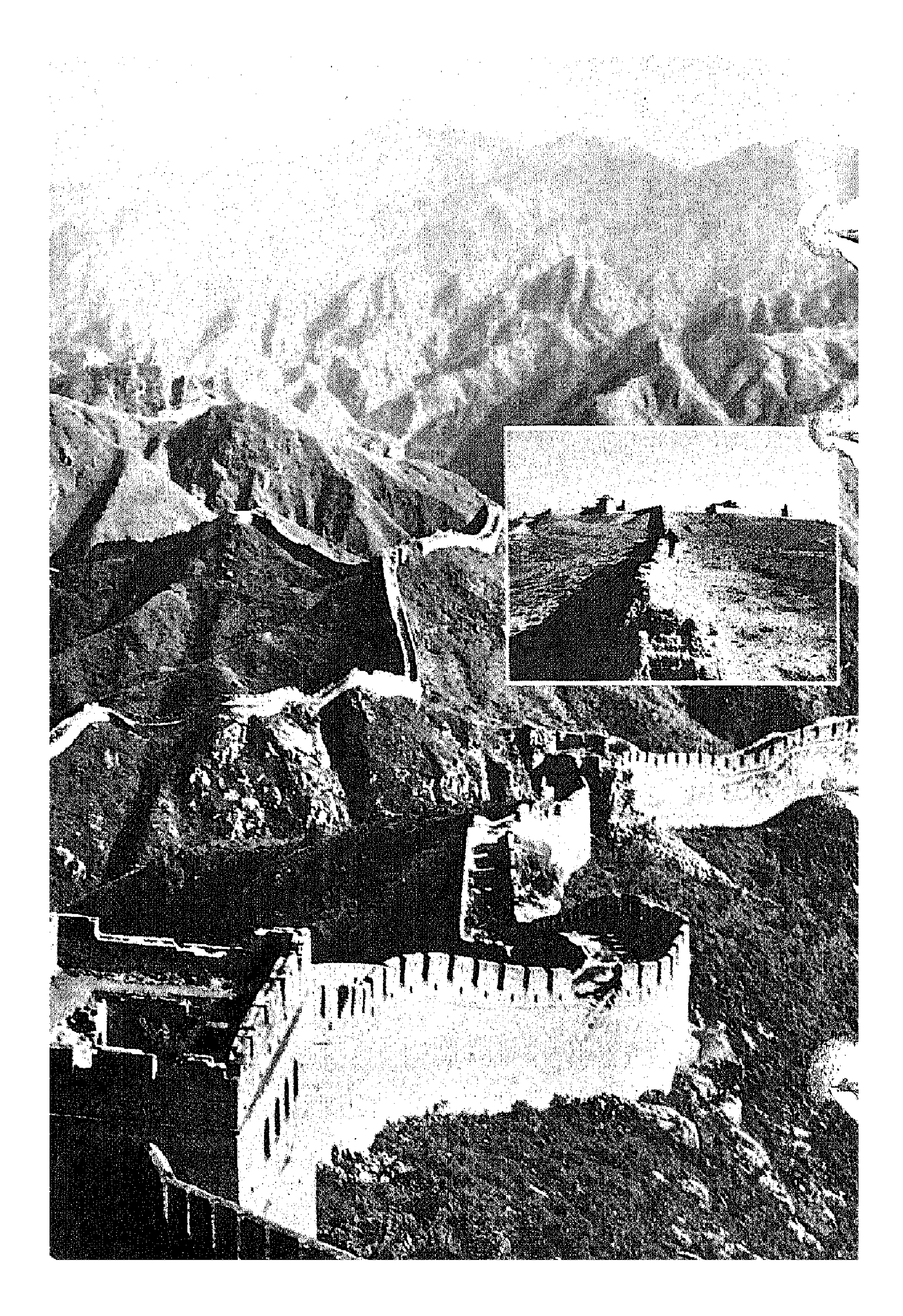
ولكن عوضاً عن تبجيله كمؤسس للامة الصينية، ظلّ اسم الامبراطور ممقوتاً طوال السنوات الالفين التي أعقبت وفاته. فهو، الى جانب صفاته الحميدة، كان مصاباً بجنون العظمة، وحاول فرض القوانين بالقوة. وقد أرغم جميع مواطنيه الذكور القادرين، وعدداً كبيراً من الاناث، على تشييد الابنية وخدمة الجيش الذي بلغ عدد أفراده الملايين الثلاثة. وفرض حظراً بلا شفقة على تعاليم كونفوشيوس وقتل العلماء والدارسين وأمر باحراق جميع الكتب سوى الطبية منها وما اتصل بالتنجيم والزراعة وتقريظ شخصه. وظل الآباء والامهات قروناً يهولون على أولادهم بذكر اسم تشين اذا هم عصوا أوامر كبارهم.

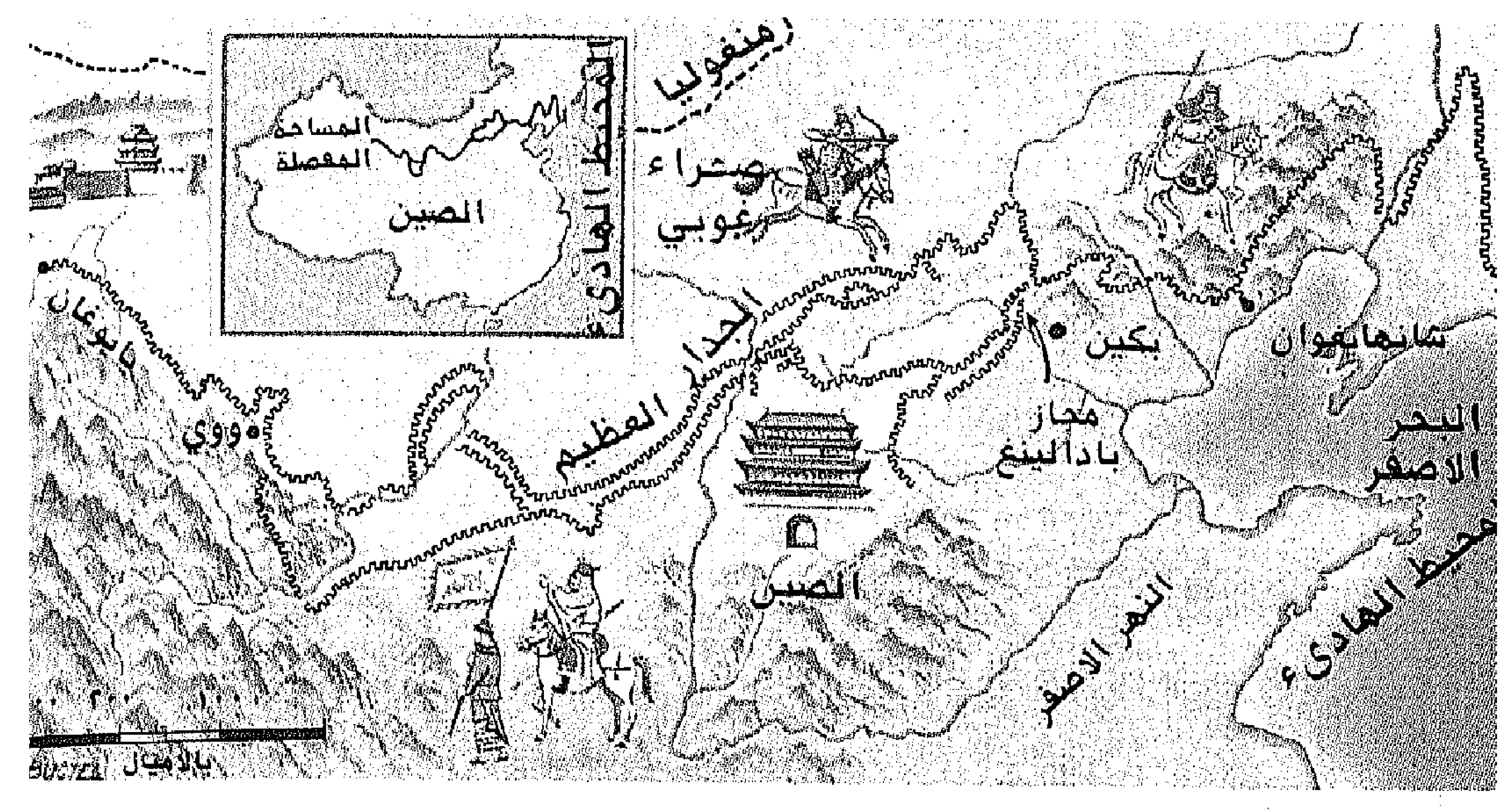
قصور وكنوز – العز الذي أحاط بالامبراطور يفوق التصديق. وكان قصره، البالغ ٢٤٠٠ متر طولا و٨٠٠ متر عرضاً، يحوي الوف الغرف، وبينها قاعة اجتماعات تضم عشرة آلاف مقعد وقسم للحريم يحوي أجمل فتيات الامبراطورية. وبعد تعرّضه لمحاولتي اغتيال على الاقل، بنى الامبراطور ٢٧٠ منزلا ملكياً على أرض يبلغ شعاع دائرتها مئة كيلومتر، ووصل أحدها بالآخر سرياً. وكان ينام كل ليلة في واحد منها.

ولا يقلّ جنوناً عن قصوره الضريح الذي بناه بالقرب من سيان خلال ٣٦ سنة. وبعد انجازه غُطي بتلة اصطناعية ترتفع ٤٥ متراً، وجُعل لها باب تم ستره على نحو حاذق بحيث لم يكتشفه أحد طوال ٢٢ قرناً. وبعد

صور الصفحتين التاليتين: منظر شامل لجدار الصين اذ يتعرج في جبل باداليغ الذي بقي موقعاً استراتيجياً طوال قرون. الصور الداخلية من اليسار: جزء من السور يؤدي الى حصن يايوغوان، آخر البوابات الى الغرب. برج لنار الارشاد في ووي. قطع نقدية واجراس نحاسية من القرن السابع عشر ومنتصف القرن التاسع عشر، وهي وجدت مع الحجار والطين في ثقب داخل الجدار. بوابة شانهايغوان في اقصى شرق الجدار العظيم، وقد نقش عليها ما يأتي: "البوابة الاولى في العالم."







اكتشافه عام ١٩٧٤ أصبح قبلة علماء الآثار. فقد أدى الى غرفة طولها ٢١٣ متراً وعرضها (٦١ متراً)، وفيها شخوص من خزف تمثل ستة آلاف جندي بأحجام طبيعية وفي صفوف عسكرية نظامية (★) كما عُثر أخيراً على عربتين يجر كلا منهما أربعة أحصنة ويقودها حوذي. وهي جميعاً من البرونز وذات أحجام طبيعية. ويتوقع علماء الآثار الصينيون أن تستغرق الحفريات اللاحقة عشرات السنين.

الا أن أياً من انجازات الامبراطور لم يكلف من الكدح والعذاب أكثر من الجدار العظيم. وقد جُند له نحو مليون عامل على نحو الزامي، وكان العديد منهم من صفوة مفكري الصين. وهم قضوا بعشرات الالوف بعد تعرّضهم للحشرات التي ملأت خيامهم ومواقع عملهم وهم عراة في الصيف ولابسون خرقا في الشتاء، وبعد ابتلائهم بالمرض والارهاق والجوع. وتُركت جثثهم في اسس الجدار، مع أجساد اولئك الذين دُفنوا أحياء لرفضهم التطوّع للعمل. لذلك سُمّي الجدار "أطول مقبرة على الارض." ولا يزال الصينيون ينشدون المراثي التي قيلت في اضطهاد نخبة علمائهم والحسرة التي عانتها أراملهم.

وكان من نتيجة هذا الجدار وسواه من النُّصب التي أقامها الامبراطور المهووس تخليداً لاسمه أن سلبت الصين طاقتها العاملة وأوقعتها في الافلاس. وانتفض المواطنون في كل مكان بعد عجزهم عن دفع الضرائب الفادحة واضطرار بعضهم الى بيع أولاده لتلك الغاية. وعند موت الامبراطور عام ٢١٠ قبل الميلاد، وهو في التاسعة والاربعين، نهبت قصوره المترفة وأضرمت فيها

(★) راجع "المختار" سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠، ص ١٨ "امبراطور الصين" جيشه من خزف.

Photos: Background Picture: China International Travel Service. Insets, clockwise from left: Jiayuguan Fortress and Wuwei Tower: Gen. Robert Lee Scott, coins: William Sonntag, Shanhaiguan Gate: Gen. Robert Lee Scott.

النار وحطّمت تماثيله. وأقصيت سلالته عن الحكم بعد ثلاث سنوات من وفاته، تلك السلالة التي كان يطمح الى أن يدوم ملكها عشرة آلاف جيل.

جدار الاجيال — وحده الجدار العظيم بقي على حاله. فالاباطرة اللاحقون من سلالة هان حافظوا عليه وكبروه. وتلاهم حكام أضافوا الى ذلك الجدار ٣٢٠٠ كيلومتر من الحصون والدعائم والجدران الفرعية. وهو اتخذ شكله الاخير في عهد سلالةمينغ التي امتدّ حكمها من ١٣٦٨ حتى ١٦٤٤ للميلاد.

ترى أكان الجدار يستحقّ التضحيات الجسام التي بذلت؟

ثمة من الصينيين من يقول ان الجدار، "وان ضحي بجيل كامل من أجل بنائه، خدم الاجيال التالية كلها." غير أن المؤرخين المحدثين يقولون أنه كان طويلا بلا مبرر وضعيفاً جداً في الصحراء الغربية. كما ان ارتفاعه فوق قمم الجبال لم يكن ضرورياً، اذ ان الجبال نفسها حصون طبيعية لا يقوى الاعداء على اختراقها. وينزع هؤلاء المؤرخون الى القول بأن الامبراطور تشين أقام الجدار تخليداً لاسمه. والحق أن التاريخ يدعم هذا الرأي. ذلك أن الاستحكامات الكثيرة على امتداد الجدار لم تمنع جحافل المغيرين من اختراقه مرة بعد اخرى، خصوصاً عام ١٢١١ للميلاد عندما اقتحمته جيوش جنكيز خان.

ولكن يبقى جدار الصين رمزاً سياسياً وحضارياً. فهو حافظ على وحدة البلاد في وجه الثورات الداخلية والغزوات الخارجية. ويكفي، للتمثيل على قوته الرمزية، أن نذكر حادثاً حصل عام ١٨٩٩ عندما نشرت صحيفة "بوست" الصادرة في مدينة دنفر (ولاية كولورادو الامريكية) خبراً لمراسليها في الصين مؤداه أن جماعة من المهندسين الامريكيين هم على وشك هدم الجدار. والخبر كان عارياً من الصحة، وقد لفقه المراسلون لقلة الاخبار لديهم. ولكن ما أن ظهر في الصحيفة حتى قامت ثورة البوكسر في أرجاء الصين التي وقع ضحيتها الوف الابرياء. والبوكسر جمعية صينية سرية حاولت طرد الاجانب من البلاد وحمل المتنصرين من أبناء الصين على الارتداد.

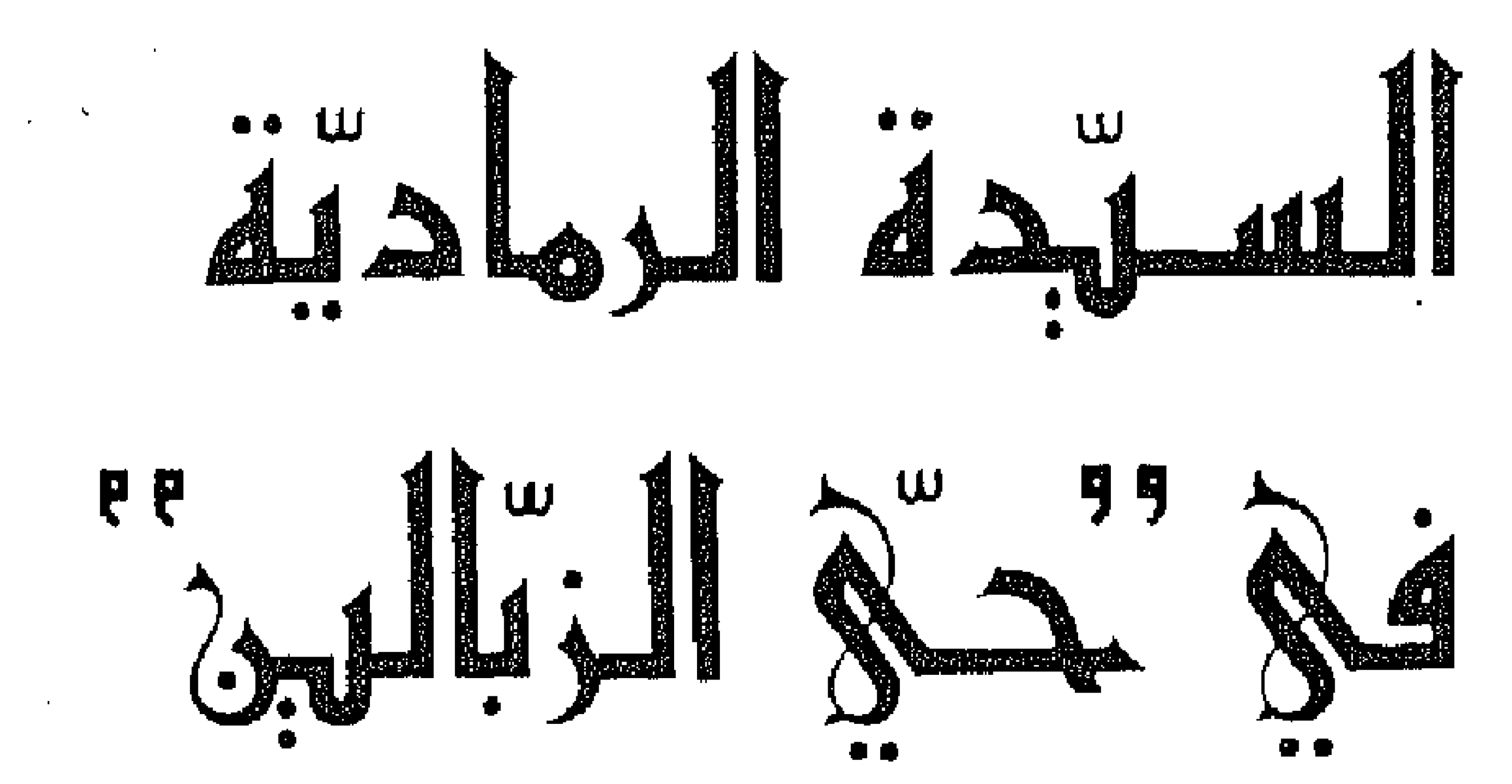
أما اليوم فالجدار العظيم يستقبل جميع الزوار ويغريهم على ارتياده بأعداد كبيرة. وهو غدا من أهم صلات الوصل السياحية والحضارية بين الصين والعالم الخارجي. والفضل يعود، أولا، الى غرور ذلك الامبراطور الطريف الذي أمر ببنائه.

■ رونالد شيلر

سياسة الربان

عندما يقول سياسي: "اننا جميعاً في قارب واحد"، فهو يبغي أن يلعب دور الربان فيما يجذف الآخرون.

ن.س.



السيّدة الرماديّة في "حيّ الزبّالين"

حي "الزبالين" في القاهرة كان بؤرة فقر وقذارة ، الا ان تضحيات الاخت ايمانويل ادخلت اشراقة فرح وامل الى حياة الوف البؤساء



Rachad el-Koussy.

عند بزوغ كل فجر تظهر امرأة طويلة ناحلة في ثوب رمادي ووشاح يحجب شعرها، وتشق طريقها بنشاط في المطرية احدى ضواحي القاهرة. وتدخل كنيسة مجاورة حيث تصلي لفترة وجيزة، ثم تركب القطار الكهربائي المزدحم الى طرف المدينة. بعد ذلك تحث الخطى نحو ٢٠ دقيقة فوق الطرق الرملية والترابية الى ما يعتبر اقبح لطخة في طبيعة مصر: كيلومتر مربع من الاكواخ تبتعلها القذارة والنتانة.

هذا المكان هو مستقر اربعة آلاف زبال (★). ويعيش هؤلاء "المنبوذون" في اكواخ من غرفة واحدة بلا نوافذ، تضم افراد العائلة الذين يتجاوز عددهم العشرة احياناً. بنيت جدران هذه الاكواخ ببراميل النفط المسطحة والاسمال والورق المقوى والتنك. اما سقوفها فمن سعف النخل التي سفعتها الشمس. وتجثم الاكواخ فوق كومة كبيرة من الحثالة في الصحراء، يحيط بها ركام من القمامة المتعفنة.

هنا ينهض مئات الرجال والاولاد في الثالثة صباحاً، فيشدون حميرهم الى عربات خشبية ويتوجهون الى المدينة لجمع قمامتها. وما ان تحل الظهيرة حتى يقفلون عائدين ليفرغوا حمولتهم، فيمحّصونها جاهدين علهم ينقذون اشياء يمكنهم بيعها او اصلاحها او اطعامها لحيواناتهم. اما ما تبقى فيترك ليتعفن او يحرق في نار داخنة من غير لهب.

وما ان تصل المرأة الرمادية حتى يتسلق الاولاد الحفاة الانقاض والزجاج المتكسر ليحيوها ممسكين باطراف ثوبها ومتشبثين بيديها. "ازّيكم؟" تسألهم وقد اشرق وجهها بابتسامته الواسعة المعهودة. وتمتد ذراعاها لتضما بضعة اجساد صغيرة. وتطل النساء من مداخل اكواخهن ويناديها: "يا ابلة!" (اي يا اختي الكبرى). فتحيي كلا منهن بعربية طلقة وتسأل عن عائلاتهن وتقدم كلمة عزاء اذا ما المّ باحد مرض وكلمة تهنئة صادقة على اي انجاز تحقق.

الحياة حلوة ـ هذا الطيف الذي ادخل اشراقه جميلة الى حياة "الزبالين" هو الاخت ماري ايمانويل. وهي راهبة فرنسية في الرابعة والسبعين كرست سنواتها الاثنتي عشرة الماضية لهؤلاء الذين تدعوهم بمحبة "اخوتي واخواتي الاربعة آلاف". وهي امرأة جليلة ذات عينين رماديتين وديعتين، سريعة القرار والتنفيذ، ولا تفتأ تردد: "يلاّ بينا! الحياة حلوة!"

كنت ارافقها مرة في ساعة ازدحام السير في القاهرة. فأوقفت السيارة فجأة ونزلت منها واندفعت عبر اربعة صفوف من السيارات، ثم قفزت فوق سياج وعبرت رصيفاً في محطة للسكة الحديد وعادت ساخطة لتعلن ان رزمة مهمة لزباليها لم تصل بعد. "كم اكره ان اخيب آمالهم..."

والزبالون ليسوا افقر فقراء القاهرة، لكنهم منبوذون. "فالاولاد لا يتلقون اي تعليم على الاطلاق لان آباءهم لا يسمحون لهم بالذهاب الى المدارس خارج قريتهم،" يقول الاخ بولاد، وهو مدير احدى المدارس

(★) في العامية جامع النفايات

الكاثوليكية في القاهرة وصديق قديم للاخت ايمانويل. ويضيف: "لا احد يقترب منهم او يسلم عليهم، باستثناء الاخت ايمانويل. عندما اتت ضمهم قلبها الكبير جميعاً. وقد سمعت زبالا يقول: انها المرة الاولى التي يبادرني احدهم بالتحية."

ان تكريس الاخت ايمانويل نفسها لخدمة الزبالين يعود الى ذاك اليوم من العام ١٩٧١ عندما اقترح عليها القاصد الرسولي في القاهرة آنذاك برونو هايم ان يذهبا لزيارة الحي الذي يقطن فيه زبال شاب. وهي تتذكر تلك الزيارة: "وجدت نفسي في صحراء من القاذورات. الارض مغطاة بقشور البرتقال، وهي الشيء الوحيد الذي لا تأكله الحيوانات. ورأينا هنا وهناك حيوانات نافقة. وكيفما تقلب الطرف ترَ نفايات متعفنة وتشم روائح نتنة." وتتذكر الاولاد: "الذباب غطى وجوههم الصغيرة التي لوّحتها الشمس. والتقط احدهم حبة بندورة متعفنة فصرخت به: لا تأكلها! لكن أمه ضحكت وقالت: انه معتاد عليها. وهذا ما آلمني فعلا... هؤلاء الاطفال... لقد تحتم علي ان افعل شيئاً من اجلهم."

وهكذا، في السن الثانية والستين، حصلت الاخت ايمانويل على اذن من الكنيسة ومن السلطات المحلية وسكنت قرية الزبالين. وشاركتها في كوخها الصغير الجرذان والصراصير، واصابت من الوان الطعام ما يأكله الزبالون يومياً من الفاصوليا والخبز والجبنة والفاكهة الفاسدة. امتياز واحد رضيت به، ان يكون لها حمام خاص هو سقيفة بدائية جعلت في ارضها حفرة.

في بداية الامر قضت ايامها تزور كل كوخ على حدة. تجلس القرفصاء على الارض وتشرب الشاي مع النساء وتلاعب الاولاد. لكن كسب ثقة الزبالين لم يكن بالامر السهل. فهؤلاء يرتابون بأي غريب، خصوصاً اذا كان اجنبياً. ويعلق هايم على ذلك قائلا: "كان العداء قوياً في البداية الى حد اشعرها بالعجز." وتقول هي: "تزرع العقبات في طريقنا لتشحذ قوانا وتصميمنا على الاستمرار. ولهذا ثابرت ولم ايأس."

المدرسة الاولى — على ما يظهر، ليس في حياة الاخت ايمانويل ما حضّرها لخوض مصاعب كهذه. فهي ولدت باسم مادلين سانكان في بروكسيل (بلجيكا) عام ١٩٠٨ من عائلة فرنسية موسرة. وبدا انه قدر لها ان تعيش حياة مريحة وسهلة. ولكن عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها نالت جائزة مدرسية هي كتاب عن الارساليات في افريقيا. وهي تتذكر: "منذ تلك اللحظة قررت ان اصبح واحدة من المرسلين." وعندما بلغت العشرين التحقت بأخوية "نوتردام دوسيون" واختارت اسم ايمانويل.

وبدأت الراهبة الشابة خدمتها بالتعليم في مدارس فرنسية في تركيا وتونس. وحازت شهادات جامعية في الفلسفة والدراسات اليونانية واللاتينية في بروكسيل واسطنبول وباريس. وفي منتصف

الستينات أرسلت الى مصر لتعلم في احدى مدارس الاسكندرية٠ ولكن بدلا من ان ينتمي طلابها الى الطبقات الفقيرة، فانها وجدت ان من يرسلون الى مدارس الراهبات هم ابناء الاغنياء٠ وازداد استياؤها من الوضع فطلبت مساعدة الاسقف هايم الذي اخذها في تلك الزيارة الى حي الزبالين٠

ولم تكن الاسابيع الاولى سهلة ابداً، اذ حاولت الاخت ايمانويل اختراق جدران الشك والكراهية٠ وحدث ذات ليلة ان عادت الى كوخها في ساعة متقدمة لتجد جرة الماء فارغة والمضخة مكسورة في الخارج٠ كان الظلام يغلف المدينة والجميع نياماً٠ وسمعتها احدى جاراتها تحاول صب الماء من المضخة، فجاءت اليها حاملة جرة ملأى٠ وتقول الاخت ايمانويل: "شعرت بارتباك شديد، فهي اعطتني الماء الذي عندها حتى النقطة الاخيرة٠"

وكان فعل المعروف هذا مؤذناً بتغير في تصرف الزبالين مع الاخت ايمانويل٠ وباتت النسوة يحيينها بحفاوة ويعرضن عليها الطعام٠ وهي لم تضع الفرصة، اذ اقنعت جاراتها بان يكنسن كوخاً خالياً، وصنعت من اقفاص خشبية قديمة مقاعد وطاولات٠ بعد ذلك طلبت من منظمة "كاريتاس" الخيرية في القاهرة منحة متواضعة اشترت بها اقلاماً واوراقاً، وجاءت بـ ١٢ طفلا الى حضانتها٠ وعلى الباب خط احد رجال القرية بحروف عربية واضحة: "الله محبة٠" وتشرق الاخت ايمانويل ببسمتها المعهودة وتقول: "هذه العبارة تختصر كل ما نفعله هنا٠"

شهادات قيمة — قبل انقضاء فترة طويلة اصبح الكوخ يعج باكثر من ٥٠ ولداً، وامنت "كاريتاس" لكل منهم ثوباً قطنياً ازرق وحقيبة من القماش٠ وتتذكر الاخت ايمانويل: "يداخلني شعور بالفرح لا يوصف عندما أراهم غاية في النظافة خمس ساعات في اليوم!" وفيما تعاظم فخر الاهل باولادهم، تضاءلت مخاوفهم من العالم الخارجي وبدأوا يسمحون لهم بمتابعة دراستهم في القرية المجاورة٠

وركزت الاخت ايمانويل خطوتها التالية على النساء٠ فبعد ان تقفل الحضانة في الاولى ظهراً، كانت تفتح صفاً لكل اللواتي يرغبن في تعلم الخياطة والحياكة والحبك (كروشيه)٠ وهن ترددن في البداية، لكن سبعين امرأة ثابرن على حضور صفوف بعد الظهر٠ بل ان بعضاً منهن اتقن استعمال آلة الخياطة، وهي هدية قدمتها صديقة سويسرية، وبدأن يعملن بالاجرة فيكسبن دخلا اضافياً واحتراماً جديداً للذات٠

وبقيت ساعات قليلة في النهار لا يستخدم خلالها الصف الضيق٠ فعكفت الاخت ايمانويل على دروس محو الامية للرجال والاولاد الكبار٠ ولم يأت احد بادىء الامر، فبعد يوم من العمل المضني كان الزبالون يفضلون ان يأكلوا ويعبثوا٠

لكن الاخت ايمانويل ثابرت على عملها الى ان جاءت قلة اخذت تزداد

كل يوم حتى ازدحم الصف واحرز تقدماً اضطرها الى تعيين استاذ محترف. وفي ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧، ذاك اليوم الذي تعتبره "اجمل يوم في حياتي،" قدم نائب وزير الداخلية المصري كمال خيرالله شهادات محو الامية الى ٣٦ زبالا. وتمكن كثير من هؤلاء "الخريجين،" وقد تسلحوا بهذه الوثيقة القيمة، من تدبر اعمال افضل في القاهرة.

ان جانباً من خطة الاخت ايمانويل في بناء مفهوم احترام الذات لدى الزبالين يكمن في اقناعهم بقدرتهم على تحمل مسؤولياتهم. لذلك، عندما جاءتها سيدة طالبة منها ان تصلي لابنها، المريض، اجابت: "سأصلي من اجل ابنك، ولكن عليك ان تراجعي الطبيب ايضاً." وقد فسر قولها صديقها مايكل توبين وهو ديبلوماسي بريطاني كان في القاهرة آنذاك: "ما ارادت قوله هو: سأقوم انا بدوري، وعليك انت ان تقومي بدورك ايضاً." ومع الوقت ادركت النساء مغزى كلامها.

رسائل من القاهرة — لم يكن في يد الاخت ايمانويل حيلة بالنسبة الى قذارة القرية لعدم توافر المال لتنظيفها. لكنها كانت مصممة على "انقاذ هؤلاء الاولاد من المحيط الموبوء اسبوعاً في السنة على الاقل." وفي العام ١٩٧٣ رفعت الى ممثل برنامج التنمية التابع للامم المتحدة في القاهرة طلباً بمنحة تبلغ ٨٠٠ جنيه مصري (نحو ٨٠٠ دولار). واشترت بذلك المبلغ حافلة صغيرة قديمة سمتها "مبروكة" وركبها ثلاثون من افضل تلاميذها لقضاء عشرة ايام قرب البحر في الاسكندرية. وتعود بها الذاكرة الى تلك الايام فتقول: "انفعل الاولاد عندما رأوا البحر للمرة الاولى." وبفضل تبرعات اصدقاء في الخارج والمساعدة التي قدمها جورج زكا، وهو سائق اجرة ترك عمله في القاهرة ليعمل بدوام يومي عادي، تنظم الآن بضع نزهات في السنة تتضمن رحلات للبالغين.

الاقبال على اجازات البحر هذه حفز الاخت ايمانويل على ايجاد مركز اجتماعي دائم خارج قرية الزبالين "لاعطائهم بديلا من محيطهم المخزي." وفي العام ١٩٧٥ طلبت مساعدة اسقف الاقباط اثناسيوس في مدينة بني سويف جنوب القاهرة. ووافق هذا على ان يرئس المركز المقترح، وسمح لخمس راهبات بالمساعدة. وبدأت التخطيط جماعة من المؤيدين المتحمسين للمشروع من مسيحيين ومسلمين.

وتلقت الاخت ايمانويل مساعدات من الخارج، فهي واظبت لسنوات عدة على ارسال ما سمته "رسائل من القاهرة" الى ٢٠٠ من الاصدقاء، ضمنتها وصفاً حياً لحياتها بين الزبالين. واذ تضاعفت التساؤلات عن هذا المركز الجديد، قررت الاخت ايمانويل الاجابة عنها شخصياً. وفي ١٩٧٦ باشرت سلسلة جولات لالقاء محاضرات وجمع تبرعات في اوروبا ثم في الولايات المتحدة وكندا. وتدفقت التبرعات. وقبل انقضاء

فترة طويلة جمعت الاخت ايمانويل مبلغ المليون دولار اللازم لبدء تنفيذ مشروع المركز الجديد.

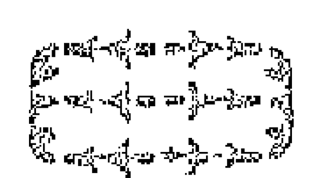
وبوشرت بعد ذلك مفاوضات مع السلطات المحلية حول موقع تبلغ مساحته هكتاراً واحداً ويبعد ٥٠٠ متر عن قرية الزبالين. وفي ٢٩ مارس (آذار) ١٩٨٠ رعت السيدة جيهان السادات، ارملة الرئيس المصري الراحل، حفلة تدشين البناء الاول وهو روضة اطفال من طبقتين.

ان اكثر من نصف المركز الذي اطلق عليه اسم "مركز السلام" اشرف اليوم على الانتهاء. وابنيته الستة المشادة بالاسمنت لا تخدم الزبالين وحدهم بل اهل القرى المجاورة ايضاً. ويزور المستوصف هناك نحو مئة شخص اسبوعياً، وقريباً يفتتح مستشفى للولادة وعيادة لطب الاسنان. ويضم بناء آخر صفوفاً للخياطة ومحو الامية. كما فرغ من العمل في مركز سيمنح مئة ولد فرصة تعلم بعض المهن كالسمكرة واللحام والتجصيص واصلاح اجهزة الراديو والتلفزيون.

وفي هذه الاثناء ما زالت الاخت ايمانويل تعمل ١٨ ساعة في اليوم لمراقبة برنامج العمل ومناقشة متعهدي البناء - وطبعاً زيارة اصدقائها الزبالين.

وقبل سنة، عندما اصيبت بذات الرئة، اقنعها بعض الاصدقاء بالانتقال الى شقة سكنية في ضاحية المطرية المجاورة. ولكن ما ان استعادت صحتها حتى لملمت حوائجها وعادت الى كوخها الحقير. وفي ذلك تقول: "أريد ان ابقى قرب اخوتي واخواتي. ففي محبتهم عرفت الحياة."

■ ديبورا كاولي



اصول المعاملة

اذا عاملت شخصاً كما هو، فهو يغدو أسوأ حالا. ولكن اذا عاملته كما يجب أن يكون، فهو يصبح ما يجب أن يكون.

غوته

المثابرة تمنح الرضا

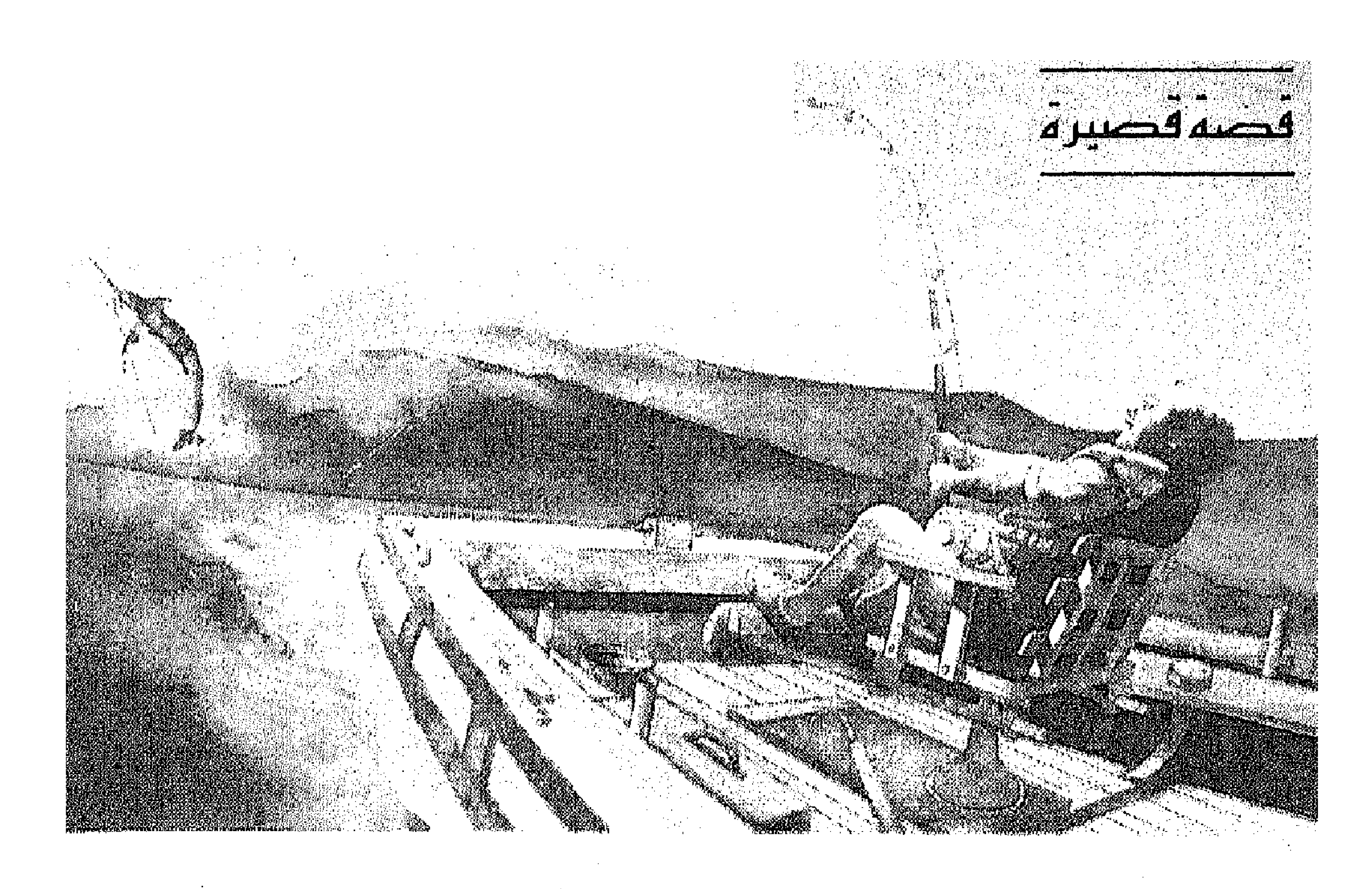
المرء لا يستحق الشفقة اذا كان يعمل بمشقة. الا أن الطبيعة تكافىء المثابر بأن تمنحه الرضا. وهذا ما يسعى اليه المتبطل عبثاً طوال ساعات اليوم الاربع والعشرين.

ونستون تشرشل

لكي يكون لك أصدقاء ثابتون، يجب أن تقضي وقتاً طويلا في اقامة الصداقة معهم.

هـ. ب.

قصة قصيرة



للمرة الاولى تمرد هذا الانكليزي
على زوجته وذهب في رحلة
صيد قلبت مجرى حياته

امبراطور المحيط الهندي

استيقظ رودجر مورغاترويد باكراً وجلس على شرفة غرفته في الفندق ينظر الى الشمس وهي تنهض من المحيط الهندي. وفي الداخل استقامت ادنا مورغاترويد في جلستها فوق السرير المزدوج، حيث علقت في شعرها المعاقص وراحت تتذمّر من بطء احضار الفطور الى الغرفة. والحق أن خدمة الفطور كانت تتم بسرعة قصوى.

ومنذ وصول الزوجين الى جزيرة

موريشيوس الاستوائية في اليوم السابق، ما برحت ادنا تشكو باستمرار كعادتها. الا أن الرجل الانكليزي كان مصمماً على الاستمتاع برحلته طوال ذلك الاسبوع.

عمل مورغاترويد مديراً لمصرف في احدى ضواحي لندن. وقد غطى المصرف نفقات تلك الرحلة مكافأة لمدير فرعه على كسب بضع مئات من الزبائن الجدد. وكان يرافق الزوجين رجل اسمه هيغينز، وهو شاب من المركز الرئيسي للمصرف كان ينتظر له مستقبل باهر. غير ان حماسة هيغينز للبقاء مع الزوجين انحسرت بسبب هجوم السيدة مورغاترويد الضاري، فآثر الانضمام الى جماعة من الشباب هناك.

وسرعان ما انسجم مورغاترويد بجو الجزيرة وعاداتها. وهجر فطوره المؤلف من البيض المقلي مع شرائح اللحم ليتناول الفاكهة الاستوائية مثل المانغا والباوباو على سطح الفندق، ثم يتجه الى الشاطىء. ونحو العاشرة كانت زوجته تلحق به الى كوخهما المسقوف بالقش، حيث لا تهدأ طلباتها للمرطبات والزيوت الجلدية، علماً أنها لم تجلس الا نادراً تحت الشمس. وكانت أحياناً قليلة تلقي بثقلها في بركة الفندق وقد حمت شعر رأسها بقبعة كبيرة، وهناك تسبح ببطء أمتاراً قليلة قبل ان تصعد من الماء.

صباح اليوم الثالث وقف مورغاترويد يراقب شاباً اسمر من نزلاء الفندق وهو يتزلج على الماء وراء قارب يركض على صفحة البحيرة الضحلة. وبدت العضلات في ذراعي الشاب وساقيه متراصة كما لو قدّت من شجر السنديان. وانطلق الشاب وقد حمل الهواء أصداء ضحكه. ونظر اليه مورغاترويد ملياً وهو يحسده.

ونظر الى جسده هو الذي كان، وهو في الخمسين، ممتلئاً ولكن يعوزه التناسق. وفكر في الأحد الذي تفصله عنه أربعة أيام. أجل، في ذلك اليوم ستحمله الطائرة الى غير رجعة. وربما أمضى في المصرف عقداً آخر من الزمن قبل أن يتقاعد.

والتفت حوله فرأى شابة جميلة تسير في محاذاة الشاطىء، فراح يتأملها باهتمام ملحوظ.

وللحال سمع صوتاً وراءه يقول: "لماذا لا تكفّ عن هذه الأفكار؟" وكانت تلك زوجته وقد تبعته الى الكوخ. وأضافت: "يا لها من فاجرة،" ثم استراحت في الظل.

وبعد عشر دقائق نظر مورغاترويد الى زوجته، فوجدها مستغرقة في رواية غرامية اخرى. وطالما تساءل عن نهمها الى هذا الضرب من الأدب الخيالي، في حين أن العاطفة بعيدة عن حياتها الشخصية. انّ زواجهما، حتى في أيامه الاولى، غاب عنه الحب الصحيح. وهي اعترفت له بأنها لا تقر "هذا النوع من الحب." وهكذا وجد نفسه، طوال عشرين سنة، أسير زواج خال من الحب ومليء بالرتابة التي لا تكسرها سوى المناوشات.

وكان أن تبعه هيغينز الى ردهة الفندق مساء الجمعة، وسأله وهو يهمس في اذنه: "هل اصطدت السمك في حياتك؟"

- كلا! بالتأكيد لا! فان ادنا لا توافق على ذلك البتة.

"لا تخبرها اذاً."

ووقف مورغاترويد مشدوهاً حيال ما يسمع، وتجمدت أوصاله. ثم تذكر الشاب الأسمر المفتول العضلات الذي رآه يتزلج على الماء. وقال لزميله: "أجل، سأرافقك الى صيد السمك. ولكن متى؟"

الامبراطورة — في الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي، تسلل مورغاترويد من سريره وألقى نظرة على زوجته. كانت مستلقية على ظهرها كالعادة، وهي تغطّ في نومها والمعاقص لا تزال مشدودة في شعرها. وارتدى ثيابه ثم خرج بهدوء الى الردهة. حيث وجد هيفينز واندريه كيليان في انتظاره، وهو دليلهما الطويل من جنوب افريقيا. وانطلقوا في السيارة عبر الدروب الريفية المظلمة الى مرفأ صغير حيث استقلوا قارباً خشبياً قديماً.

وقال كيليان: "هذا القارب اسمه "آفان" وربانه هو السيد باسيان. أما النوتيّ فهو حفيده جان - بول."

وهزّ الربان رأسه تحية، ثم أدار المحرك وأخذ يعبر البحيرة ببطء في اتجاه البحر. وفي تلك الأثناء راح جان - بول يحضر قصبات الصيد.

ولم ينقضِ وقت قصير حتى تصيد كل من هيفينز ومورغاترويد سمكة، كانت كبراهما من البينيت الاسقمري ووزنها اربعة كيلوغرامات. ولما رأى العجوز باسيان أن في امكان الرجُلين استخدام عدة الصيد كما ينبغي، انطلق الى فسحة من المياه الزرقاء العميقة على بُعد كيلومترات. وهناك ترك دفة القارب في عهدة حفيده. واخرج ابرة وخاط زعانف السمكة الكبيرة بحيث بدت حية. وبعدما علقها في الصنارة وألقاها في البحر، عاد الى كرسيه عند عجلة القارب.

وارتفعت حركة المدّ وأخذ القارب "آفان" يعلو ويهبط مع الأمواج العملاقة. وبُعَيْد التاسعة صباحاً، اهتزت قصبة الصيد وأخذت البكرة تدور والخيط ينزل الى أعماق البحر.

وقال كيليان لمدير المصرف: "لقد حان دورك."

أخذ مورغاترويد البكرة وحاول ان يوقف حركة الخيط، لكنه بقي يغوص بسرعة.

وخاطبه الدليل: "أوقف ذلك والا أتت تلك السمكة القوية على الخيط كله."

وأوقف مورغاترويد انسياب الخيط حتى لامس رأس القصبة الماء. واذ ذاك نظر كيليان الى مقياس التوتّر، فوجد أنه يعادل ٤٥ كيلوغراماً. وقال: "هذا ذروة ما يتحمله الخيط. انها سمكة كبيرة وقوية."

وقبض مورغاترويد على القصبة بكلتا يديه وركز أخمص حذائه الخفيف على أرض القارب وتراجع الى الوراء. وبات عقب القضيب بين فخذيه على نحو عموديّ وعاد الخيط ينساب في الماء. واتكأ على حافة القارب محاولا وقف حركة الخيط. واستغرق ذلك دقائق ثلاثاً وقد بلغ طول الخيط في الماء ٦٠٠ متر.

وانبرى الربان باسيان قائلا: "انها سمكة مرلين." وهذا من السمك الاوقيانوسي الضخم.

وأضاف كيليان: "هذا النوع هو

الملك بين اسماك الصيد. وهو سيحاربك بضراوة لم تعرف مثيلا لها. والأفضل أن نجهزك بالعدة اللازمة."

وتقدم **كيليان من مورغاترويد** وألقى على كتفيه شبكة منسوجة من القنّب، وأتبعها بطبقتين مماثلتين فوق خصره. وللمرة الاولى أدرك **مورغاترويد كم كانت الشمس حارة**. وأحس ألماً حاداً في أعلى فخذيه، وتصببت قطرات العرق على ذقنه. وكان انعكاس الشمس فوق الماء سفع وجهه.

وارتفعت قصبة الصيد على مهل فيما السمكة تتبع القارب بسرعة شديدة لاتقاء الخناق المحكم عند **فمها. واستطاع مورغاترويد** استعادة خمسين متراً من الخيط. لكنه ما كاد يفعل حتى كرّت السمكة ضعفَي ذلك الطول.

وفي الساعة اللاحقة استعاد مورغاترويد الأمتار المئة ثلاث مرات، لتعاود السمكة اخذها كل مرة. أما هو فكان يتعلم معنى الألم. وارتجفت أصابعه وسرى الألم الى معصميه ومنهما الى كتفيه. وكانت الشبكة تؤذيه أينما لامسته. وقال وهو يصر أسنانه: "اعتقد أنه لا يمكنني تحمّل المزيد."

وحفزه كيليان على الصمود، وأضاف: "هنا يكمن مغزى المعركة: أن تتحلى السمكة بالقوة بينما تتحلى أنت بالعدة والدّهاء. وبعد ذلك تتغلب احدى القوّتين على الأخرى."

ها هي آتية! – بعيد الحادية عشرة قبل الظهر بدت سمكة المرلين وهي **تجرّ الذيل للمرة الاولى. وكان مورغاترويد** سحب ٥٠٠ متر من الخيط. وفيما القارب يرتفع فوق موجة كبيرة، برزت السمكة الضخمة فوق المياه الخضراء. وفتح مورغاترويد فاه مشدوهاً وهو يرى فم السمكة المستدق يتجه نحو السماء. وكانت زعانفها المزيّنة الأنيقة تشبه عرف الديك، وقد انتصبت وتبعها بدنها المتألق. وبدت كأنها تقف على ذيلها المعكوف كالهلال. ثم اهتزّ جسدها العظيم كما لو كانت تمشي. وبقيت بضع ثوان على تلك الحال، تنظر الى اولئك الرجال من بين الزبد، قبل ان تخبيء رأسها تحت الموجة التالية.

وقطع العجوز باسيان الصمت بقوله: "هذه هي الامبراطورة!"

وأردف كيليان: "أأنت متأكد؟"

فهزّ العجوز رأسه.

وعاد كيليان يقول: "هذه السمكة هي بمثابة الاسطورة في هذه الديار. وهي سمكة مرلين زرقاء يبلغ طولها أربعة أمتار ونصف متر، ويظن ان وزنها يتجاوز الرقم القياسي العالمي وهو ٥٠٠ كيلوغرام. وقد افلتت من الشص مرتين، لذلك يسمونها الامبراطورة."

ومع تقدم العصر ضربت الشمس مؤخّر القارب بحدة فيما ظهر الهرم **والارهاق على مورغاترويد.** وسال الماء من راحتي يديه المقرّحتَين وحفرت خيوط الشبكة المبللة بالعرق كتفيه المحروقتين. وأكب فوق قصبة الصيد وهو يتحمل ألمه ويشعر بقوة ارادة لم يختبرها قبلا.

وكانت الامبراطورة على بُعد ٣٠٠ متر عندما وقفت تمشي على ذيلها

مرة اخرى وتقترب من القارب الذي كان يعبر قناة ضيقة. وصرخ كيليان اذ وجد الخيط رخواً: "شدّ الخيط والا أفلتت من الصنارة."

وراح مورغاترويد يشد وعيناه زائغتان. ودنا كيليان منه وتفرّس في وجهه الذي بات أحمر كحجر الطوب. ونزلت دمعتان من عيني مورغاترويد نصف المغمضتين وانحدرتا على خدّيه المترهلين. وربت كيليان كتفه وقال: "دعني آخذ عنك قليلا. ويمكنك ان تستأنف بعد ذلك."

وفتح مورغاترويد فمه ليتكلم، فانفتح شقّ في شفته سال منه الدم الى ذقنه. ثم قال: "انها سمكتي. اتركني وشأني."

واستمر الصراع بين الاثنين: المصرفي الانكليزي وامبراطورة المحيط الهندي. وكلما سحبت الامبراطورة الخيط كان مورغاترويد يستعيد بعضاً منه.

وبلغ ارهاقه حدّ الهذيان. وفي الرابعة والنصف بعد الظهر كان انقضى على صراعه سبع ساعات ونصف ساعة. وبات وشيكاً ان يستسلم احد الطرفين. وفجأة ارتخى الخيط. وسحبه مورغاترويد، فأتى نحوه دونما مقاومة.

وبرز كيليان في مؤخر السفينة وصاح: "ها هي الامبراطورة تأتي مطواعة."

وكان البحر هادئاً ذلك الوقت. وهرع جان - بول وهيغينز، الذي كان مصاباً بدوار البحر طوال فترة بعد الظهر، ليراقبا ما يجري. وأوقف باسيان المحرك وأقفل عجلة القيادة.

ووقف الجميس ينظرون بصمت. وأمكنهم ان يتبينوا جسد الامبراطورة الضخم بوضوح على بعد عشرين متراً فقط. وانتصبت زعانفها الأنيقة قليلا قبل أن تستسلم.

للمرة الاولى في ثماني ساعات أمسك مورغاترويد القصبة بخفة. وراح يفك شبكة الصيد التي تطوّقه وهو يصارع الألم. ووقع على ظهر القارب وهو لا يقوى على المقاومة. أما الأربعة الآخرون فوقفوا عند حافة القارب ينظرون.

وعلى صفحة الماء اضطجعت الامبراطورة على جانبها وهي مرهقة حتى الموت. وقفز جان - بول الى الحافة وقد رفع رمحه الشائك تحفزّاً.

وصرخ مورغاترويد بصوت مُجْهَد أجشّ: "كلا!"

وتجمدت أوصال الفتى ونظر الى تحت. وهناك رأى مورغاترويد على يديه وركبتيه، وفي يده اليمنى التي هرست راحتها آلة لقطع الأسلاك. ورفع جسده واتكأ عند مؤخّر القارب. ثم أطبق الآلة على السلك وقطعه.

وصرخ هيغينز: "ماذا تفعل؟ انها ستهرب."

عندئذ هزّت الامبراطورة رأسها المنهك وغطست في المياه الباردة. وقلبتها موجة على بطنها، فغاصت في الماء وقد اهتز ذيلها مرتين قبل ان تعود الى موطنها الأمين المظلم في الاعماق.

وتنهد كيليان قائلا: "ايها المجنون!"

وحاول مورغاترويد الوقوف، لكن الدم سرى غزيراً الى رأسه ففقد الوعي.

شيخ الصيادين – عندما استعاد مورغاترويد وعيه كانت الشمس غابت فيما القارب "آفان" يدخل البحيرة في طريق عودته، ورسا القارب على رصيف المرفأ وقفز منه جان – بول نحو القرية، اما كيليان فاعان مورغاترويد على النزول الى اليابسة، قائلا له انه سيرافقه الى المستشفى اولا لاستشارة الطبيب.

سار مورغاترويد ببطء على الرصيف حيث وقف عدد من أهل القرية، كان أولهم السيد باسيان. وهزّ رأسه تحية للربان وابتسم قائلا: "شكراً."

ورفع العجوز قبعته وردّ التحية بالفرنسية: "أهلا بالمعلم." وبينما راح مورغاترويد يعرض صفّ القرويين، كان كل منهم يرفع قبعته قائلا: "أهلا بالمعلم."

وهمس مورغاترويد في اذن كيليان: "ماذا يقولون؟"

– انهم يحيونك ويطلقون عليك لقب معلم في صيد السمك.

"ألانني قبضت على الامبراطورة؟"

وابتسم كيليان وأجاب: "كلا! بل لأنك أعدتها الى الحياة."

كانت الساعة العاشرة ليلا عندما دخل مورغاترويد الفندق. وبدا منظره غريباً وقد طُليت ذراعاه ورجلاه بمحلول الكلامين الزيتي الذي استحال أبيض كالكلس بعد جفافه، ورُبطت يداه بقماش أبيض. وظهر احمرار وجهه الشديد تحت المرهم الذي طُلي به.

وسار بهدوء نحو الجمع الذي وقف لتحيته.

وقال أحدهم: "هنيئاً لك يا معلم."

وبدأ مورغاترويد صعود السلم نحو غرفته، وعندئذ برزت زوجته من صالة التجميل وقد لفتها الصخب الذي رافق عودة زوجها. وكانت أمضت النهار كله استعداداً لصبّ جام غضبها عليه بعدما حارت في أمره اذ لم تجده في خيمتها على الشاطىء كالعادة. وكان يعلو وجهها احمرار خلّفه الغيظ، لا نور الشمس، وقد تدلت العقائص من شعرها.

وصرخت بحنق: "مورغاترويد! هل رأيت شكلك في المرآة؟"

ونظر مدير المصرف الى زوجته من عل وفعل شيئاً لم يقدم عليه طوال تلك السنوات اذ صاح فيها:

"اخرسي."

وفتحت ادنا مورغاترويد فاها بذهول.

أما الزوج فتابع بهدوء: "لم تكفي عن تهديدي طوال السنوات الخمس والعشرين التي انقضت على زواجنا، بالذهاب الى اختك والعيش معها. حسناً. اني لن أثنيكِ عن هذا الأمر. لقد قررت البقاء على هذه الجزيرة."

وفي الردهة وقف الناس يتنصّتون وكأن على رؤوسهم الطير.

وأضاف مورغاترويد: "انك لن تكوني معوزة. فسأترك لكِ منزلنا وبعض المدّخرات."

وقال هيغينز بصوت متهدّج: "لا يمكنك أن تغادر لندن، اذ لن يكون لك ما تعيش عليه."

فأجابه مورغاترويد: "بلى، سيكون لي ما يكفي. فعندما عادني السيد

باسيان في المستشفى، تمّ بيننا الاتفاق الآتي: أن أبتاع قاربه بتعويضي التقاعدي ويبقى هو ربانه، فيغطي نفقات تعليم حفيده الثانوي والجامعي. أما أنا فسأكون نوتي القارب. وسوف يلقنني، خلال سنتين، طرائق البحر وصيد السمك. وبعد ذلك أكسب عيشي من أخذ السياح الى رحلات الصيد البحري."

وسأله هيغينز: "وماذا عن المصرف؟"

وأضافت ادنا مورغاترويد وهي تقول: "وأنا؟"

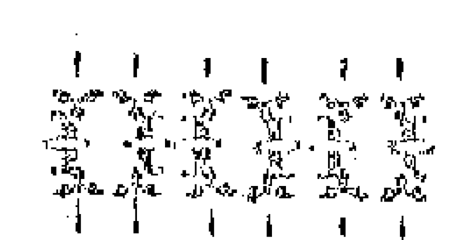
وبعد تفكير حكيم في كل من السؤالين، أجاب مورغاترويد:

"أما المصرف فليذهب الى الجحيم، وأما أنت، يا سيدتي، فالى الجحيم أيضاً."

بعد ذلك أدار ظهره وصعد الدرجات الأخيرة التي تفصله عن غرفته، فيما انطلقت صيحات النظارة اعجاباً واكباراً.

■ فردريك فورسيث

(مؤلف اثنين من الكتب الاكثر مبيعاً في العالم وهما "ملف الاوديسة" و"يوم ابن آوى")



كاتب اجباري

سئل الكاتب المسرحي الامريكي تيل سايمون كيف يرغم المؤلف نفسه على الكتابة، فقال: "عليك، اولا، بارسال زوجتك الى محل للملبوسات الباهظة الثمن."

ا.و.

مؤرخ بريطاني

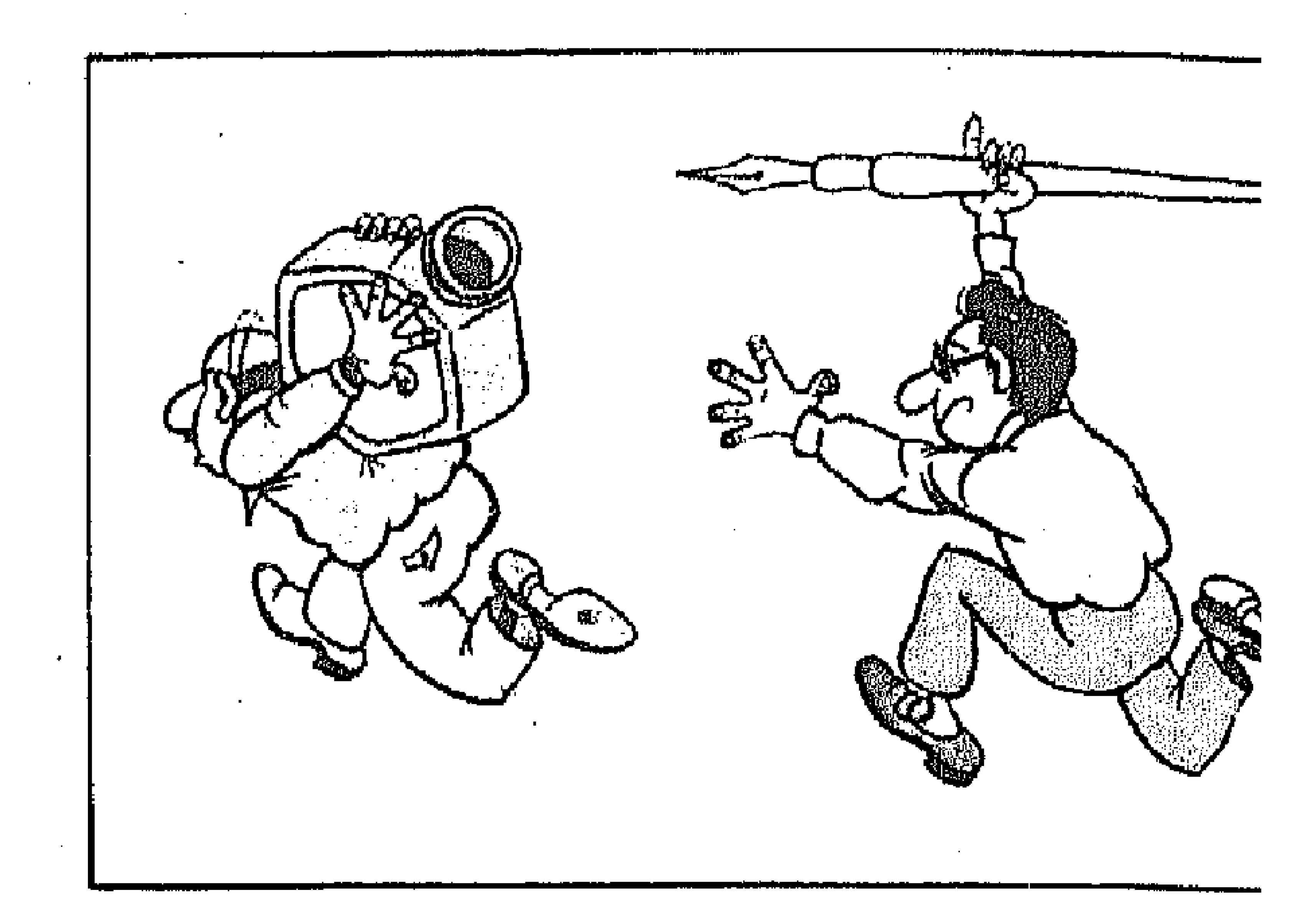
كانت دليلة سياحية ترافق عدداً من السياح الامريكيين الى قلعة وندسور البريطانية القديمة. لكنّ أزيز الطائرات طغى على كلامها. ولما انتهت سألها أحدهم: "ولماذا قرر مخططو المدينة بناء القلعة بالقرب من المطار؟".

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

العشاء البوليسي

قال الرجل لزوجته: "العشاء رائع اليوم! من علمك اعداد هذا الطبق؟"
ــ لقد عثرتُ على التعليمات في القصة البوليسية التي كنتُ أقرأها!

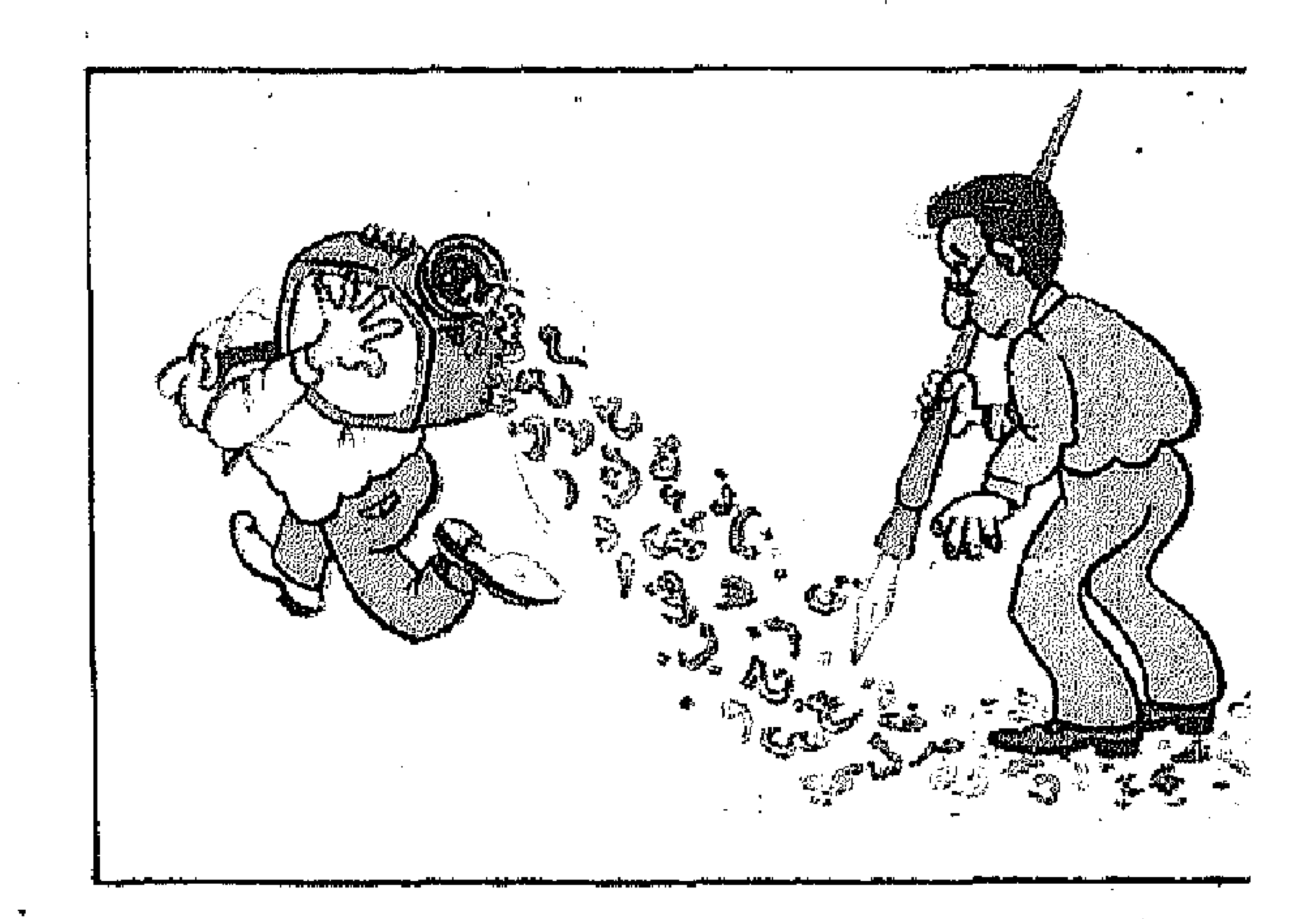
د.ت.ا.



دائرة المعارف

تضم هذه الدائرة اسماء عربية ما زالت شائعة، وقد وضع أمام كل اسم اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ – **هشام:** حراب – جود – نبات متكسر – نبيل.
٢ – **مها:** بقر وحشي – سهام – وجدان – عين واسعة.
٣ – **منذر:** مقتّر – صاحب نذر – بهلوان – محذّر.
٤ – **خَولة:** ملكة – جارية – ظبية – عطية.
٥ – **طارق:** فاتح – مسافر – زائر الليل – حدث مفاجىء.
٦ – **قابوس:** مصباح – رجل وسيم – نجم – حلم مريع.
٧ – **زُلفى:** منزلة – تودد كاذب – سقوط – من الزهور.
٨ – **بندر:** موضع درس القمح – ثمر – راية – مرسى السفن.
٩ – **عباس:** اسود اللون – مارد – كثير العبوس – فارس.
١٠ – **نجوى:** بوح – حمامة – رجاء – فؤاد.
١١ – **رَباب:** تلال – سحاب ابيض – اشلاء – رمل الصحراء.
١٢ – **حيدر:** ذو رفعة وخيلاء – ثعبان – حسن القد – اسد.
١٣ – **مروة:** صَدَفة – حجر صلب – شهامة – لبدة الاسد.
١٤ – **حاتم:** كريم – لا مناص منه – حاكم – بعيد.
١٥ – **ياسر:** سهل – مقبل – غزير – باسل.
١٦ – **ريّا:** ريح طيبة – شمس – حسناء – ارض خصبة.
١٧ – **كوثر:** زهر جميل – نور – شراب عذب – فردوس.
١٨ – **سريّ:** غني – صاحب وفي – حارس – سيد شريف.
١٩ – **وئام:** امومة – وفاق – اشارة خاطفة – ضيافة.
٢٠ – **غسان:** مطر هامر – امير – حدة الشباب – ذهب.
٢١ – **هيثم:** فم واسع – حمل ثقيل – اسد – صقر.
٢٢ – **شهلاء:** سريعة – رفيعة – ذكية – من خالطت سواد عينيها زرقة.
٢٣ – **منهل:** مورد – بدر – واسع – سيف.
٢٤ – **اميّة:** ام صغيرة – وطن – واسعة الوجه – جارية.
٢٥ – **رؤوف:** نازف – شديد الرحمة – رفيع – دامع.
٢٦ – **سُعود:** ارتقاء – حد السيف – يُمن – سواد العين.
٢٧ – **زينب:** شعر طويل – عفاف – نجم سيار – شجر طيب الرائحة.
٢٨ – **شاهين:** جبل عال – صقر – ملك – سيف مسلول.
٢٩ – **لميس:** عذراء – امرأة لينة اللمس – حنان – حساس.
٣٠ – **جعفر:** نهر – شعر جعد – مغبر – كريم.



الأجوبة الصحيحة

١ ٠ هشام: جود٠ هشيم: نبات يابس متكسر٠

٢ ٠ مها: جمع مهاة، وهي بقرة وحشية يشبّه بها في حسن العينين٠

٣ ٠ منذر: محذّر ومخوّف٠ ايضاً: الشيب لانه ينذر بقرب الاجل٠

٤ ٠ خولة: ظبية٠ الخؤولة: نسبة الى الخال٠

٥ ٠ طارق: زائر الليل، سمي كذلك لحاجته الى دق الباب٠

٦ ٠ قابوس: رجل جميل الوجه حسن اللون٠

٧ ٠ زُلفى: منزلة٠ تزلف: تقرب٠

٨ ٠ بندر: مرسى السفن٠ ايضاً: مدينة بحرية٠

٩ ٠ عباس: كثير العبوس، وهو من اسماء الاسد٠

١٠ ٠ نجوى: ما يباح به من اسرار الفؤاد٠

١١ ٠ ربّاب: سحاب ابيض٠ ايضاً: آلة طرب٠ رباب: اصحاب٠

١٢ ٠ حيدر: اسد٠ ايضاً: قصير٠

١٣ ٠ مروة: حجر صلب يعرف بالصوان٠ ايضاً: ريحانة٠

١٤ ٠ حاتم: حاكم٠ ايضاً: اسود٠ وهو لقب الغراب لانه يحتم بالفراق٠

١٥ ٠ ياسر: سهل٠ ايضاً: جزار٠

١٦ ٠ ريّا: ريح طيبة٠ الروي: حرف القافية٠

١٧ ٠ كوثر: شراب عذب٠ ايضاً: نهر يقال انه في الجنة٠

١٨ ٠ سري: سيد شريف صاحب مروءة٠

١٩ ٠ وئام: وفاق٠ يقال: لولا الوئام لهلك الانام٠

٢٠ ٠ غسان: حدة الشباب٠ غساني: رائع الحسن والجمال٠

٢١ ٠ هيثم: صقر٠ وقيل فرخ النسر او فرخ العقاب٠

٢٢ ٠ شهلاء: من خالطت سواد عينيها زرقة٠

٢٣ ٠ منهل: مورد٠ ايضاً: موضع الشرب على الطريق٠

٢٤ ٠ امية: خادمة ومملوكة٠

٢٥ ٠ رؤوف: شديد الرحمة٠ استرأف فلاناً: استعطفه٠

٢٦ ٠ سعود: يُمن وبركة٠ سعود النجوم: عشرة كواكب يقال لكل منها سعد٠

٢٧ ٠ زينب: شجر حسن المنظر طيب الرائحة٠

٢٨ ٠ شاهين: طائر من جنس الصقر طويل الجناحين٠

٢٩ ٠ لميس: امرأة لينة اللمس٠

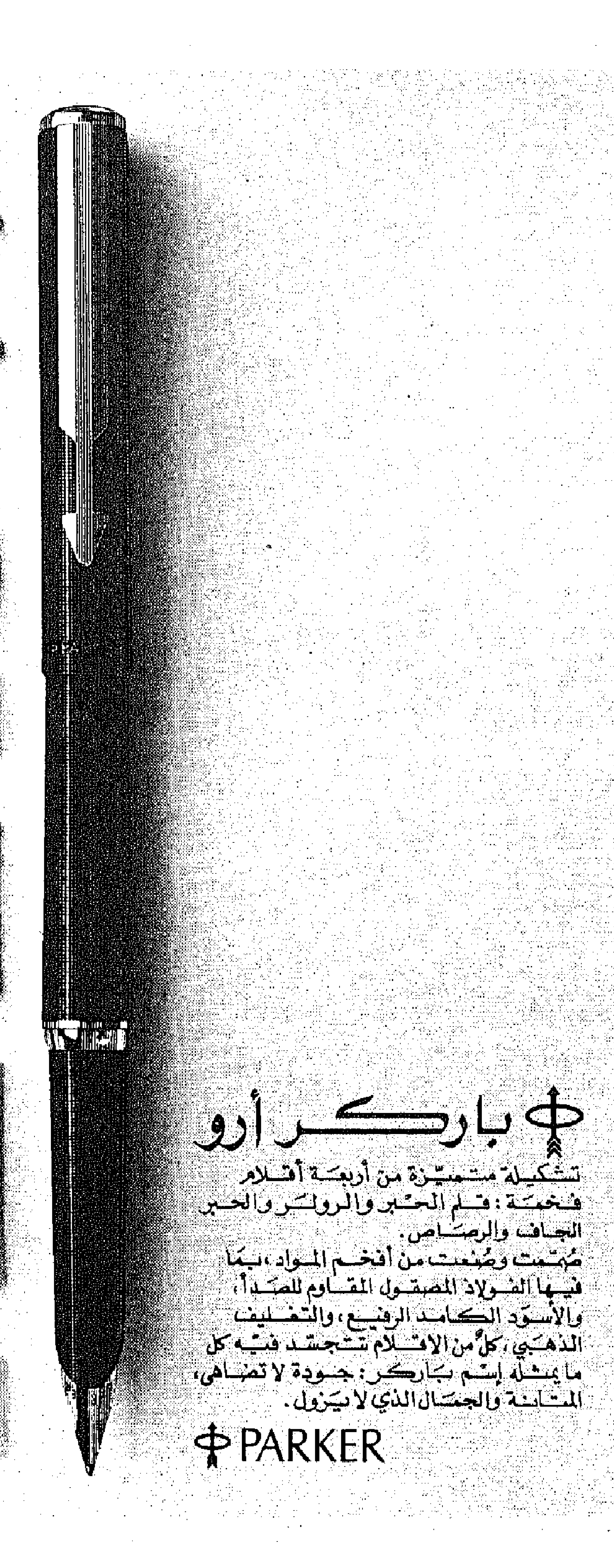
٣٠ ٠ جعفر: نهر٠ ايضاً: ناقة غزيرة٠

المستوى

٢٥ ـ ٣٠: ممتاز٠

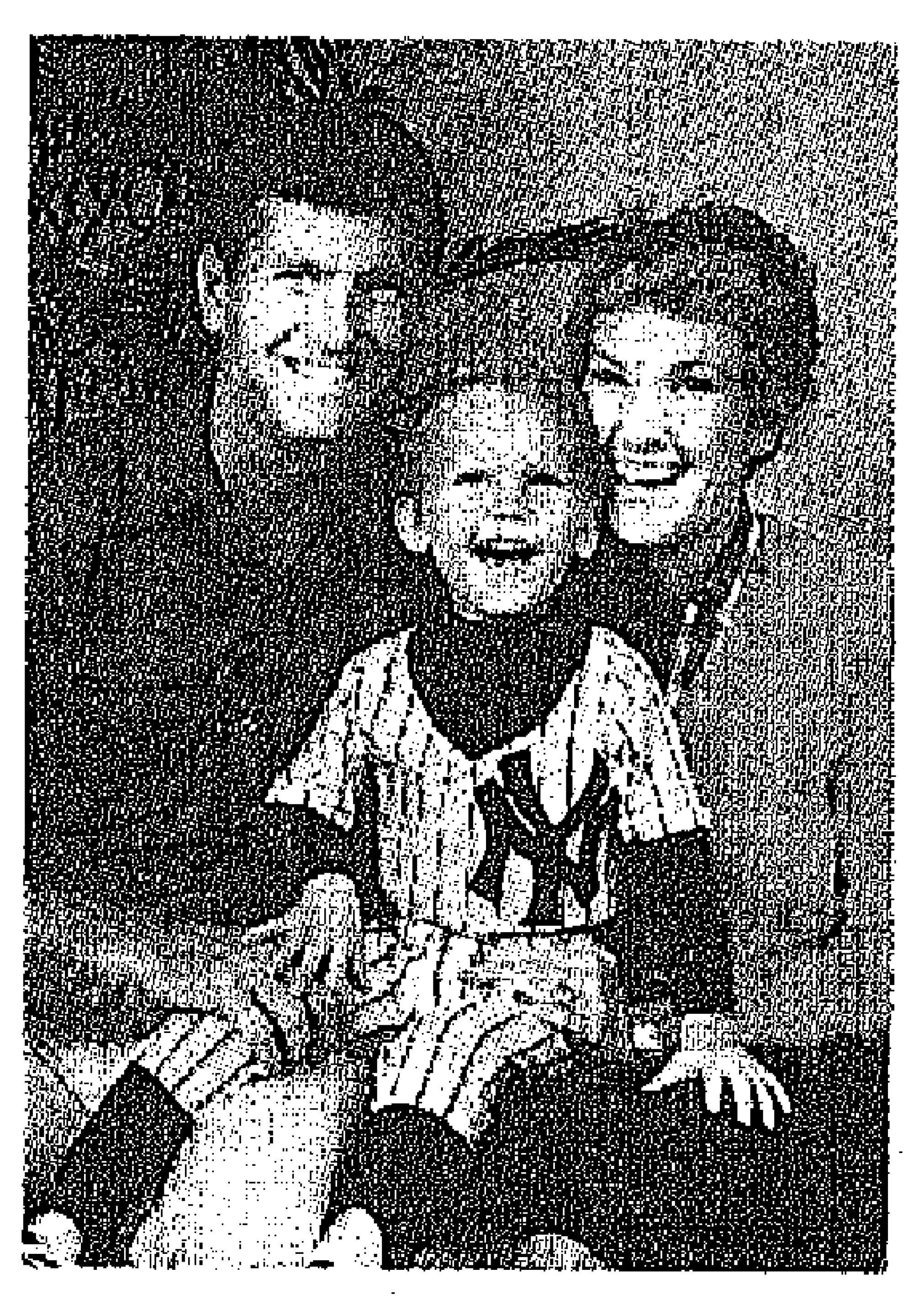
١٩ ـ ٢٤: جيد٠

١٣ ـ ١٨: مقبول٠



باركر أرو
تشكيلة متميّزة من أربعة أقلام
فخمة : قلم الحبر والرولر والحبر
الجاف والرصاص.
صُمّمت وصُنعت من أفخم المواد، بمَا
فيها الفولاذ المصقول المقاوم للصدأ،
والأسوَد الكامد الرفيع، والتغليف
الذهبي، كلٌ من الاقلام تتجسّد فيه كل
ما يمثله إسم باركر: جودة لا تضاهى،
المتانة والجمَال الذي لا يزول.
PARKER

سقط الصغير من نافذة الطبقة الثالثة وخمدت انفاسه، لكن تفاني ابويه وحب الناس وعطفهم حققت معجزة الشفاء


ترافيس جون ووالداه

الحبّ الشافي

في اوساط لاعبي البينسبول (كرة القاعدة) الامريكيين ينزع كل من يواجه مشكلة الى كتمان امرها، فيدعه الآخرون وشأنه. وعندما أصيب زوجي تومي بتمزق في اربطة العضل في ذراعه عام ١٩٧٤، هلع الجميع لهذه الاصابة التي هددت حياته المهنية وحدتنا على الانزواء تدريجاً عن اصدقائنا الذين اخذوا هم ايضاً يبتعدون عنا.

ولم أكن انا اختلف عنهم. فقبل ذلك بسنة، حين علمت ان صديقة لي مصابة بالسرطان، أصبحت أخشى رؤيتها، ولا اتصل بها الا نادراً. من المؤسف حقاً ان ندع المحن تفرق بيننا، كان هذا ما اعتدناه. ولكن في ١٣ أغسطس (آب) ١٩٨١، حين واجهنا اعظم رعب يمكن ان يلم بأبوين، حدث ما لم يكن في الحسبان.

كان تومي في رحلة مع فريق "نيويورك يانكيز"، فلبيت مع اولادي تامي (٧ سنوات) وتوم (٤ سنوات) وترافيس (سنتان ونصف سنة) دعوة الى قضاء عطلة على شاطىء البحر في نيوجرزي مع صديقينا تشارلز وكارول شايفر. وتبعتنا اختي جودي وأولادها في سيارتهم.

طوال الطريق دأبت على دعوة الاولاد الى الحرص والانتباه. لكن عيني ترافيس كانتا تلتمعان بوميض من الشقاوة.

ما ان دخلنا الممر المؤدي الى البيت حتى ادركت انه يكاد لا يتسع لسيارة جودي. وكي لا ادعها تنزل اولادها في الشارع المزدحم، اقتربت كثيراً من البوابة لأفسح لها في المجال. وقد كان لبادرة اللياقة الصغيرة هذه الأثر الحاسم في ما تلاها من احداث.

بعدما قضينا وقتا ممتعا على الشاطىء بعد ظهر ذلك اليوم عدنا الى منزل آل شايفر. وراح الاولاد يلعبون بهدوء في غرفة نومهم في الطابق العلوي، وأنا في الغرفة الملاصقة ارتدي ملابسي استعداداً للعشاء. واذا بتامي يزعق: "أماه! أماه! لقد سقط ترافيس من النافذة!"

هبطت السلم قفزاً فوجدت ترافيس ممدداً على الارض وفاقداً الوعي. وشعرت ان عقلي يرفض تصديق ما رأته عيناي. وانحنيت على صغيري ورفعته بين يدي وضممته الى صدري.

واخذت أصرخ: "لا يا ترافيس! لا!" لكنه كان مرتخي الاعضاء وخامد الانفاس. كان الدم يقطر من احدى اذنيه وبدا جلده أزرق. وتدلى رأسه على ذراعي كأن لا حياة فيه. ورفعت نظري الى النافذة التي سقط منها فرأيت انها في الطبقة الثالثة من البناء. عندئذ صدمني الواقع، فصرخت: "لقد مات طفلي!" وفي الطابق العلوي كان صراخ الاولاد يمتزج بصراخي.

ولمحت لسان ترافيس مقلوباً بين شفتيه المتباعدتين، فحاولت ادخال اصبعي لأعيده الى وضعه الصحيح، غير ان فكيه كانا مطبقين بقوة. ومددته على الارض ورحت ابحث عن عود يعينني على فتح فمه. آه، زجاجة طلاء الاظفار. كنت ممسكة بها حين زعق تامي. وادخلت رأسها الدقيق في فم ترافيس ومددت اصبعي حتى بلغ اللسان وجذبته فاستقام. عندئذ شهق ترافيس متنشقاً الهواء.

ووصل رجال الاسعاف وهرعوا بنا، انا وترافيس وجودي وكارول، الى المستشفى.

براثن الموت — اخبرني تامي لاحقاً ان ترافيس كان يقفز على عتبة النافذة ويرتمي على شبكتها المصنوعة من الاسلاك ثم يرتد عنها. لكن الشبكة انزاحت ورأى تامي قدمي اخيه الصغيرتين تختفيان خلف عتبة النافذة. وسقط ترافيس على غطاء محرك السيارة ثم على ارض الممر. وهو لو سقط مباشرة على الارض المكسوة بالاسمنت الصلب لقضى على الفور.

بينما كانت جودي وكارول تملآن النماذج الرسمية لادخال الطفل المستشفى، اتصلت هاتفياً بزوجي في ديترويت (ولاية ميشيغان) حيث كان فريقه يلعب. ترى كيف للام ان تخبر زوجها ان ابنه يتخبط بين براثن الموت؟ ليست هناك طريقة سهلة لذلك.

قلت متلعثمة: "تومي، يا عزيزي، لقد سقط ترافيس من النافذة.

اظن... اظن... انه دق عنقه... تومي، احضر حالا، ارجوك!"

اجاب تومي: "يا عزيزتي، سأكون عندك بأسرع ما استطيع."

وقفت بجانب جودي وكارول وأخذت أبكي. ثم جاءت ممرضة وطوقتني بذراعها وسألتني: "هل تريدين ان تختلي بنفسك؟" فهززت رأسي موافقة. وادخلتني غرفة صغيرة. وهناك جثوت على ركبتي في نوبة غامرة من الأسى وأخذت ابتهل الى الله: "رباه، رحماك، لا تأخذ منا ترافيس."

بعد قليل دخلت رئيسة الممرضات وقالت لي ان ترافيس، بأعجوبة لا تصدق، لم يصب بأي كسر في عظامه. ثم اردفت قائلة: "لكننا نحتاج الى توقيعك لكي يجري الاطباء له عملية استكشاف داخل الجمجمة. فقد يكون هناك نزف داخلي في الرأس."

سيجرون جراحة في دماغ ترافيس!

قلت لها: "لا يمكنني ان اوقع على انهاء حياة طفلي. عليّ... عليّ ان اتصل بشخص ما."

قالت الممرضة: "سيدتي، ليس لدينا متسع من الوقت. اذا لم توقعي، فقد يموت طفلك."

ووافقت على اجراء الجراحة، وبدأ الانتظار الطويل. بعد ساعتين ونصف ساعة خرج الطبيب ليخبرنا ان ترافيس بخير لكنه ما زال غائباً عن الوعي. وكان الوقت باكراً للجزم بما اذا كان دماغه أصيب بعطل دائم ام لا.

في الاولى صباحاً وصل تومي متوقعاً ان يرى طفله ميتاً. ووقفنا معاً امام سرير ترافيس، وهمس زوجي والدموع تفيض من عينيه: "هيا يا حبيبي، ها أمك وأبوك بجانبك، اننا نحبك."

عندئذ امسكت بتومي ليشجع كل منا الآخر، اذ ان رؤية طفلنا في تلك الحال كانت قاسية جداً علينا. عيناه كانتا جاحظتين لكنهما لا تريان، بينما ذراعاه وساقاه تنتفض بحركات عصبية لاارادية.

اجتمع تومي بالاطباء. وكانوا قاموا بعمل رائع في تلك الحال الطارئة، لكن الخطوة التالية كانت تأمين افضل معالجة للطفل. واتصل تومي بطبيب صديق، فأشار عليه بمراجعة الدكتور فرد ابشتاين جراح الاعصاب الخاص بالاطفال في المركز الطبي لجامعة نيويورك في مانهاتن.

بعد ليلة لم يغمض لنا فيها جفن اتصلنا بالدكتور ابشتاين، فاقترح أن ينقل ترافيس فوراً بالطائرة الى نيويورك.

لدى وصولنا الى المركز الطبي في العاشرة والنصف استقبلنا الدكتور ابشتاين مع فريق من الاختصاصيين، وقال لنا بعدما فحص ترافيس: "ان حال الصغير خطرة جداً، لكننا لم نعثر على اي عطل في الدماغ لا تمكن معالجته." وهنا عانقت زوجي في غمرة من الفرح.

قال لي الطبيب: "يا سيدتي، ان أهم انجاز حققته هو انك جعلت طفلك يستعيد تنفسه في تلك الدقائق الاولى الحرجة. ولو لم تبادري الى ذلك لقضى ترافيس مختنقاً. لكن

امامه الآن فرصة لكي يكافح ويبقى حياً."

الكلمات الغالية ـ على رغم العبارات المشجعة لم تجرِ الامور على ما يرام. فخلال ساعات أخذ ترافيس يعاني سلسلة من التشنجات. وقد امكنت السيطرة على هذه، لكن حاله اخذت تسوء. ومن اجل تخفيف الضغط الناجم عن الصدمة القاسية التي اصابت الدماغ، فتح الاطباء اربعة ثقوب صغيرة في الجمجمة. وأمر الدكتور ابشتاين بفتح ثقب اضافي. ثم أُدخل انبوب دقيق في الجمجمة الى السطح الخارجي للدماغ، ووصل هذا الانبوب بمرسمة للذبذبات. وهكذا اصبح في وسع الاطباء معرفة مقدار الضغط الذي يتعرض له دماغ ترافيس. كذلك زيدت مقادير الأدوية التي كانت تعطى له، لكنه بقي في غيبوبة عميقة.

مرت ايام وليال، وظللنا نحوم حول سرير طفلنا في انتظار بادرة تشير الى انه يستعيد وعيه. ولم تظهر اي اشارة.

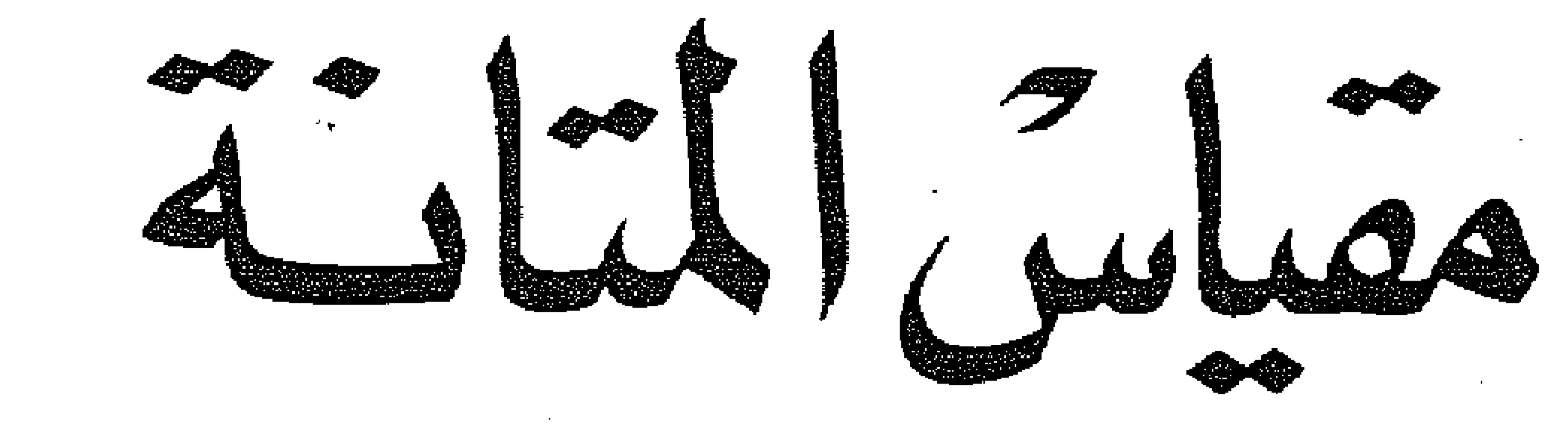
وعاد تومي الى فريقه بعد رفض عنيد. فبعد الساعات الطويلة المرهقة في المستشفى بات في حاجة الى حل توتر اعصابه فوق الملعب. ولكن في الاوقات التي لم يكن يشارك في المباريات كان يعود الى جوار سرير ترافيس. وكنا نجلس هناك، انا وتومي وكارول، لنلمس ذراعي طفلنا وشعره وخديه ونهمس له: "ترافيس، يا حبيبي، استيقظ، اننا نحبك كثيراً، افتح عينيك." كنا نخاطبه هكذا طوال ساعات حتى يغلبنا الارهاق. وبدل تشارلز وكارول شايفر نهج حياتهما طوال اسابيع ليبقيا بجانبنا.

وكان تومي مدهشاً. لطفه مع الآخرين ساعده في تحمل آلامه. كان يهرع لاحضار القهوة لوالدي طفل مريض ضعضعهما الخوف، ويهدي صوره الى اطفال مرضى احبوا ان يحتفظوا بها للذكرى.

ومع مرور الايام شعرنا على نحو اعظم بمقدار تحسس الناس لوضعنا. اتصل بنا اشخاص انقطعت علاقاتنا بهم قبل سنوات، وآخرون لا نعرفهم ابداً. كانوا يقولون لنا، هاتفياً او كتابياً، انهم يصلّون من اجلنا. وبلغتنا الوف الرسائل من انحاء البلاد.

في اليوم السادس عشر بعد الحادث كنت جالسة انظر الى طفلي الصامت. فجأة رأيته يرفع يده ويفرك عينه. انها المعجزة التي صلينا من اجلها. وفي غضون ايام قليلة فتح ترافيس عينيه وبدأ يرى. لكن حنجرته بقيت ملتهبة بسبب الانابيب التي زجت فيها، فلم يقدر على الكلام.

وفي اليوم الثاني والعشرين افتر ثغره. فانحنيت وقرّبت اذني من وجهه، وحبست انفاسي اذ سمعته يهمس بمشاعره الاولى الغالية: "اني جائع." وبعد ايام قليلة كان جالساً يلهو على ارض الغرفة، فمد ذراعيه الي وتلفظ بالكلمات التي طالما تقت الى سماعها طوال الايام والليالي الكالحة، قال: "احبك يا امي."


مقياسُ المتانـة
RADO رادو
مقياس الاناقة . مقياس المتانـة . مقياس الزمـن
MON 15
RADO
Mod. dép.

بعد سنة شفي ترافيس تماماً وعاد شقياً كما كان٠

مصابنا كان مرعباً حقاً، لكننا أنا وتومي انتصرنا عليه٠ وبفضل الوف الرسائل والاتصالات والصلوات، اصبحنا الآن ندرك كم يحتاج الناس بعضهم الى بعض٠

كلنا نتعرض في مرحلة ما من حياتنا لحدث يحطم قلوبنا أو أزمة تضعنا بين الحياة والموت٠ وقد تعلمنا انا وتومي انه عندما يحدث ذلك يجب الا ينطوي المرء على نفسه ويكبت حزنه ويتحمل آلامه منفرداً٠ علينا ان ننفتح على الناس حولنا، على افراد العائلة والاصدقاء وحتى الغرباء٠ كلنا نستفيد عندما يشاطرنا الآخرون احزاننا وحاجاتنا، وان بمجرد ان نقول لهم: "صلوا من اجلنا٠"

وعندما يحدث سوء لامرىء آخر، فلا تنكفىء عنه لعدم ثقتك بما تفعل او ما تقول٠ تقدم واظهر عطفك وتأثرك٠ هناك مقادير ضخمة من القوة والشفاء في لمسة يد محبة ونظرة عطوف٠

في محنتنا اشعرَنا الوف الناس بحبهم، ومددنا اليهم ايدينا٠ وفيما كان الله يسبغ على ترافيس نعمة الشفاء، كان ذلك الحب يشفينا نحن ايضاً٠

■ سالي جون ووليم ديرفيلد

الانحطاط الاجتماعي

من دلائل الانحطاط الاجتماعي سؤال النّاس: "ماذا سيحدث؟" عوضاً عن سؤالهم: "ماذا يمكننا أن نفعل؟"

د٠ر٠

قوانين الطبيعة

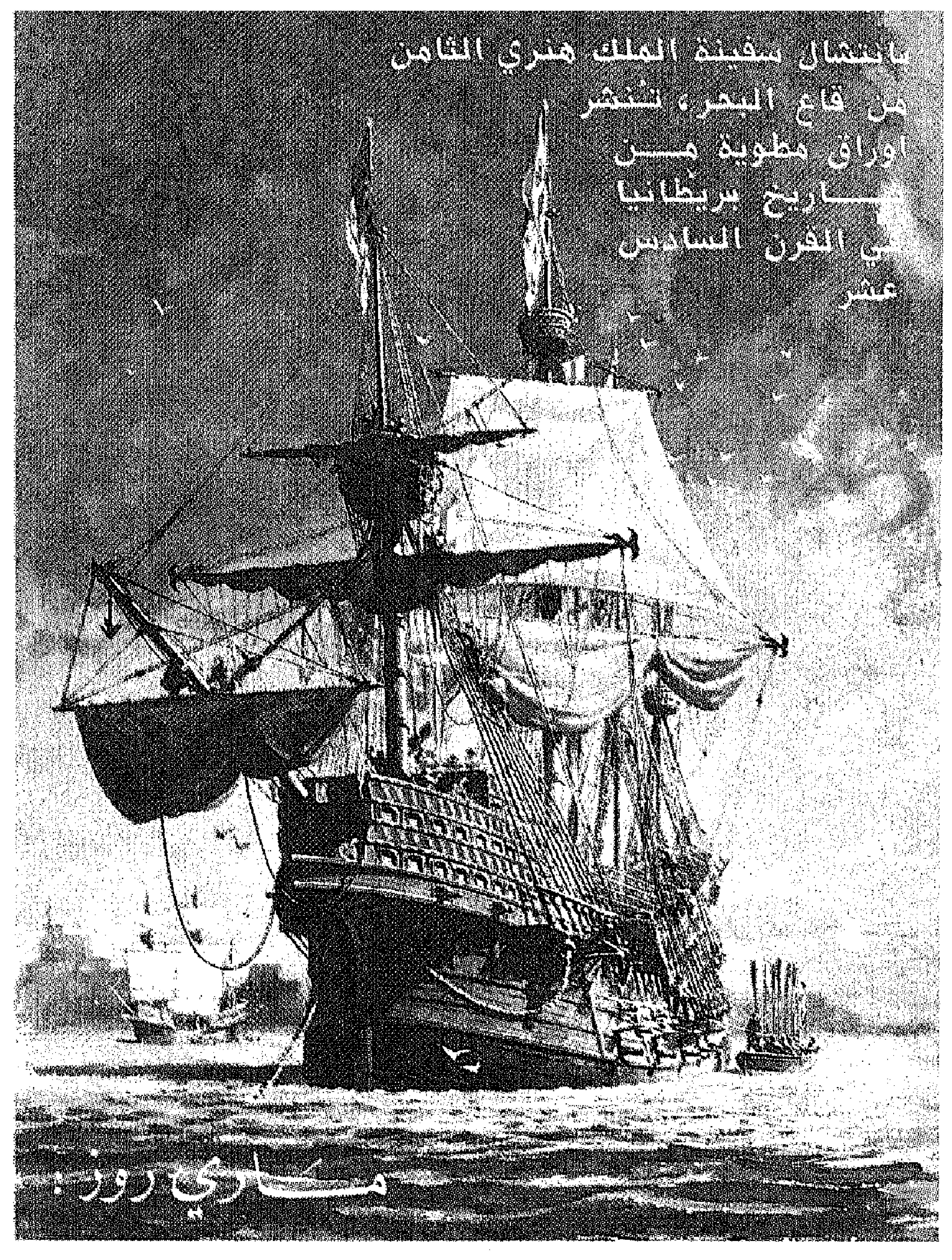
كلّ من يمارس العلم على نحو جدي يقتنع بأن ثمة روحاً تنطوي عليها القوانين الطبيعية٠ وهي روح تتجاوز المحدوديات البشرية، وفي ضوئها ندرك مدى تواضُع امكاناتنا٠

البرت اينشتاين

ثلاثة تمنح الحكمة

العبد يعمل لأنه مرغم على العمل، والفنان لأنه يحب العمل، والأحمق يؤتى عملا بمقدار حماقته٠ والحق أن في كل منا عبداً وفناناً ومغفلا٠ والحكيم هو من حاول أن يوازن بين الثلاثة في ذاته٠

اندرو ماكفيل، "مقالات في السياسة"



انتشال التاريخ من قعر البحر

خلال السنوات الألفين الأخيرة شهدت قناة سولنت في جنوب بريطانيا أحداثاً كثيرة. فقد عبّرها الرومان المغيرون وتبعهم الفايكينغ الذين عاثوا في الأرض فساداً، ثم الملك كانوت الدانمركي (٩٩٤ ـ ١٠٣٥) الذي ارتقى عرشي انكلترا والنروج فضلا عن عرش بلاده، وبعده اللورد نلسون والألمان بقنابلهم الضاربة. الا ان هذه المياه نفسها في اوائل خريف ١٩٨٢ شهدت حدَثاً من نوع آخر، ألا وهو انتشال سفينة "ماري روز" التي تعود الى اسرة تيودور المالكة والتي بقيت في جوف الماء ٤٣٧ سنة.

ويقول السير ريتشارد هاريسون، المدير التنفيذي للمؤسسة الخاصة باحياء هذه السفينة، ان انتشالها هو "تتويج لأعظم حملة شهدها التاريخ تحت سطح الماء". ذلك ان "ماري روز" ليست مجرد سفينة حربية قديمة. لقد كانت سفينة الملك هنري الثامن الخاصة وطليعة اسطوله. وبلغت عنايته بها أنه دعاها "ماري تيودور" تيمّناً بأُخته.

لكن الأهم من الشؤون الملكية تلك الحلقة المفقودة التي تمثلها "ماري روز" ذات المدافع الـ٩١ في تاريخ السفن الحربية. وقبل ارتقاء هنري الثامن العرش وهو مراهق عام ١٥٠٩، كانت معظم السفن الحربية سُفُناً تجارية في الأساس، تستعمل في نقل الجند الى أرض المعركة عند الحاجة. لكن هنري شَغَفَتْه التكنولوجيا، فأمر بصنع سفينة تُبنى خصيصاً لأهداف الحرب ويمكنها اطلاق القذائف من جانبيها البارزين فوق سطح الماء والاستيلاء على القوارب التي تعطلها.

وتم صنع السفينة في ميناء بورتسموث عام ١٥١٠ وجاءت ضخمة وطويلة (٤٠ متراً) وذات برجَين في مقدمها ومؤخَّرها. وكانت من السفن الاولى التي تحمل المدافع الثقيلة فوق متنها. ويقول المؤرخ البحري الكوماندر بيتر ويتلوك ان "ماري روز" كانت "فاتحة عهد جديد في الحروب البحرية، بل انها كانت بداية الاسطول الحربي الملكي".

الكارثة ـ لا أحد يدري كيف غرقت تلك السفينة العظيمة، التي طالما قاومت عواصف الشتاء العاتية، في يوم صيفي مشرق. وكانت أرسيت في قناة سولنت على رأس ٥٦ سفينة انكليزية قوية للدفاع عن بورتسموث في وجه ٢٣٥ سفينة فرنسية مغيرة. والتمعت المدافع في برجي السفينة، وازدحم في أرجائها ٣٠٠ جندي اضافيون مع جنودها الـ٤١٥ الأصليين.

وتقول مارغريت رول مديرة قسم الآثار في مؤسسة "ماري روز": "هذه المدافع الثقيلة والأعداد الاضافية في برجي السفينة تشهد على فداحة الموقف. ومما زاد حدة المشكلة فقدان الانضباط في صفوف البحارة الذين كان نائب الربان، السير جورج كاريو، يدعوهم عبيداً". وتضيف أنّ شراع السفينة رُفع عند هبوب ريح قوية، ولكن سرعان ما انحرفت الى الميمنة وانقلبت بعد تسرب المياه من محامل المدافع.

Illustration: James Leech. Photos: Adam Woolfitt.

ووقف الملك هنري يراقب مشدوهاً، من مقرّه في قلعة ساوثسي على بعد كيلومتر، غرق سفينته المفضّلة ست قامات (١١ متراً) تحت سطح البحر. ولم يَبْقَ بارزاً منها سوى رؤوس صواريها. وبلغ الملك صراخ رجاله وهم يغرقون. وأُنقذ نحو ٣٥ رجلا، معظمهم من الخَدَم غير المدجّجين بالسلاح. أما الآخرون، وبينهم السير جورج كاريو، فهلكوا جميعاً.

ونزلت السفينة التي تزن ٧٠٠ طن، بقوة تحت الماء الى حدّ أن ثلاثة أرباع ميمنتها غرقت في الوحل. وكان غَرَقُها عند الساعة الثانية من عصر الأحد ١٩ يوليو (تموز) ١٥٤٥. وهي لم تبارح مكانها لثقل وزنها والوحل الذي غرزت فيه. ولم يسبق العثور على سفينة غارقة بهذه الأهمية. ويقول مدير المؤسسة ريتشارد هاريسون ان "ماري روز" تحفظ في جوفها "كلّ المعالم البحرية لعصر التيودور."

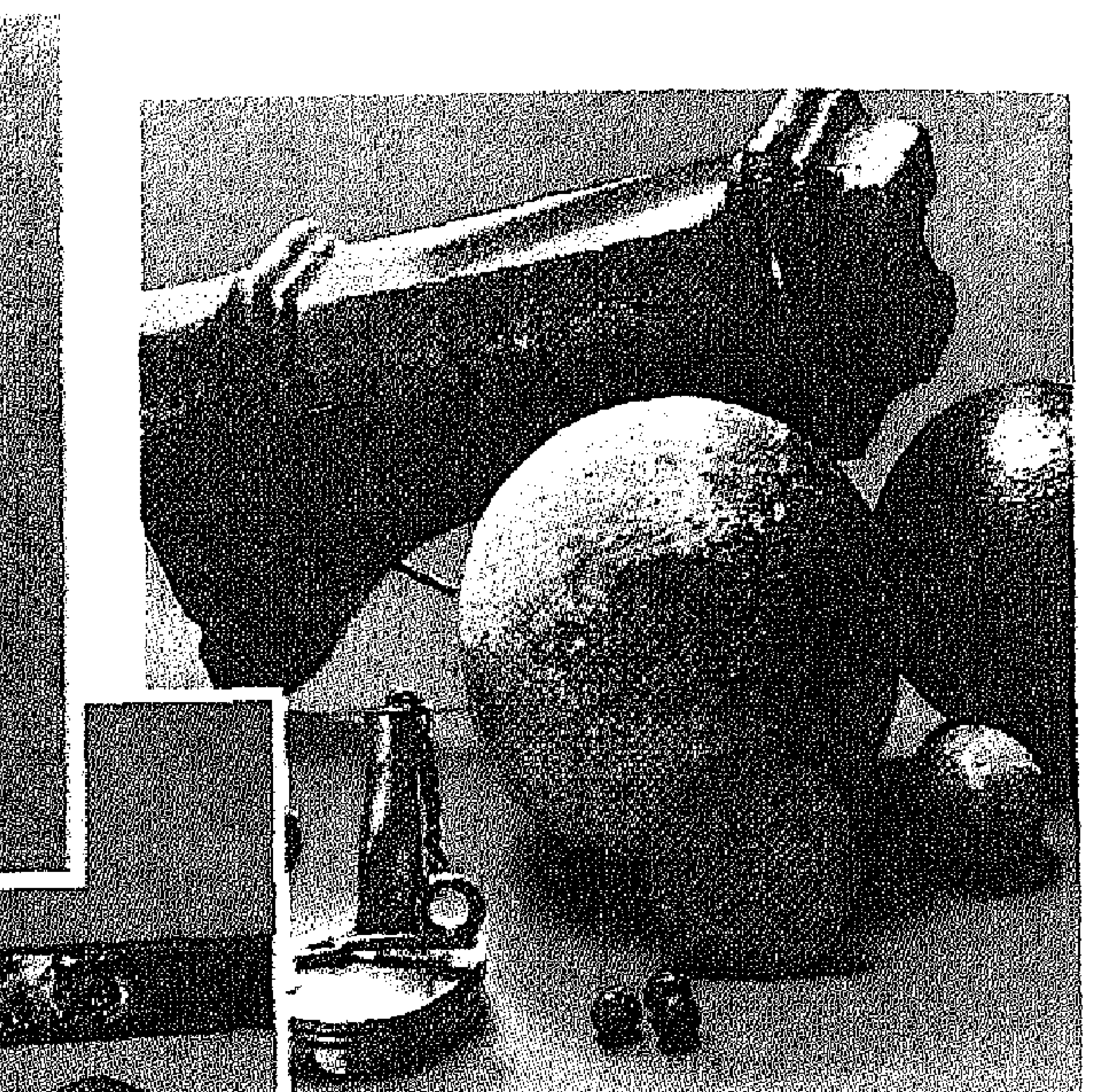
وقد تمّ انتشال أشياء كثيرة ثمينة من حطام السفينة، وجرى عَرضُها في قلعة ساوثسي. ويزيد عدد السلع المعروضة على العشرة آلاف، وهي تعطينا فكرة أولية عن بريطانيا القرن السادس عشر، بما في ذلك جرس السفينة وسترات الجركينة الطويلة الضيقة التي تخلو من الأكمام وعلب تسوية الاظفار وطليها وساعات الجيب الشمسية المغطاة، فضلا عن اربعة آلاف سهم (★) وعدة طبية جراحية بينها حقنتان وضمادات وكمادات وعلب مرهم ما زالت بصمات الجراح منطبعة في داخلها. ونعرف اليوم ما كان البحارة سيأكلون بعد المعركة مساء ذلك اليوم المشؤوم. فقد وضع الطباخ في الفرن المبنيّ بالآجر سمكاً وحبوباً خضراء طازجة.

ومن ألْغاز "ماري روز" التي تمّ حلّها واحد متعلق بـ"قاتل قوي لا يلين" جاء ذكره في سجل للمعدات الحربية يعود الى العام ١٦٢٨ من غير أن يعرف أحد حقيقته. ولكن بعد العثور على حطام "ماري روز" تبين ان ذلك القاتل هو مدفع ذو فوهة مربعة يطلق وابلا من قطع الحديد المربعة الهدّامة. هذا الاكتشاف — وسواه — يحتّم تعديل التاريخ المكتوب أو اعادة كتابته. كما ان القسي الطويلة التي وُجدت لا يمكن ان يستخدمها سوى رماة طوال ذوي عضلات قوية. وهذا يدحض الرأي الشائع الذي يذهب الى أن جميع محاربي التيودور كانوا قصاراً. وجاء اكتشاف أقدم بوصلة بحرية ومنقلة (لقياس الزوايا) وفرجار (لتقسيم الخطوط) ليخبرنا ان الخرائط البحرية كانت أكثر استعمالا مما يُظَنّ.

"تحت عتبة منزلي" — بعد أيام من غَرَق "ماري روز" اجريت محاولة لرفعها بواسطة حبال وُصلت بسفينتين فارغتين في انتظار ارتفاع المد. الا ان المحاولة أخفقت، واكتفى المنقذون بانتزاع الصواري والأشرعة العائمة فوق الماء. وظلت "ماري روز" في غياهب النسيان حتى العام ١٨٣٦. ففي ذلك العام شرع

(★) حتى ذلك الحين لم يكن اكتشف سوى سهم واحد مشكوك فيه يعود الى ما قبل العهد الجورجي.

من كنوز "ماري روز
صفيحة عظمية نقش
عليها ملاكان، وهي
قد تكون جزءاً من
غلاف كتاب.



فوق: مدفع "القاتل الذي لا يلين"
وقذائف من حجر وحديد ورصاص،
ووعاء برونزي لتقدير الكمية
المفرغة من قارورة بارود.
الى اليسار: غمد جلدي، نبال في اداة
مثقبة، وقاء لمعصم احد الرماة.





فوق (من اليسار): علبتان مثقبتان
كانتا تحويان مادة تمتص سموم الهواء،
هاون معدني للصيدلة، قاعدة طبق التسخين،
قارورة دواء، حقنة وطاس للدم.
الى اليسار: حذاء جلدي، مشطان خشبيان،
عدة عظم لطلاء الاظفار، حمالة برونزية
لحافظة نقد.

جون دين من مقاطعة كنت، وهو مخترع خوذة الغوص الاولى، في رفع المدافع المشحونة مع أخيه تشارلز. وبعد أربع سنوات من التنقيب، شعر الأخوان أنهما أنقذا كل الأشياء القيمة الباقية. ولدى هجرهما الموقع، غرقت "ماري روز" في طيّ النسيان من جديد.

وكان مقيَّضاً لتلك السفينة ان تبقى في القاع لولا الكسندر ماكي، المؤلف والمؤرخ الذي يعيش في جزيرة هايلينغ بالقرب من بورتسموث. ويقول ماكي: "منذ حداثتي حيَّرتني أخبار "ماري روز". وأظن أنها هي التي دفعتني الى تعلُّم الغوص. فقد كنتُ على يقين من أن أهم حطام بحري في أوروبا يقوم على عتبة منزلي."

ولكن أين كانت السفينة بالضبط؟

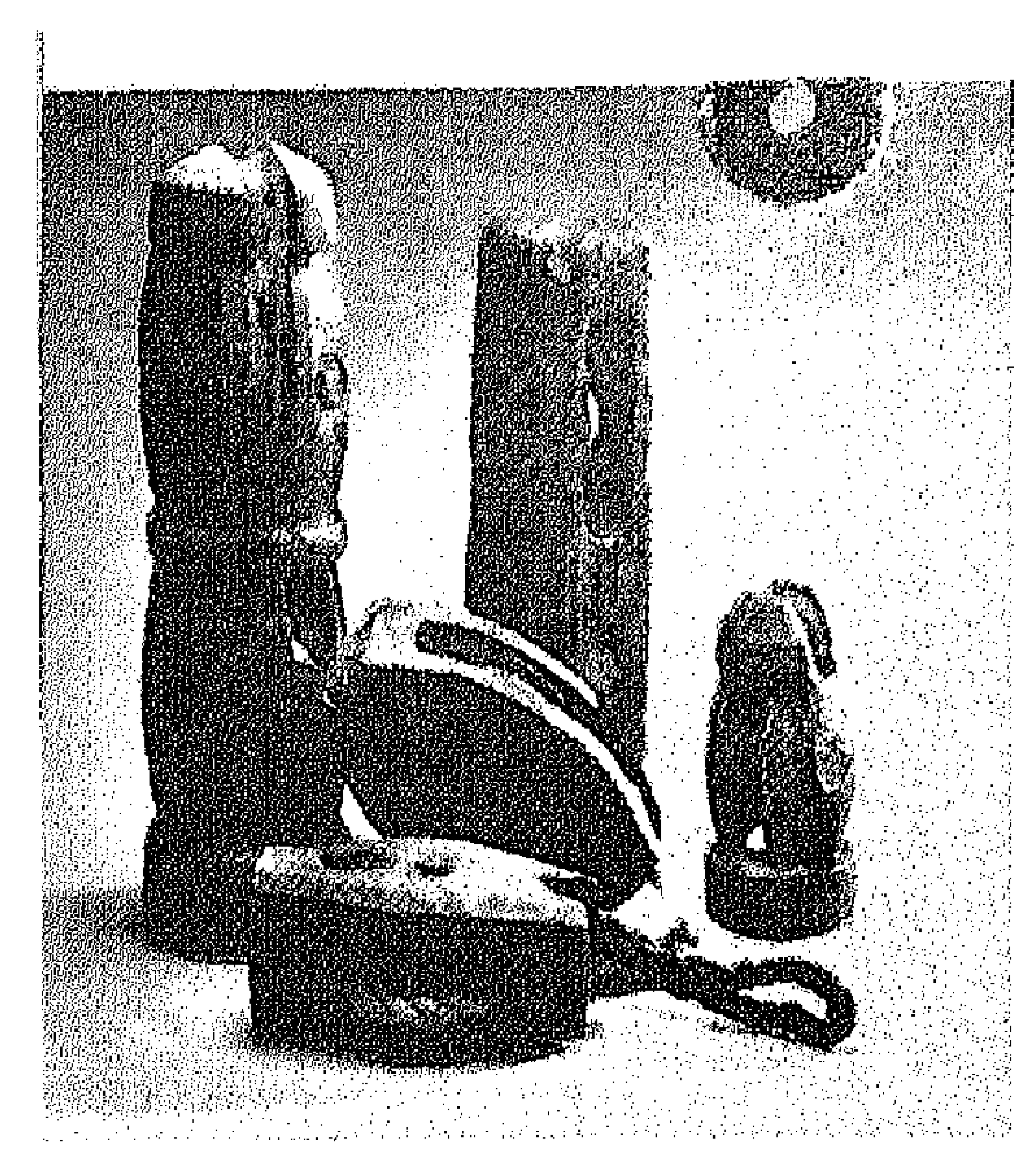
ان الكتب لا تحدد هذا الموقع بدقة. لكن الحظ أسعف ماكي حين عثر في يوم من ١٩٦٦ على خريطة بحرية لقناة سولنت تعود الى القرن التاسع عشر. وهو يقول: "كانت الخريطة تحمل علامة (×) في أحد المواضع وفوقها عبارة "ماري روز". وصعقني الاكتشاف."

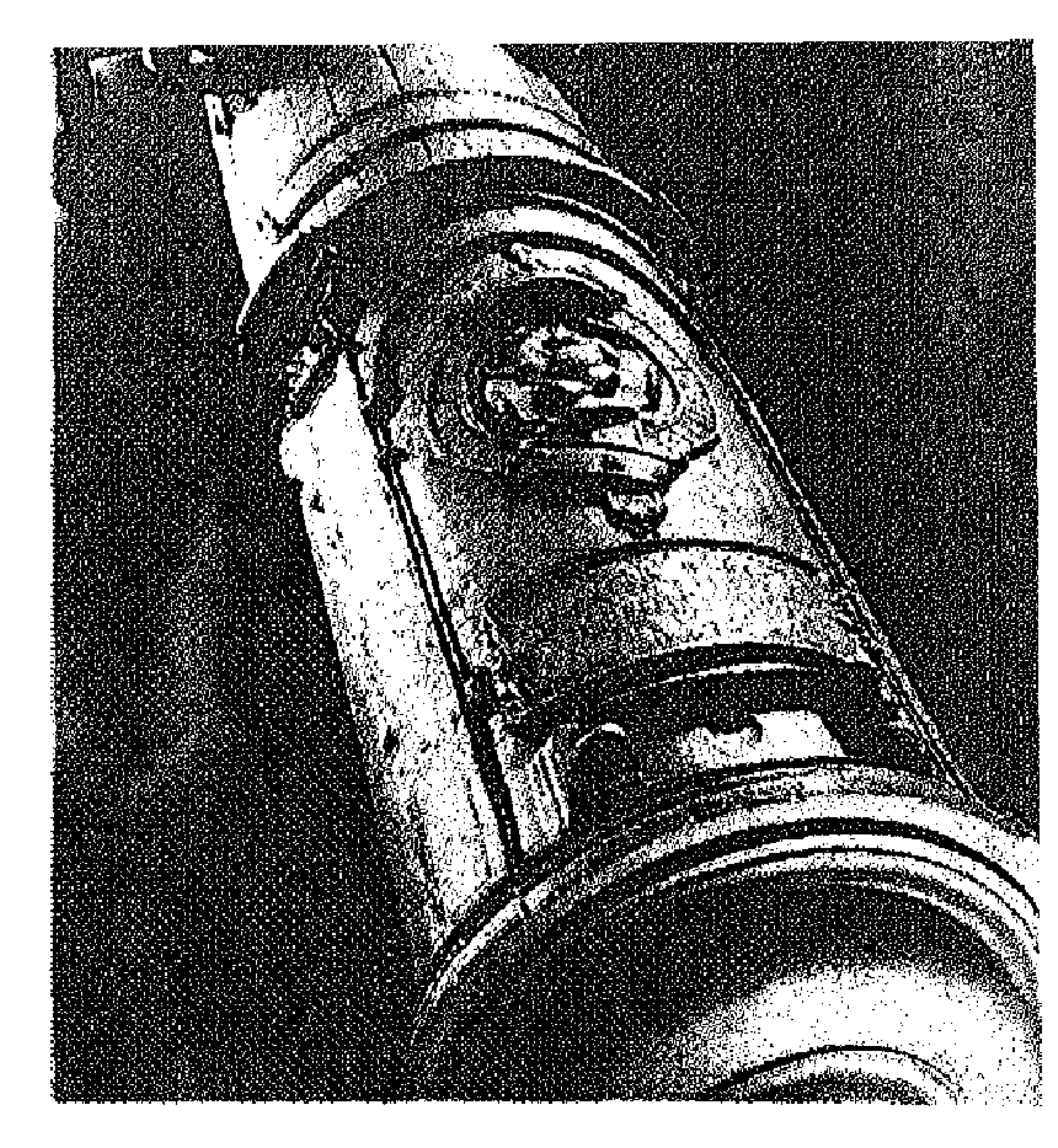
وتمكن ماكي من اقناع الاستاذ هارولد ادغرتون، من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة، باعارته آلة صنعها لفحص أحواض البحار. ويضيف ماكي: "أظهرت الآلة هيكلا مطموراً في ضخامة "ماري روز" وأنزلتُ قضيباً طويلا أجوف الرأس استقر فوق الحطام، ورفَعتْ به قطعاً من الخشب القديم. وقال المشككون ان الحطام الذي وقعتُ عليه هو لسفينة فرنسية شراعية كبيرة من نوع القادس الذي تسيره المجاذيف. غير أن حَدسي أقنعني بأن ذلك الحطام كان ملكية هنري الثامن بالذات."

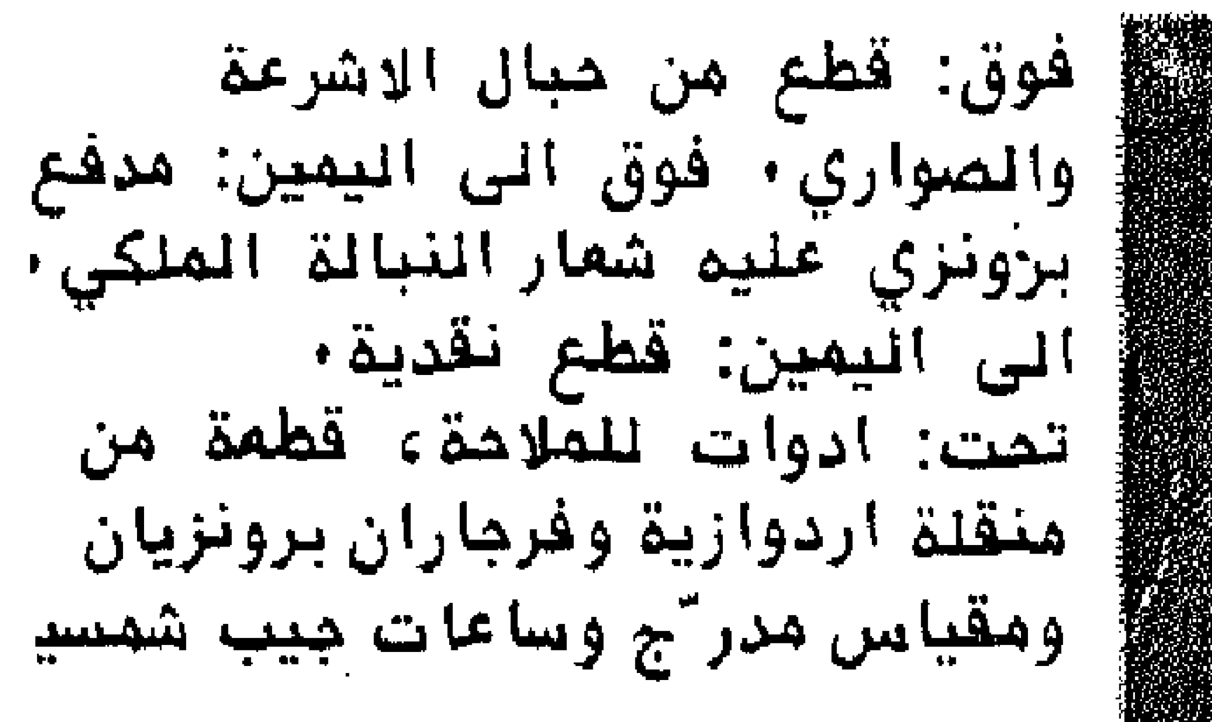
وعمل ماكي طوال أربع سنوات بمبلغ ضئيل جداً: "لم يكن لدينا مال ولا قوارب ولا تسهيلات من أيّ نوع." لكنه أقنع ربان سفينة من أصدقائه بأخذه وبعض المتطوعين من هواة الغوص الى المكان الذي ترقد تحته السفينة. وتمّ ذلك نحو اثنتي عشرة مرة في عطلة نهاية الاسبوع.

وكانت مهمة التنقيب عن حطام سفينة "في حجم بناية من أربع طبقات" مروّعة حقاً. ويقول ماكي: "كان علينا أحياناً الحفر بأيدينا العارية،" بما ينطوي عليه ذلك من عذاب جسدي، علماً ان الحرارة تكون ستّ درجات مئوية في عرض القناة لدى بدء موسم الغوص في شهر مارس (آذار). وقد يتقلص مجال الرؤية من خمسة أمتار، كحد أقصى، الى الصفر. أضف الى ذلك مرور السفن المحمَّلة بالركاب والعابرة الى جزيرة وايت، فوق رؤوس الغواصين.

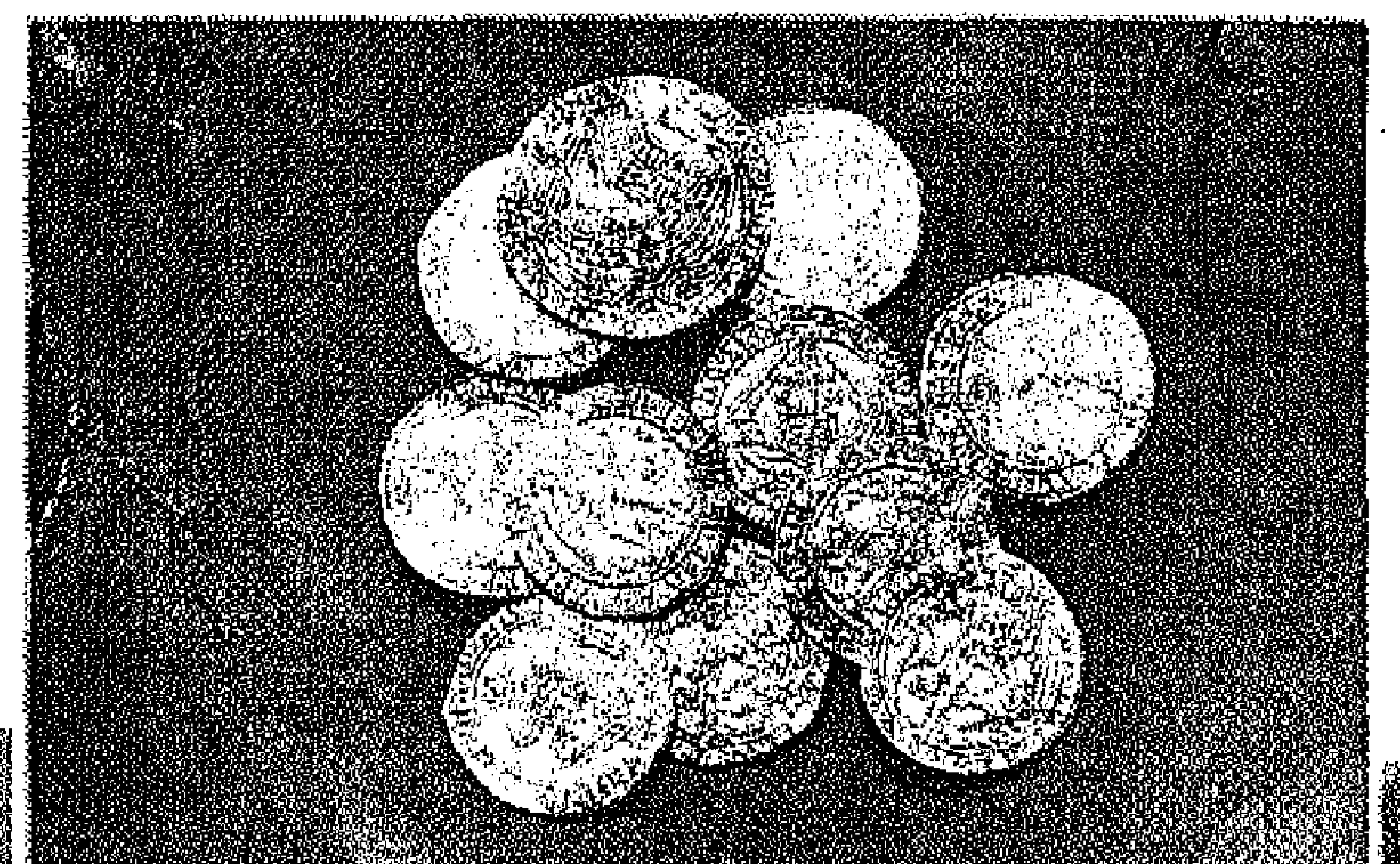
المدفع الناطق — في العام ١٩٧٠ تهللت مجموعة ماكي لدى عثورها على مدفع من عهد التيودور. ويقول الكاتب البحري موريس يونغ من ساوثامبتون: "كاد ذلك المدفع أن يهتف باسم هنري الثامن. وذلك كان كافياً لاقناع المعنيين بأننا عثرنا على ماري روز." وكان من جراء تلك

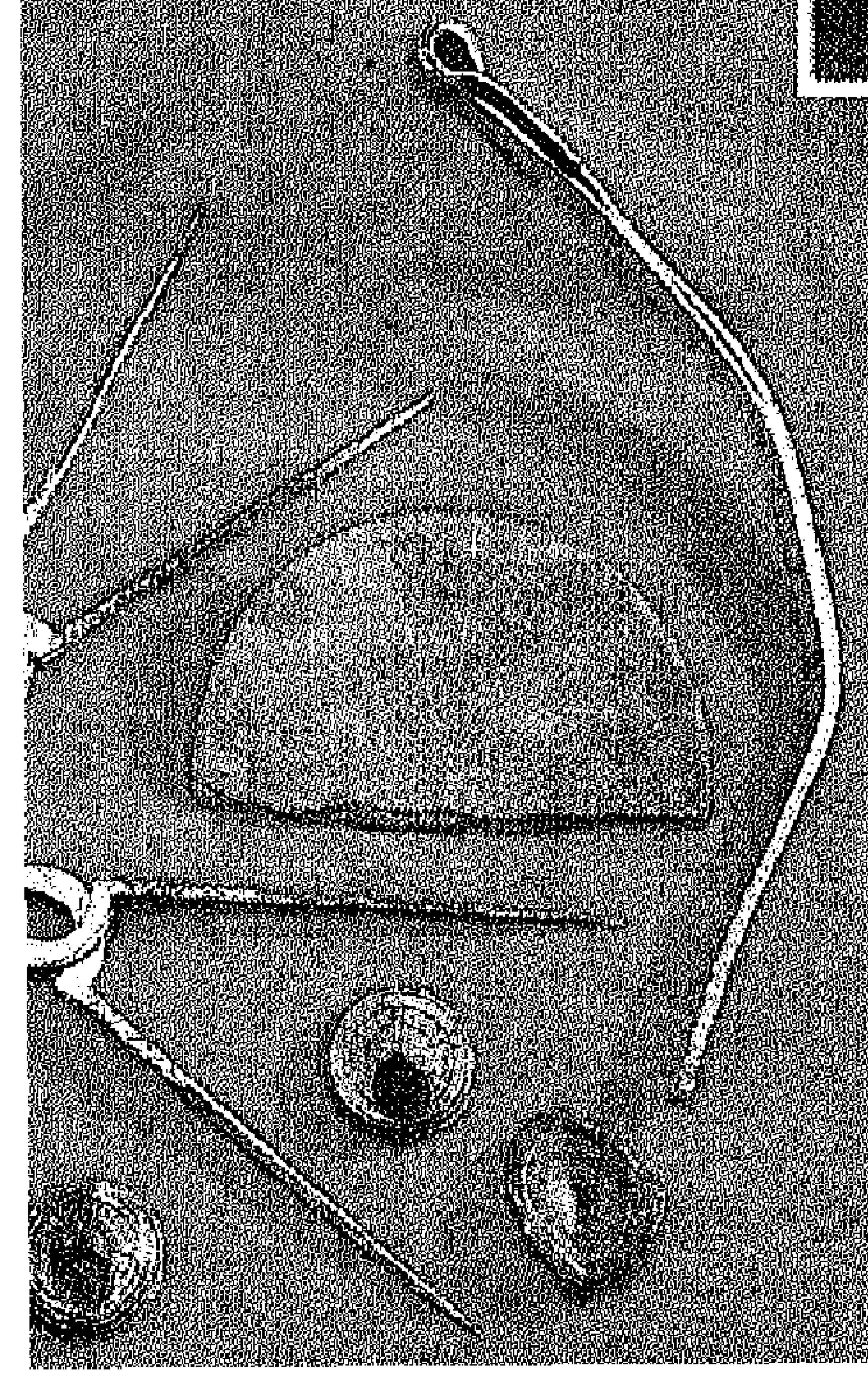


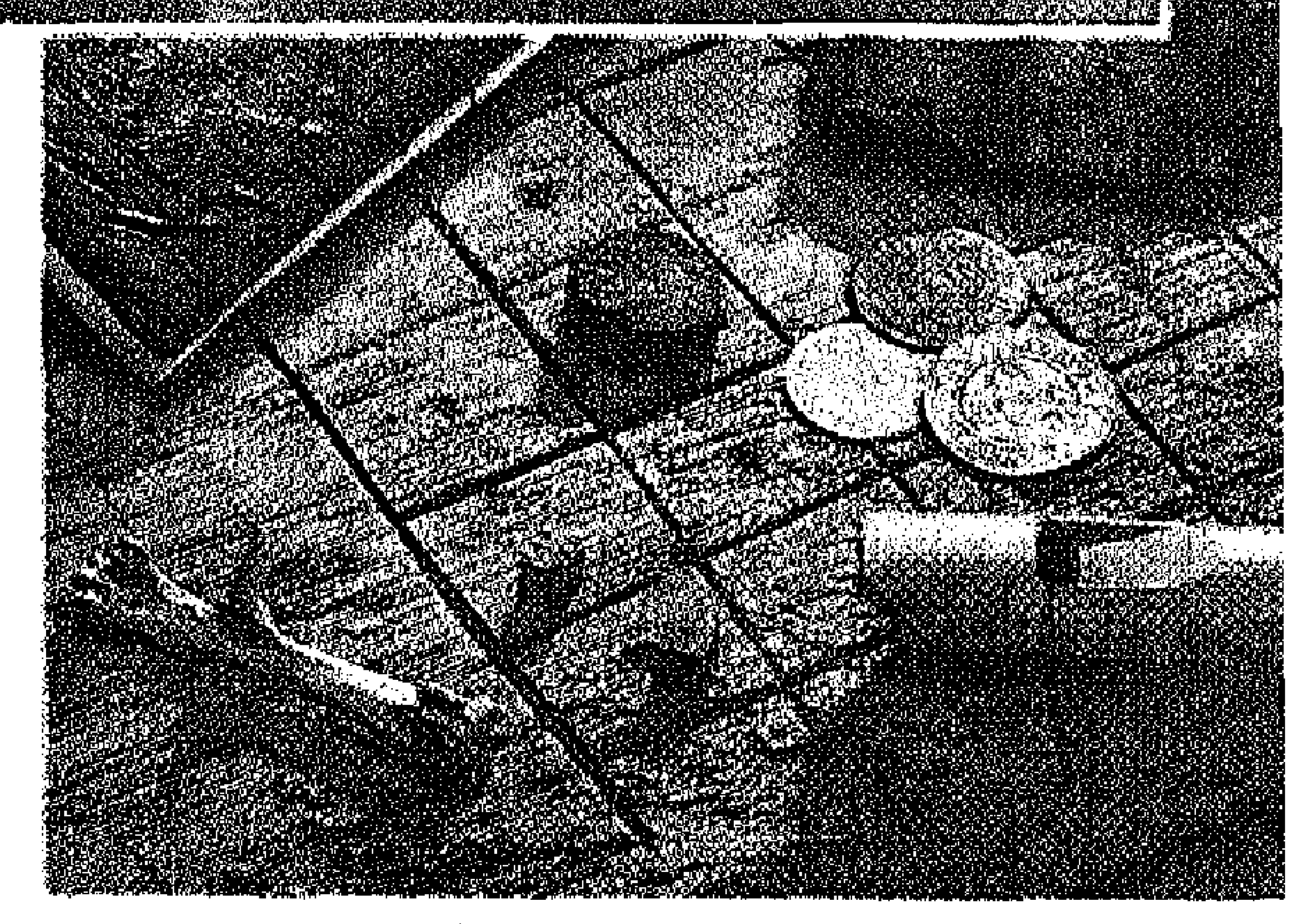




فوق: قطع من حبال الاشرعة والصواري. فوق الى اليمين: مدفع برونزي عليه شعار النبالة الملكي. الى اليمين: قطع نقدية.
تحت: ادوات للملاحة، قطعة من منقلة اردوازية وفرجاران برونزيان ومقياس مدرّج وساعات جيب شمسي







فوق: لوح خشبي للعب وعليه غلاف كتاب وحافظة جلدية وآلة نفخ موسيقية وثلاث مسكوكات معدنية للتجارة الخارجية، نردان، عداد للعب، قائمة ديك مصارع.

النتيجة المشجعة أن أُغدقت القوارب وآلات الضغط والغوص والتسهيلات الاخرى على أفراد المجموعة.

وارتفعت الآمال في أواسط السبعينات، بعد رفع جزء كبير من بدن السفينة. ووُجد أن باب السفينة المقابل لسطح الماء تآكل معظمه بفعل التيارات والكائنات البحرية. وتقول مارغريت رول: "خاب أملنا أول الأمر لظننا أن الجزء الأكبر من السفينة ومحتوياتها فُقِد. ولكن لم يلبث ان عاودنا الرجاء بعدما تحققنا من أن السفينة رست في القاع على زاوية تبلغ ٦٠ درجة، مما أبقى منها نصفاً مطابقاً للنصف المفقود. ولدى رفعها الى اليابسة، ستبدو "ماري روز" مثل بيوت الدمى التي يظهر داخلها وخارجها في آن."

وما أن انتشر خبر هذا الاكتشاف في العالم حتى أثار حماسة هواة الغوص في بريطانيا والخارج. وانضم المتطوعون الى أعمال الانقاذ، وبينهم سائق سيارة اجرة من لندن ونجار من مقاطعة ايسيكس ومضيفة طائرة "كونكورد" ورجُل تَحَرٍّ من فرقة مكافحة المخدرات في امستردام. وجاء آخرون على نفقتهم الخاصة من بلجيكا والنروج وهولندا واليونان والولايات المتحدة وكندا واوستراليا. وبلغ عدد الغوصات التي أنجزها المتطوعون المئتان، ٢٥ ألفاً. وخلال العام ١٩٨١ تمكنوا من رفع حمولة ٢٠٠ شاحنة من الطمي الذي كان يملأ السفينة.

أما التحف الأثرية التي أخرجت من "ماري روز" فحُفظت في أكياس عازلة منعاً لتسرب الهواء اليها. وبعد رفعها الى الشاطىء نقلت الى مكان تمت معالجتها بأحدث الوسائل الحافظة، ومنها الرذاذ المقاوم للفطر والغسل الكيميائي والتجفيف. ومن هذه المكتشفات فروة جمجمة وُجدت في صندوق الجراح وآلة شَوُّم خشبية كانت شائعة في القرن السادس عشر. وهي الآلة الوحيدة من نوعها التي توجد في انكلترا. والشَّوُّم هو سلف المزمار في تاريخ الموسيقى.

أما الأشهر والأغنى بين المتطوعين فهو الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني الذي ذهب الى موقع الحطام عام ١٩٧٥ بناء على دعوة الكسندر ماكي. ووصف الأمير مياه سولنت بأنها "مظلمة" وان الغائص فيها هو "كالسابح في حساء العدَس." وأضاف: "من رافدة السفينة يمكن النظر الى داخلها. وما أن نظرتُ حتى رأيتُ جمجمة. ولا أُخفي أن منظرها بثّ فيّ الخوف. الا أنها كانت محفوظة على نحو رائع، وقد تخللتها أسنان جميلة بيضاء وبدت كاملة." والبقايا البشرية في السفينة تشهد على أن بحارتها كانوا أقوياء البنية. والكبار بينهم كانوا في مطلع الاربعينات، وكان أصغرهم في الرابعة عشرة.

متحف بحري – بلغ عدد الغوصات التي أنجزها الأمير تشارلز الى "ماري روز" تسعاً. وهو الآن رئيس لهذه المؤسسة، وهي جمعية خيرية غير تجارية بات صندوقها يضم اكثر من ثلاثة ملايين جنيه استرليني (خمسة

ملايين دولار) من أصل أربعة ملايين يحتاج اليها المشروع.

وفي اغسطس (آب) ١٩٨٠ كان رُفع من حطام السفينة ما يكفي لاتخاذ قرار حاسم، وهو اعادة بناء داخل السفينة بعد عرضها الأول. وتقول مارغريت رول: "نحن في سباق ضد الزمن. فالغوصات المتكررة الى السفينة عرّضت بقاياها للكثير من الكائنات البحرية الصغيرة. وعلينا انتشالها في اقصر وقت ممكن."

وهذا يعني ان حكاية "ماري روز" لم تنته بعد، وان البقية قد تكون اطرف من البداية. وسيرفع هيكل السفينة برفق من القاع بشبكة من الحبال تتدلى من رافعة عملاقة. وقد تم صنع قالب طوله ٤٥ متراً ويطابق شكل السفينة، لكي تدخل اليه فيما هي لا تزال في الماء خفيفة توزن ٥٠ طناً، ثم ترفع الى السطح.

ولا شك في ان المشروع الباهظ التكاليف أعطى الكثير من ثماره المرجوة. واضافة الى كشف أسرار عدة متعلقة بالحياة المدنية والعسكرية في القرن السادس عشر، عززت هذه السفينة المعارف المتعلقة بفنّي الغوص وحفظ الأشياء القديمة. وفي رأي مدير المؤسسة ريتشارد هاريسون ان أعمال التنقيب التي دامت ١٥ سنة بدأت عهداً جديداً من الاكتشاف. ويضيف: "انها فاتحة عهد ذهبي لعلم الآثار المطمورة في جوف المياه. وسوف يلعب الهواة دوراً حاسماً في تقدم هذا العلم، تماماً كما فعلوا بالنسبة الى ماري روز."

■ راوول تانلي

لـــــيزا

استحوذ على ابنتي بالتبني هوس لمعرفة امها الحقيقية وتساءلت: هل انا احبها الى الحد الذي يجعلني اساعدها واخاطر بفقدانها؟



وكانت أشعة الشمس تتسرب من خلال النوافذ وانا ارتب غرفة النوم. انه عمل يستهويني. واذ رحت أدندن بصوت خفيض، أحسست أن احداً يقف ورائي.

انها ليزا، ابنتنا ذات الخمس عشرة سنة. وكان تعبير غريب منطبعاً على سحنتها.

قلت لها معاتبة: "ما هذا يا ليزا؟ لقد اجفلتني. ما الذي يشغل بالك؟"

سألتني: "من أنا؟"

وشعرت برجفة تدغدغ عمودي الفقري، وقلت متصنعة الابتسام: "لماذا تسألين؟ انت ليزا طومسون."

وتقلص وجهها بعلائم القنوط واجابت: "كلا، اعني من انا في الحقيقة؟"

كنت وزوجي راي تبنينا ليزا. وعندما بلغت الرابعة من عمرها اوضحنا لها مسألة التبني. ومنذ ذلك الحين وهي تتصرف كأنها تدرك أننا نحبها حباً جماً، ولكن كثيراً ما تمنيت لو انها تظهر لنا من الحب اكثر مما تفعل. وفي اي حال فأنها ظلت طفلة مدهشة وفرحة دائمة لنا.

صرخت ليزا: "من والداي؟"

قلت: "آه يا ليزا! انت تعرفين انك ابنتنا بالتبني، لكني وأباك..."

وقاطعتني: "لستما والدي الحقيقيين. وانت لست أمي الحقيقية. أريد ان اعرف من هي امي."

قلت: "لا اعرف يا ليزا."

أجابت: "بل تعرفين." وصرت بأسنانها لكي تحبس دموعها وتابعت: "انت تخفينها علي." ثم اندفعت خارج الغرفة وتركتني مصعوقة على حافة السرير.

وتراءى لي مشهد حدث قبل ١٥ سنة. كنت في عيادة طبيب وكان ينصحني بتبني ولد. قال لي: "بعض الاولاد المتبنين لا يعيرون اهلهم الحقيقيين اي اهتمام، لكن بعضهم الآخر يتملكهم هوس للتعرف عليهم."

ولم أكن اعرف من هي ام ليزا، فوثائق التبني لم تحمل سوى اسم الوالد. واستعدت ذكرى ذلك الصباح المشرق من سبتمبر (ايلول) عندما حضنت طفلة عمرها ثلاثة ايام. وفكرت آنذاك: "لا شك في ان العناية الالهية ارسلتها الينا." كنت في السادسة والثلاثين، ومنذ زواجي قبل سبع عشرة سنة دأبت على التضرع الى الله لكي يرزقني ولدا.

الحب الكبير — لم نعرف قط سبب ذلك الهوس في نفس ليزا للعثور على امها الطبيعية. كل ما نعلمه هو انها عثرت على شهادة ميلادها ثم اتصلت بالطبيب الذي ولدت على يديه. كذلك اتصلت بالمحامي وبأصدقاء العائلة. وحتى بعدما وجدت سجلات ولادتها مختومة في دار المحكمة، فانها لم تتخلَ عن عزمها.

ومع مرور الزمن ازدادت ليزا قلقاً واضطراباً وساءت دراستها. اما موقفها مني ومن راي فكان الابتعاد الحذر. ولم تجد الجلسات المنتظمة مع طبيب نفساني. وفي الصيف السابق لعيد ميلادها الثامن عشر أصيبت ليزا بانقباض نفسي مخيف. واخذت تقول: "لن أسعد أبداً حتى اعرف من أنا والى من انتمي حقاً."


Come. Enjoy our heritage.
تعالوا
و تنعموا بتراثنا
تعالوا وتعرفوا على احدى أغنى حضارات آسيا.
للمزيد من المعلومات، اتصلوا بوكيل سفركم او اكتبوا الى:
Tourism Authority of Thailand (TAT),
4 Ratchadamnoen Nok Avenue, Bangkok 10100, Thailand.
Tel: 282-1143. Cable: TOT Bangkok.
Telex: 72059 TATBKK TH.
Name
Address
THAILAND
RD/TAT-20-82

واذ هي تأخذ في هذا الكلام كنت انا اشعر بقلبي يعتصر. ترى هل اسأت اليها؟ واذا عثرت ليزا على امها الحقيقية، اتراها تخرج من حياتنا الى الأبد؟

ذات يوم قائظ صعدت درجات السلم باعياء ومررت بغرفة ليزا. كان باب الغرفة مغلقاً، وهو منظر اعتدت عليه. فهمست في سرّي: "آه يا ليزا! لماذا تنغلقين على نفسك هكذا؟ انت تعرفين اننا نحبك ونتمنى لك كل الخير."

وتراجعت عن الباب مأخوذة: "نتمنى لك كل الخير؟" هذا ما قلته الآن. لقد شاءت ليزا ان تعرف من هما ابواها الحقيقيان، ذلك هو "الخير" بالنسبة اليها. واذا كنت املك الايمان الكافي بالله وبنفسي وبابنتي، افليس من واجبي ان افصم هذه الحلقة من الحب الأناني التي أحاول تطويق ابنتي بها؟

في السكون المخيم على أعلى السلم طرأت على بالي خاطرة فسألت نفسي: "هل احب ليزا الى الحد الذي يجعلني اعثر لها على ابويها الحقيقيين؟" وارتعدت للفكرة. اذا افلحت في ذلك، فقد أفقدها. ولكن بدا لي واضحاً حينئذ اني املك من الحب لليزا ما يكفي ليجعلني اتخلى عنها.

بعد اسابيع قليلة وصلت برفقة راي الى مكتب تحرّ خاص. وقال راي للتحري: "نريد ان نعثر على الوالدين الحقيقيين لأبنتنا". وفيما نحن عائدان الى البيت كان شعور بالضياع يمزق دخيلتي.

وجاءنا الخبر بعد شهر. قال التحري: "لقد وجدتهما. تزوج والدا ابنتكما بعدما تخليا عنها للتبني. لكنهما انفصلا قبل أشهر. وها هو اسم امها وعنوانها ورقم هاتفها".

حدّقت الى الأسم وانا مبهورة الانفاس. وتساءلت: "اتراني قادرة على مواصلة ما عزمت عليه."

"احبك يا امي" - بعد ثلاثة ايام تحدثت ليزا هاتفياً مع والدتها لاكثر من نصف ساعة. ثم هبطت السلم وهي تصيح: انها آتية. ستأتي لتراني غداً!".

وجمدت في مكاني، كانت الاحداث تتلاحق بسرعة. وهمست: "يا الٰهي، لا تدعني أفقدها."

وأصغيت ساهمة الى ما خططته ليزا للقاء امها في المركز التجاري. وقالت: "بعد ذلك أريد ان احضرها معي الى هنا." فأشرت برأسي موافقة.

في الصباح التالي خرجت ليزا باكراً، وجلست انا الى طاولة مطبخنا أصلي الى الله ليعينني على تقبل والدة ليزا وادراك مشاعر ابنتها نحوها.

وفجأة ظهرتا امامي معاً في الباب كأنهما صورتان في اطار. القامة نفسها والعينان الزرقاوان والشعر الأشقر الضارب الى الخمرة.

في وجه المرأة الفتية الجميلة رأيت صورة ليزا. ويا للغرابة! شعرت أن قلبي يهتف لها.

في الاسبوع التالي التقت ليزا والدها وأحد أخويها. وهكذا اكتمل عالمها وانتهى بحثها المهووس عن هويتها وأخذت تشعر بالأمان. لكن



الشركة التي تستحق ثقتكم

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

خوفاً مؤلماً ظل يخالج اعماق فكري فاتساءل: "ماذا بعد؟"

في الثاني من ديسمبر (كانون الاول) ذهبت ليزا بالسيارة لتمضية النهار مع امها· وهي طوال ايام قبل ذلك لم تنقطع عن التحدث عن هذه الزيارة الثانية· واذ رحت انظر اليها وهي ذاهبة،تملكتني رغبة قوية في ان احتضنها مودعة· لكن ليزا بدلا من ذلك لوحت لي بيدها ومضت· وفكرت بألم: "عندما تعود، فذلك لجمع امتعتها· انها تخصنا من الناحية القانونية، ولكن ما جدوى القوانين عندما يتوق القلب الى الحرية؟"

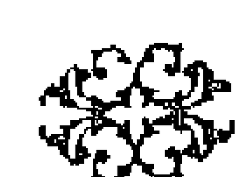
بدا لي ان ساعات ذلك النهار لن تنتهي· وما ان غام الاصيل في عتمة المساء حتى سمعت هدير سيارة تقف في الخارج ثم وقع خطوات متجهة الى الباب· وحاولت اخفاء ارتياحي عندما ولجت ليزا المطبخ، فقلت لها: "اني سعيدة بعودتك·"

تقدمت ليزا مني وطوّقتني بذراعيها قائلة: "وانا سعيدة لاني عثرت على والديّ· وارجو ان أبقى على صداقة دائمة معهما، لكنني انتمي الى هذه العائلة·"

وشدّت ذراعيها حولي وهمست في أذني كلمات نادراً ما سمعتها: "أنا أحبك يا أمي· احبك اكثر من اي وقت مضى·"

وفيما نحن متعانقتان انجلت لي حقيقة تلك اللحظة· ان الحب الذي يقبل بالتخلي عن عزيز لاسعاده ليس حباً خاسراً· فلذلك الحب باب آخر يعود منه اوفر مما كان ابداً·

■ غريس طومسون



دمعة وابتسامة

لا شيء يساعد نشوء الصداقة ونموها اكثر من دمعة وابتسامة· ومن السهل جداً للذين ضحكوا معاً، وخصوصاً للذين بكوا معاً، أن يصبحوا أصدقاء·

الموت والحب

مع وفاة شخص عجوز،يموت طفل كما يموت مراهق وشاب· واذا يبكي الناس من مات، فإن كلا منهم يبكي من أحبّ·

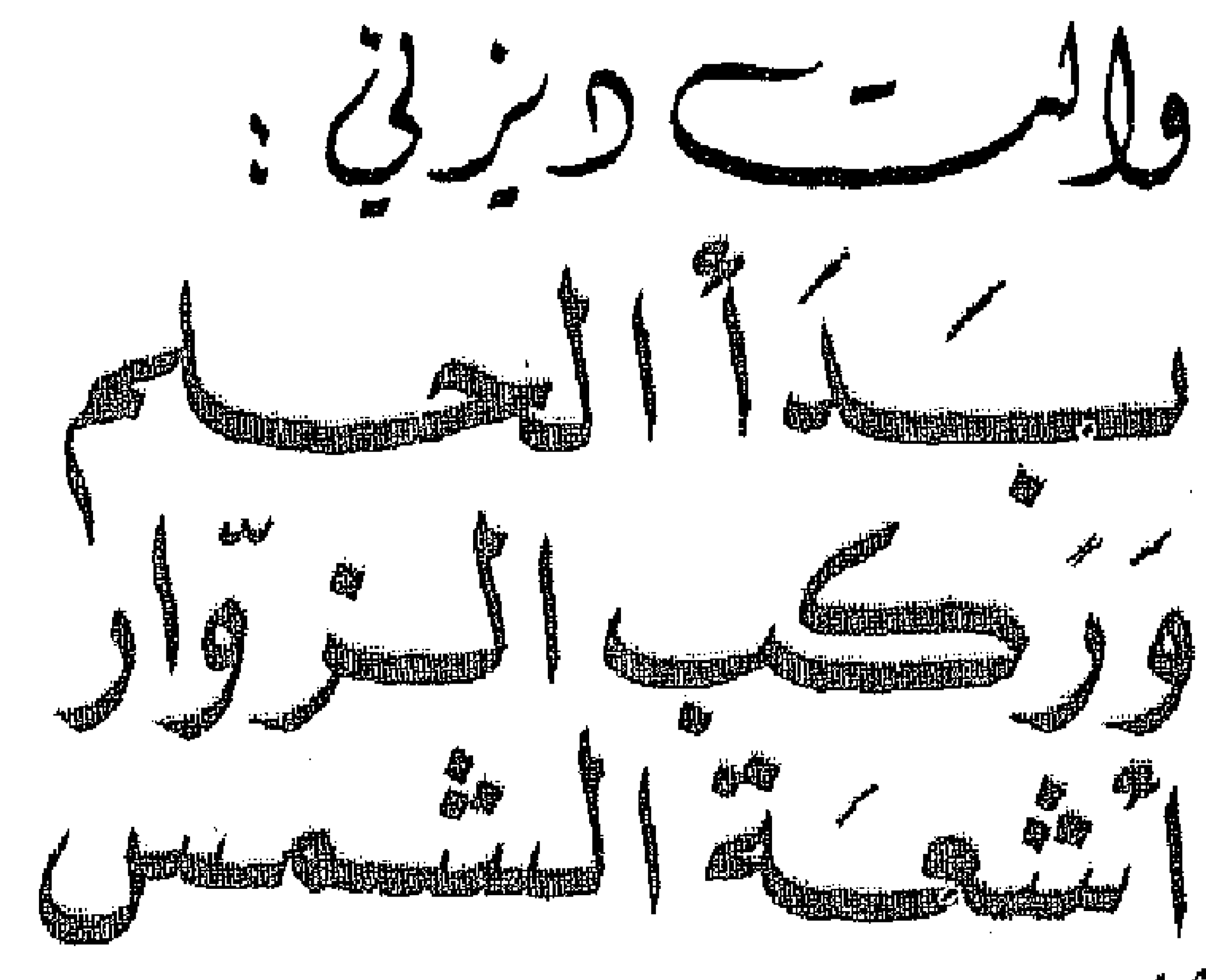
سيمون دو بوفوار

الحق لا يضيع

ما من شيء كان ذا قيمة في الماضي يفقد قيمته· وما من حق أو خير مما اتاه الانسان يزول أو يمكن زواله· ان كل ما حققه الانسان من قيم يستمر وسط التقلّبات المتعاقبة·

توماس كارلايل

كرة ارضية عملاقة وغابات تقطن فيها زواحف ما قبل التاريخ ورحلات مثيرة الى الفضاء، كلها احلام تحققت في عالم والت ديزني الرائع



ظاهرة جديدة برزت تحت شمس فلوريدا الحارقة. أبنية فريدة ترتفع، بينها واحد في شكل عجلة ضخمة وآخر في شكل كرة هائلة وثالث يظلل سقفه هكتاراً من الارض ويحمل سطحه ٨٠ الف خلية كهربائية شمسية. وتولت آلات حفر ضخمة أزالة مليون ونصف مليون متر مكعب من التراب لتهيىء المكان لهذه الظاهرة

المنبسطة فوق ٢٢٢ هكتاراً. وعمل ٤٠٠٠ شخص بجهد لانجاز المشروع في الموعد المحدد (خريف ١٩٨٢).

تفاصيل الانشاء غالباً ما تبدو غريبة. في كل مكان آلات رافعة عملاقة كأنها زواحف الدينوصور. والواقع ان ذلك الشيء الذي نقلته الرافعة عن ظهر شاحنة هو فعلا دينوصور، زاحف من فصيلة "برونتوصورس" يتحرك بواسطة دماغ الكتروني ويرتفع حوالى ستة امتار. اما الاشجار التي غرست في التراب فهي حقيقية، نحو ١٢ الف و٥٠٠ شجرة غرسها المعنيون بتهيئة المناظر الطبيعية. لكن الاشجار المطلية في موقع مجاور هي نسخ طبق الاصل عن اشجار ما قبل التاريخ، وهي تمثل مستنقعاً بدائياً.

اين أنا؟ اني في مركز أبكوت، النموذج الاختباري لمجتمع الغد والحلم الذي ألهب خيال والت ديزني قبل وفاته عام ١٩٦٦.

افتتح مركز ابكوت في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ في منتجع "عالم والت ديزني" قرب مدينة اورلاندو، فلوريدا. لكن هذا المشروع لن يكتمل أبداً. فقد اراد ديزني مجتمعاً للغد يستحدث ويجرّب ويظهر باستمرار افكاراً تتبدل على الدوام وتقنيات لعالم الغد كما تبرز من المراكز المبدعة للصناعة. كذلك اراد ان يوفر التسلية في الوقت الذي يحقق هذا الهدف. واليوم تغامر مؤسسة منتجات والت ديزني بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار – وهو رقم ربما قفز الى مليار دولار – لتثبت ان في وسعها تحقيق ذلك الحلم في مركزأبكوت.

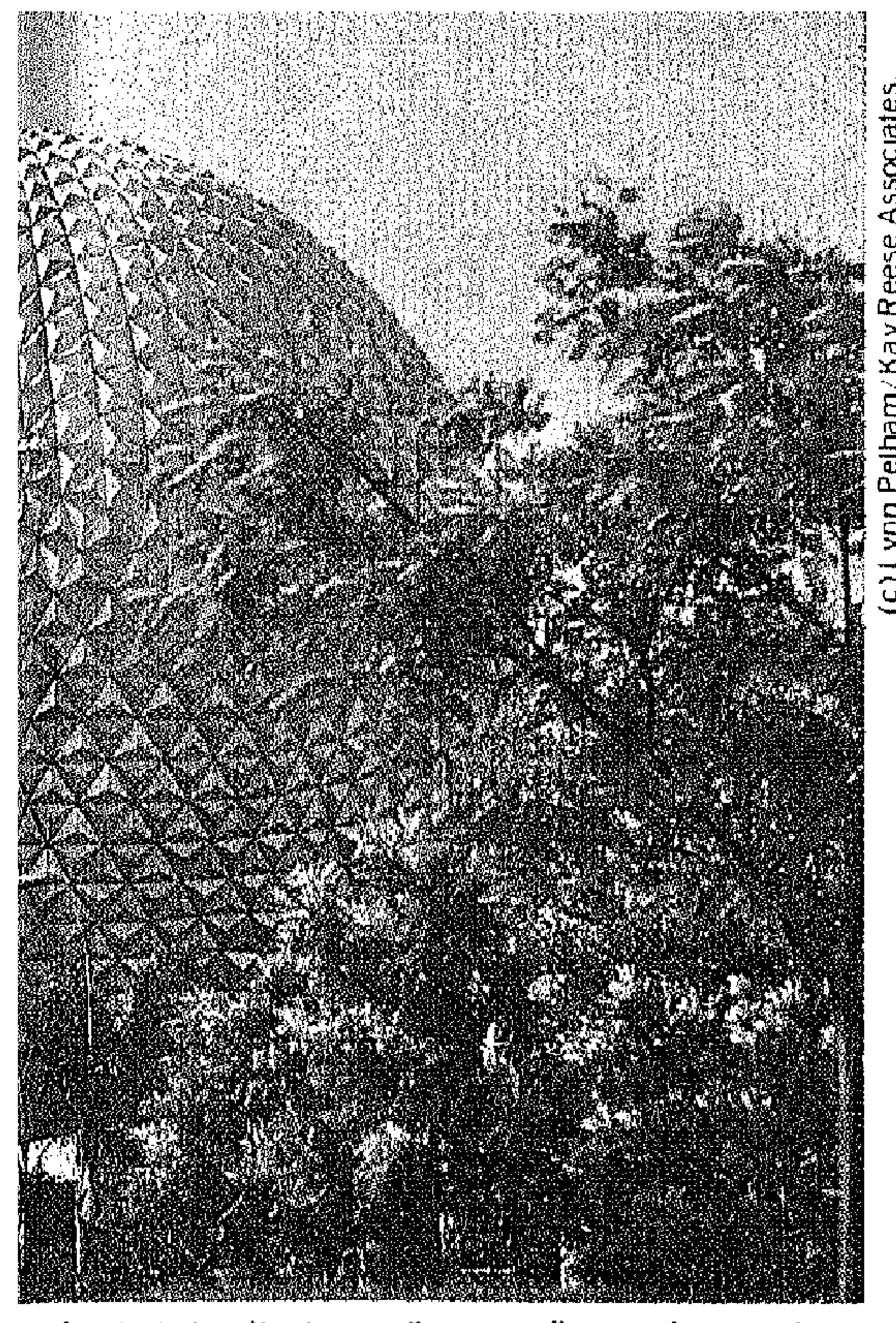
برزت فكرة انشاء المركز من مؤسسة "واد" (والت ا. ديزني)، وهي مؤسسة تخطيط فريدة تضم فنانين ومهندسين كان ديزني يدعوهم "مهندسي الخيال". وعلى غرار "ديزني لاند" في كاليفورنيا و"عالم والت ديزني" في فلوريدا، فأن مركز أبكوت الذي يضم منطقتين رئيسيتين، عالم المستقبل ومعرض العالم، هو مدينة ملاه تحوي رحلات مثيرة ومشاهد مذهلة. وهو في الوقت نفسه معرض عالمي دائم تساهم فيه شركات اجنبية وامريكية، ومتحف مستقبلي للعلم والصناعة، ومعرض للتاريخ الطبيعي.

من اجل تحقيق ذلك كله فان هناك نحو ٤٥٠ دمية تتحرك وتنطق الكترونياً، بدءاً بالنباتات التي تغني كاشفة اسرارها للدينوصور وانتهاء بالسياسي والعالم الامريكي الراحل بنيامين فرنكلين وهو يتحدث الى الكاتب الفكاهي مارك توين. وهناك ايضاً الرسام الايطالي مايكل انجلو يتحرك وينطق الكترونياً وهو مبرمج لكي يتمدد على ظهره ويعمل في زخرفة سقف احدى الكنائس. هذه الدمى الجديدة لا تكتفي بالحركة والنطق بل تظهر مشاعرها ايضاً، انها تعبس وتضحك.

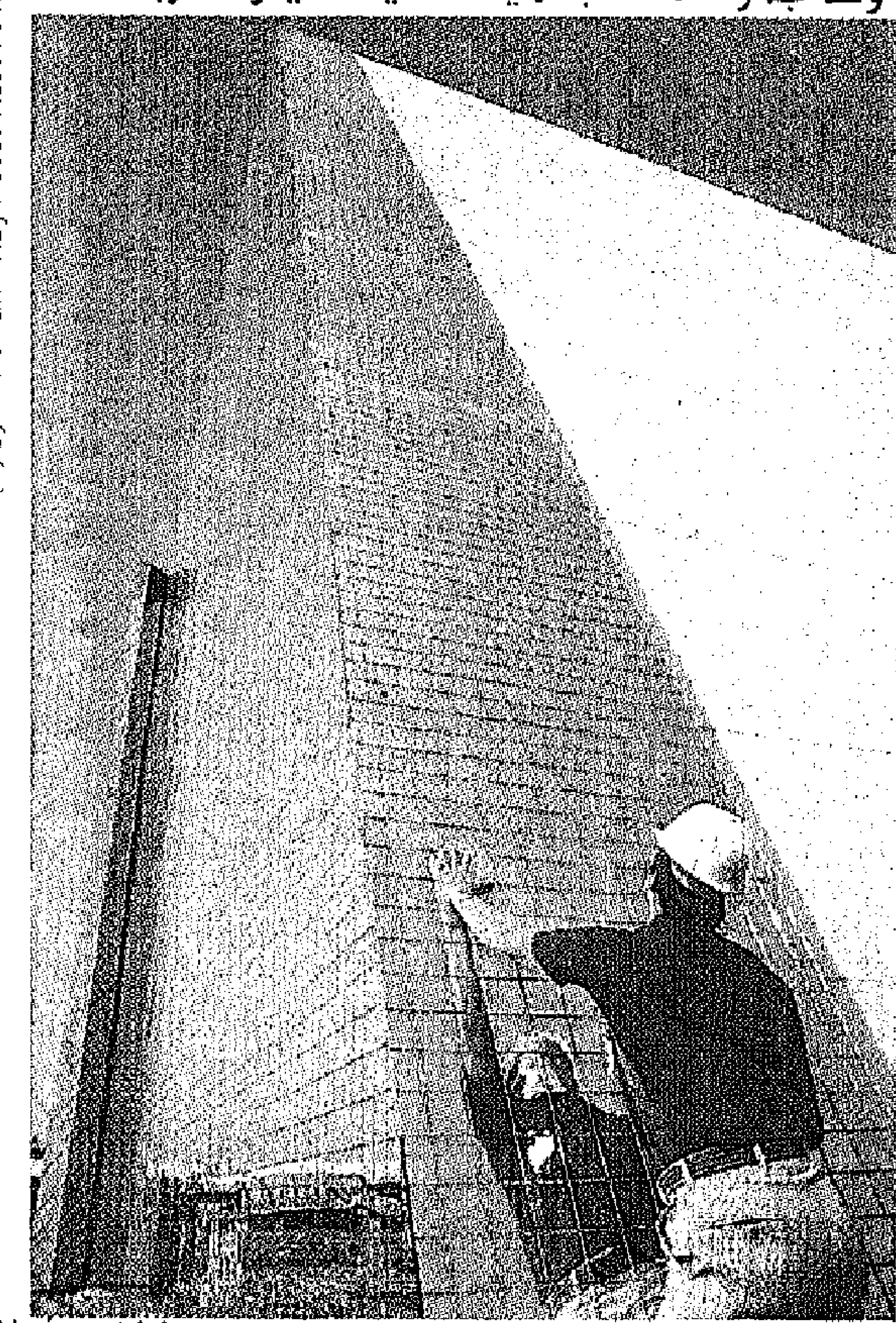
وهذه للمبتدئين فقط. فهناك محطة لأبحاث البيئة و٣١ معرضاً مختلفاً تستخدم ١١ نظاماً متباينة لعرض الافلام، بما في ذلك اكبر شاشة في العالم هي ذات ثلاثة أبعاد ويمكنك ان ترى عليها قلق الأسد اذ

يتسع بناء "عالم الطاقة" لثلاثة ملاعب كرة قدم وقد جهز سطحه بخلايا شمسية تسيّر العربات.

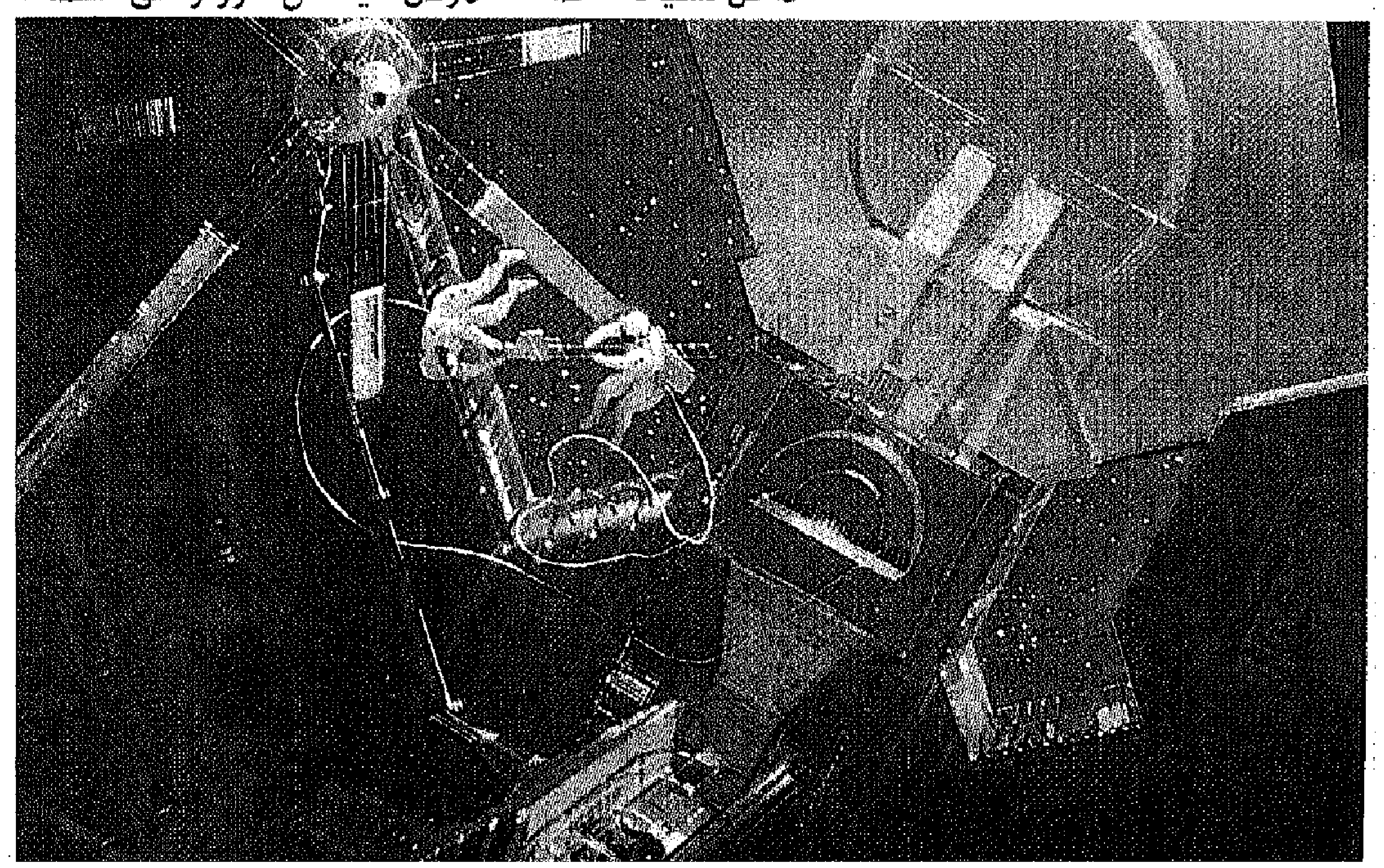
(c) Lynn Pelham / Kay Reese Associates.



سفينة الفضاء "الارض" هي اعظم ابنية ابكوت الارضية له شكل دائري تام.



داخل سفينة الفضاء "الارض" ينطلق الزوار الى الفضاء.



(c) Walt Disney Productions.


(c) Walt Disney Productions.

(c) Lynn Pelham/Kay Reese Associates

بنيامين فرنكلين ومارك توين يتكلمان ويتحركان الكترونياً.

وهي اول نموذج عملاق للكرة

(c) Walt Disney Productions.

حمم متوهجة تتدفق من بركان في "عالم الطاقة."

يتراءى لك قافزاً من خلال طوق مشتعل ليحط في حضنك.

مستعمرات فضائية ـ البناء المهيمن في أبكوت عند مدخل "عالم المستقبل" هو سفينة الفضاء "الارض." وهذا نموذج للكرة الارضية يرتفع ٥٥ متراً وينتصب على ثلاث ركائز تعلو عن الارض ٤،٥ امتار. ويبلغ قطر هذه الكرة ٥٠ متراً، وتتقوس منها ستة أبنية ذات شكل مميز تحوي معارض صناعية تظهر التحديات وتتنبأ بالخيارات المستقبلية.

داخل سفينة الفضاء "الارض" يتعرّف الزوار الى الموضوع الرئيسي في مشروع أبكوت وهو قدرة الانسان على البقاء حياً عن طريق الاتصال باخوانه البشر. يسافر الزوار في عربات تجري على سكك حديد تلتف بشكل حلزوني حول جوف الكرة، بدءاً بأزمنة ما قبل التاريخ وانتهاء بالقرن العشرين عبر مسافة ٤٦٥ متراً. بعد ذلك ينطلق الزوار عبر نفق الى "الفضاء الخارجي" وهو القسم الاعلى من القبة.

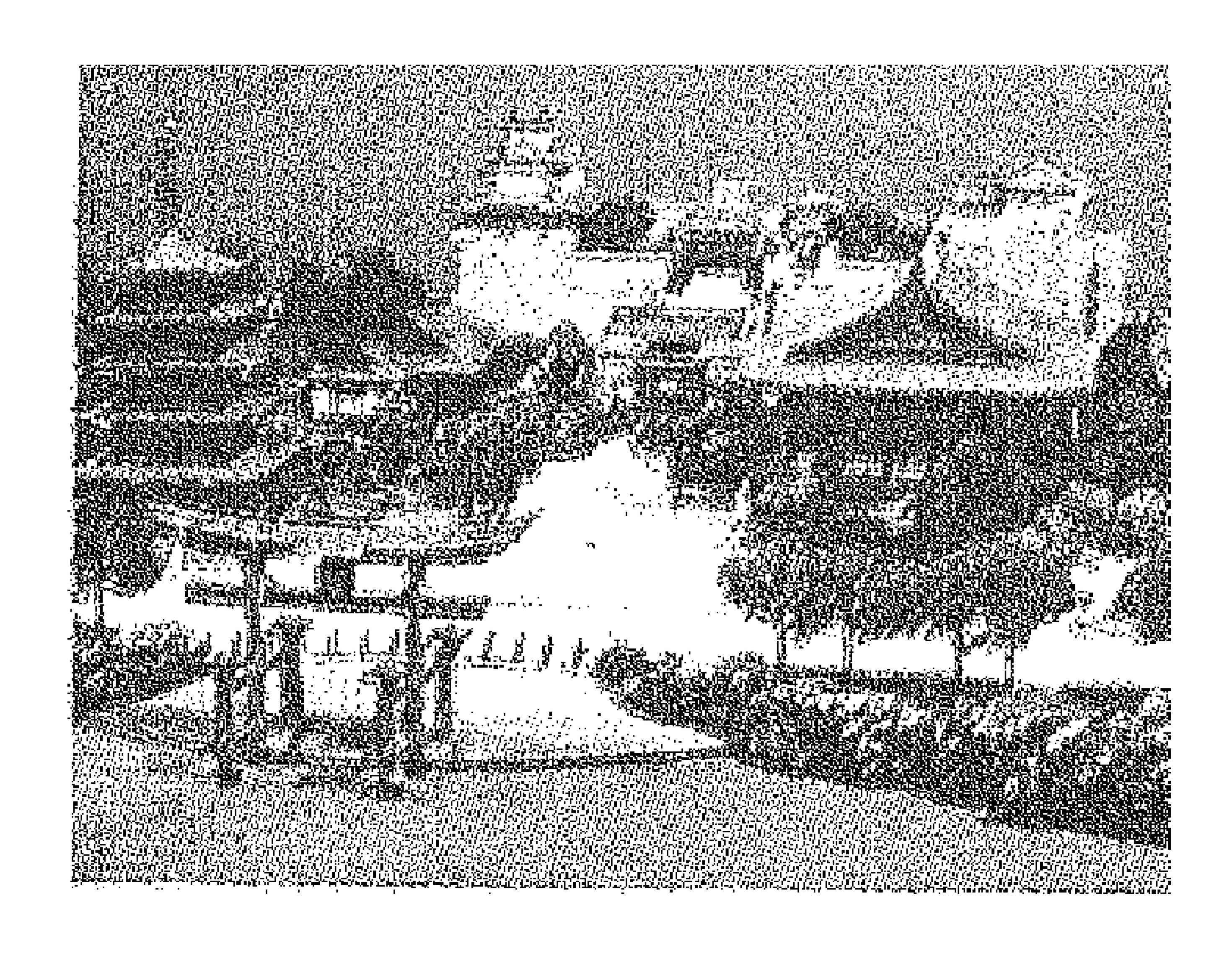
هناك يلجون مسرحاً فضائياً رحباً هو نموذج فني للمجرة على شاشة قطرها ٤٥ متراً. وتدور العربات ١٨٠

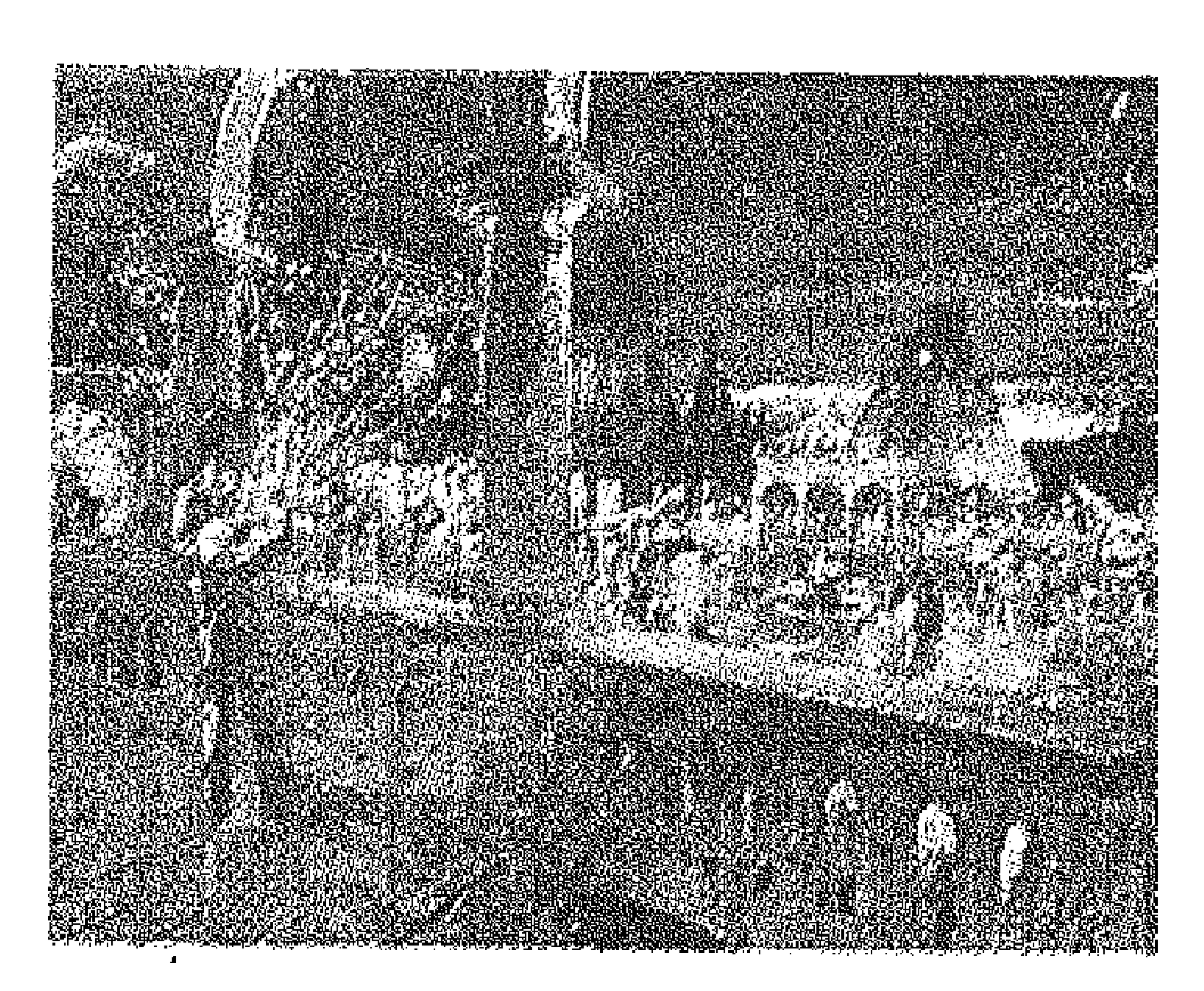
درجة وهي تهبط خلفياً على منحدر. وتعرض صورة الارض على الجدار الخلفي بينما يتدلى المكوك في الفضاء. وفيما الزوار يطيرون وسط هذا الجو يشعرون كأنهم تائهون بين النجوم.

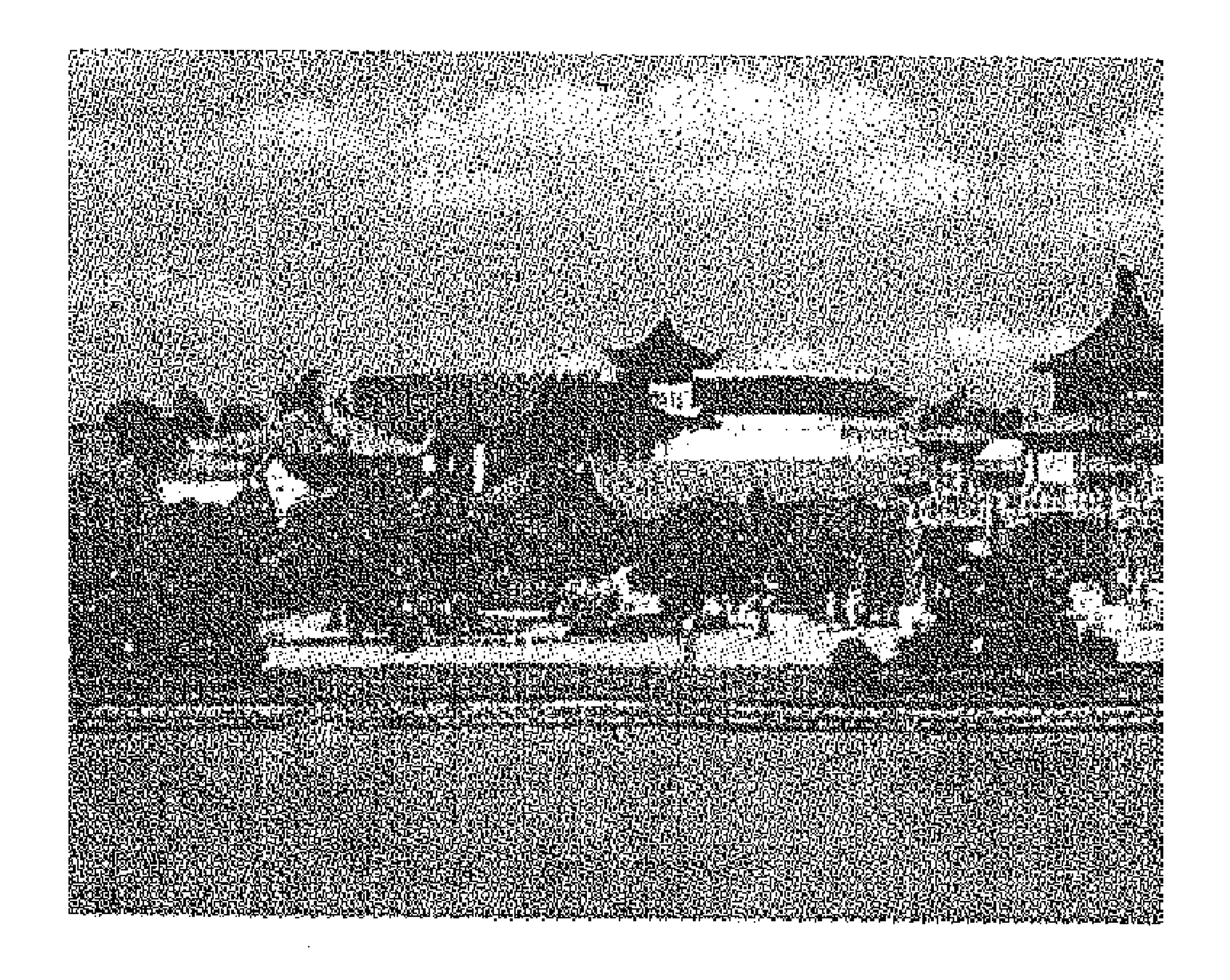
وفي "عالم الطاقة" تعمل ٨٠ الف خلية شمسية مثبتة على السطح في تسيير الرحلة في الداخل، حيث ست عربات كبيرة تنقل كل منها ٩٧ مسافراً بين مشهد وآخر. وهكذا فلن يخشى اي "مهندس خيالي" ان يتهم بالمبالغة اذا ادعى ان زوار هذا العالم "يركبون أشعة الشمس."

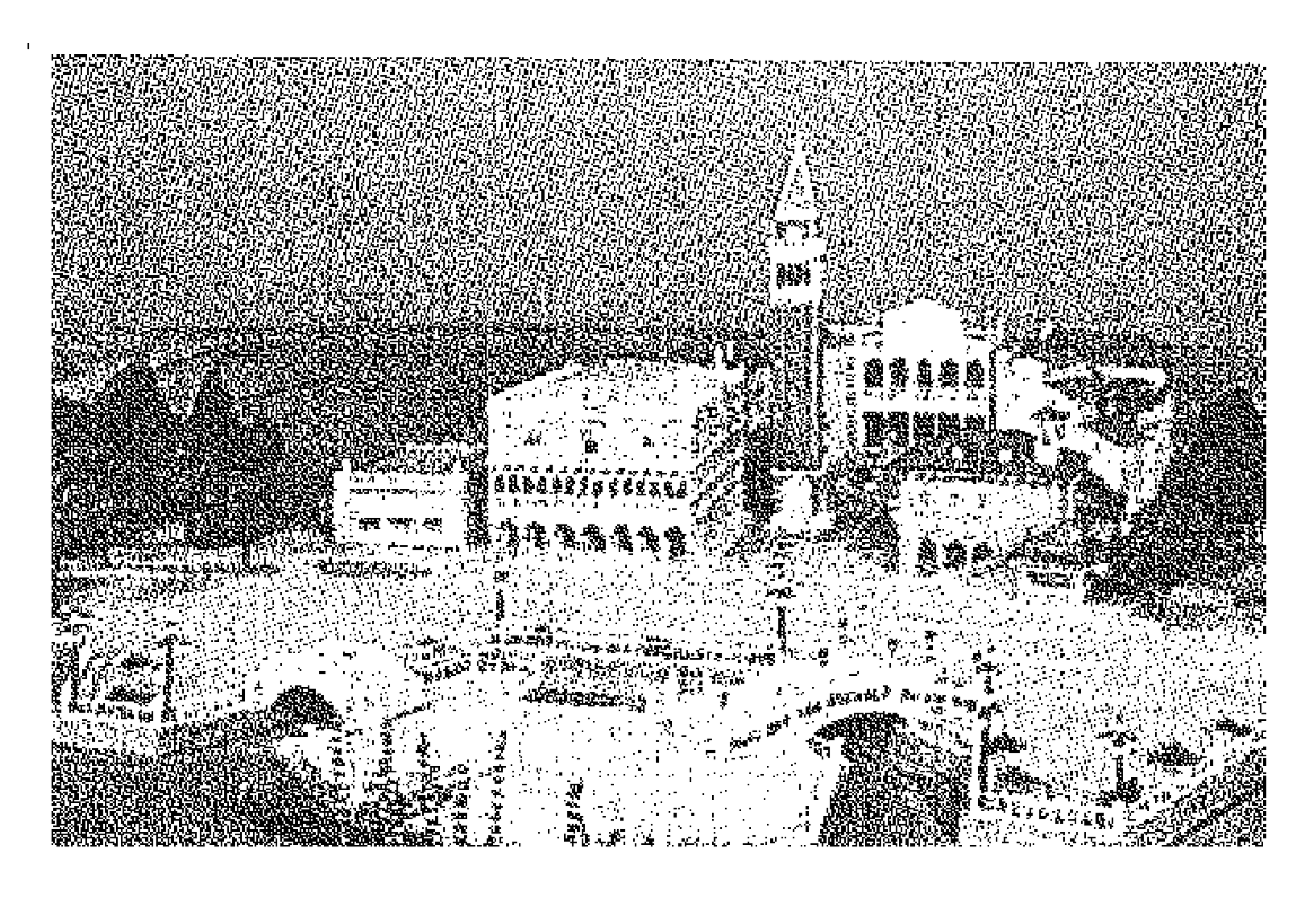
ليس في أبكوت مكان يمزج الاعلام بالتسلية على نحو ابداعي كما في جناح "اليابسة" لشركة "كرافت" الذي يجسد العلاقات بين الانسان والارض ماضياً وحاضراً ومستقبلا. فأي عالم غذائي، مثلا، يمكنه ان يفسر لنا الحياة افضل من تلك الخضر والثمار واللحوم والالبان التي تغني في "مقصف المطبخ"؟ وللزوار كذلك ان يركبوا قارباً ليشاهدوا عرض "أصغ إلى اليابسة" الذي ينتهي الى اسطوانة فضائية هائلة تمثل احوال نمو النباتات في مستعمرات الغد الفضائية.

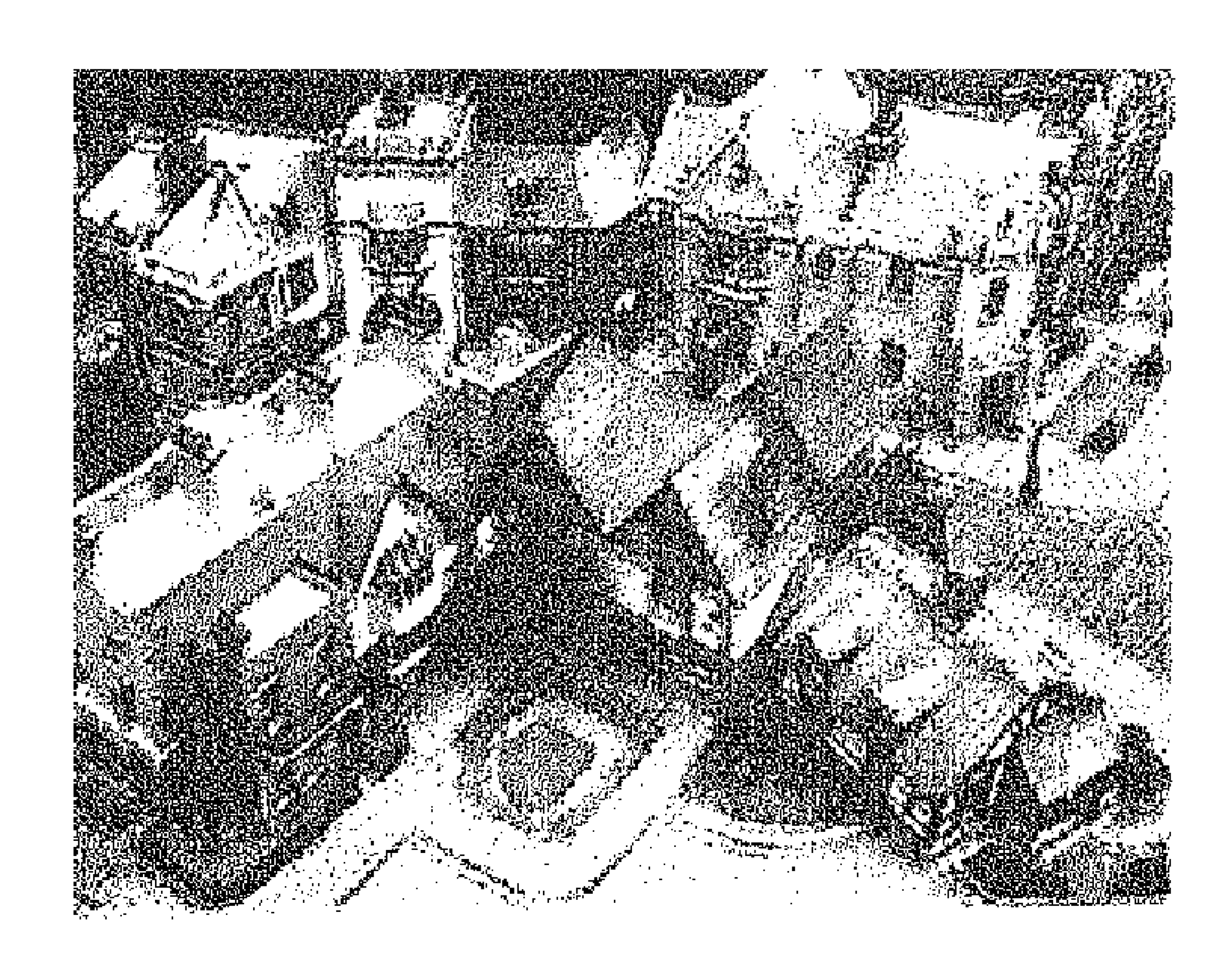
باقة من الحمم – ان افضل وصف لما حققه مبدعو أبكوت جاء على لسان طوني باكستر (٣٥ سنة) الذي بدأ العمل مع ديزني في تسيير الرحلات قبل عقدين من الزمن، وهو احد مصممي "رحلة كوداك في الخيال." قال: "حتى الآن كانت الرحلات مثيرة

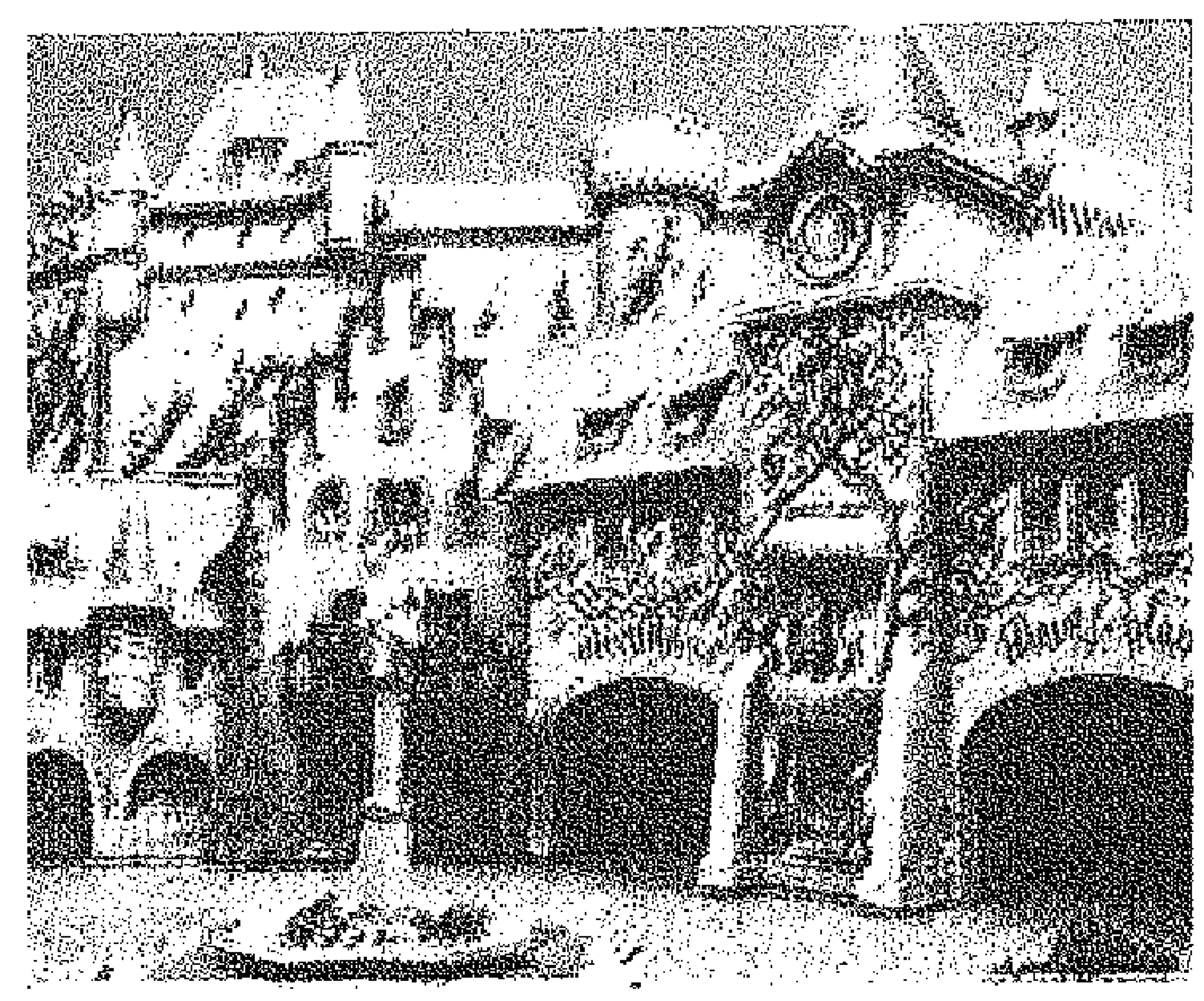


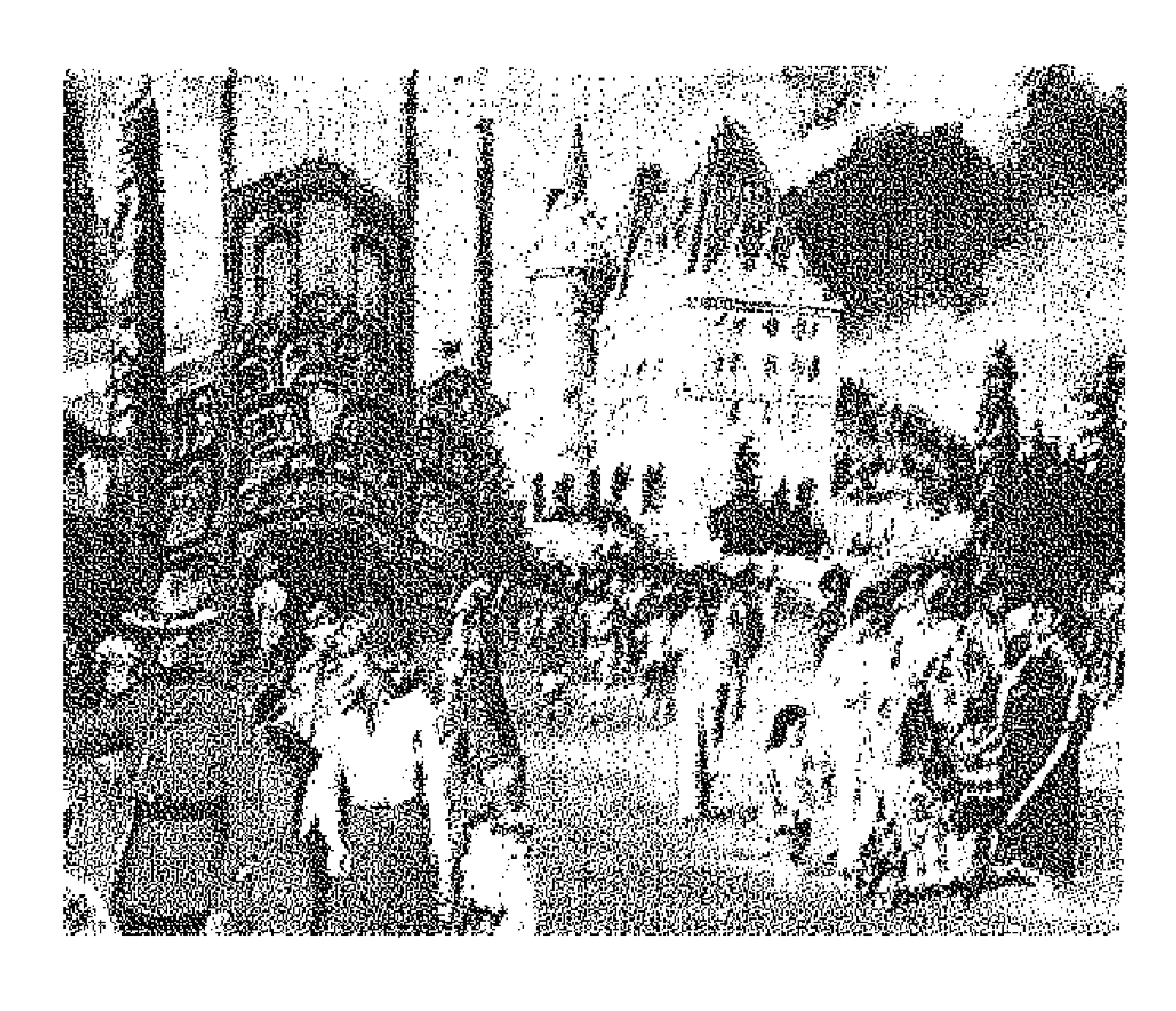


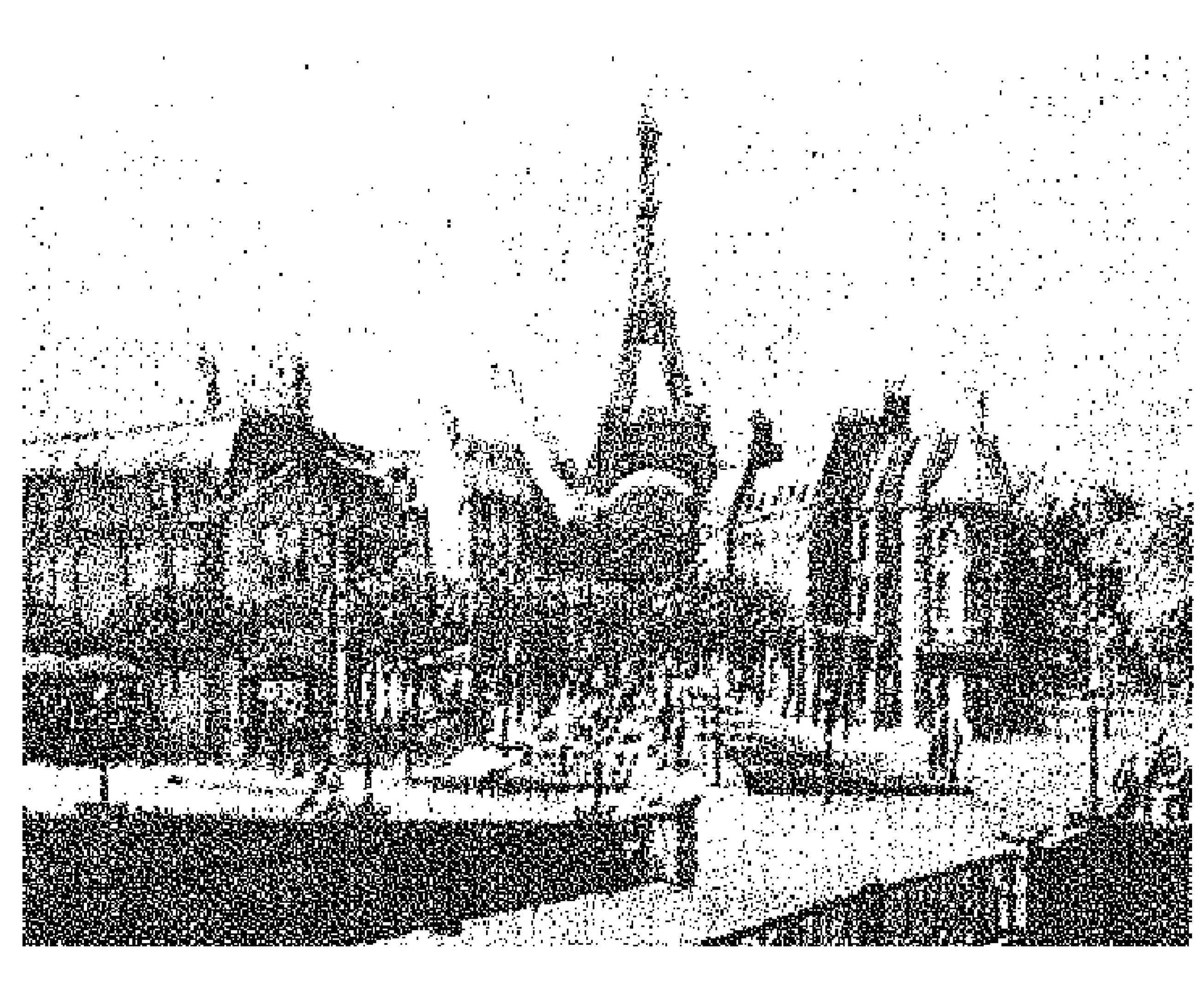












ولكن غير تثقيفية، والعروض المسرحية تثقيفية ولكن غير مثيرة. وهكذا جمعنا بين الاثنتين لنقدّم اليكم رحلات وعروضاً مسرحية تثقيفية ومثيرة في آن."

ولما كان الدليلان هما شخصيتا والت ديزني في الصور المتحركة "دريمفايندر" (كاشف الاحلام) و"فيغمنت" (التصور)، فقد غدت هذه الرحلة المثيرة تثقيفية في اظهار العملية التي تحول الافكار القديمة علماً جديداً وتقنية جديدة وفيلماً جديداً.

اما الافكار التي يبرزها الخيال فتتجلى في "عالم الحركة لجنرال موتورز" المشيد في شكل عجلة سيارة ضخمة، حيث تنقل العربات الزوار عبر ٣٥ مشهداً هزلياً متحركة وناطقة الكترونياً، تصور اللحظات الخالدة في تطوير وسائل النقل. بعد ذلك ينتقل الزوار الى المستقبل في رحلة خيالية على متن سيارات الغد.

بعد بضع ساعات من التجوال المثير في "عالم المستقبل" يتحول الزوار الى الاجنحة التسعة التي تؤلف "المعرض العالمي." هناك يدخلون المطاعم والمعارض والحوانيت وسط نسخ مجسمة للمعالم المعمارية من أمم مختلفة كالمكسيك واليابان وبريطانيا.

وفي ظل برج "ايفل" الذي هو بمقياس عشر البرج الحقيقي، تنبسط مقاهي الرصيف في الجناح الفرنسي. وفي مكان آخر تقدم آلات التصوير رحلة سينمائية عبر فرنسا على خمس شاشات تتقوس في زاوية من ٢٠٠

درجة، ترافقها موسيقى كلاسيكية للمؤلفين الموسيقيين الفرنسيين من برليوز الى ديبوسي. ويشمل الجناح الالماني حديقة حيث يعتزم المصممون ان يحتفلوا على مدار السنة بعيد اكتوبر (تشرين الاول) التقليدي. وذلك يكتمل بالالات الموسيقية المألوفة في المناطق الريفية من تلك البلاد.

في الجناح الصيني يقدم "فريق ديزني للعرض الدائري - ٣٦٠" شريطاً رائعاً تم تصويره خلال الزيارات النادرة الى جمهورية الصين الشعبية. وتظهر المشاهد مناطق نائية في اكثر بلدان العالم سكاناً. وتلاحق آلات التصوير قوافل الجمال على "طريق الحرير" التي سار عليها ماركو بولو، وزيارة الى يايوغوان آخر قواعد الجدار العظيم الذي يبلغ طوله ٦٠٠٠ كيلومتر ، كذلك بلاد التيبت ومدينتها المحرّمة.

وقبل ان أنهي زيارتي الى أبكوت عدت الى "عالم الطاقة" من اجل أثارة اخيرة، التأثيرات الخاصة هناك هي اكثر تطوراً وابهظ كلفة من اي شيء حقق للسينما أبداً.

في الفترة ما بين فيلمين سينمائيين - احدهما يعرض اكبر اشكال الرسوم المتحركة في العالم - تعود العربات بالزوار ملايين السنين الى الغابات البدائية حيث يشاهدون - بل يشمون ايضاً - بداية تكوّن الوقود المتحجر. ويقترب من عربتك برونتوصورس يتحرك الكترونياً ، فيستحوذ على جميع حواسك باستثناء حاسة الذوق. فتراه يتحرك وتسمعه "يتنفس" وتشم رائحة المستنقع الذي يقطن فيه. وفي بعض المقاعد تشعر بلعابه يتساقط عليك. رائحة المستنقع وسواها من المؤثرات تصدر عن آلة تطلق العبق الى علو ستة امتار عبر غرفة نحو جهاز يصرفها الى الخارج.

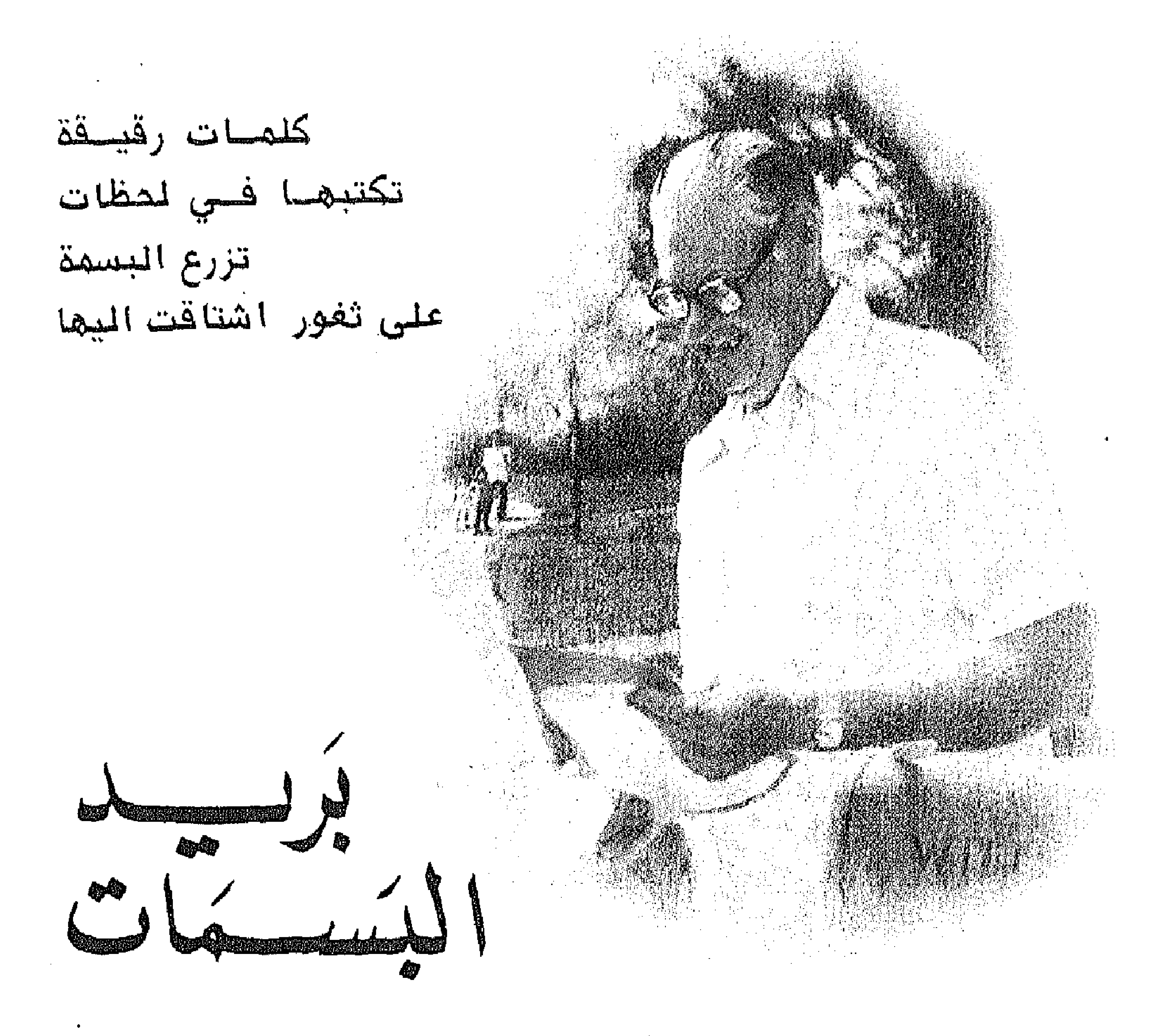
وربما تكون "باقة البركان" اكثر الروائح اثارة في ابكوت. وهذه يرافقها وهج ناري من بركان ثائر ودفق من الحمم الذائبة. وبما ان الزوار يمرون على اطراف مجرى الحمم، فلا يمكن ان تكون هذه حارة، ولكن من الضروري ان يكون لها الوهج الناري وان تغلي وتخرج الفقاقيع ثم تتجمد كالحمم الحقيقية.

بعد اختبار مواد عدة اكتشف الكيميائيون ما يسمى "الصمغ البرتقالي" وهو مزيج من احماض البولياكريليك يشبه مادة تستخدم في معجون الاسنان وبعض المسهلات المعوية. وبعد مزج هذا الصمغ بالصباغ البرتقالي وبملونات ضوئية، يتوهج كالحمم تماماً لكنه لا يحرق اصابع الصغار - والكبار - الفضوليين.

كان والت ديزني يقول دائماً ان السر في تحقيق الاحلام يتلخص في أربع كلمات: الثقة والشجاعة والمثابرة والفضول. هذه العوامل تفعم مركز ابكوت. وقد غادرته يتملكني شعور بأن حلم والت ديزني الذي لن يكتمل ابداً سوف يضيف باستمرار نجاحاً رائعاً الى نجاح رائع لسنوات طويلة آتية.

■ جون كالهان

كلمـات رقيـقة
تكتبهـا فـي لحظات
تزرع البسمة
على ثغور اشتاقت اليها



بَريـد البَسَمات

ذات يوم بعد ولادة طفلي الثالث بوقت قصير، تلقيت رسالة من صديقة لي تقطن على بعد مئة متر من بيتي في المدينة. وكنا لم نلتقِ طوال فصل الشتاء.

كتبت الي تقول: "مرحباً يا عزيزتي. اني افكر فيك غالباً. عسى ان تتاح لنا فرصة لنقضي بعض الوقت معاً كما كنا نفعل. واصلي جهدك، انا اعرف انك ام مثالية. ارجو ان أراك قريباً. صديقتك التي تنتظرك، سو آن "

تلك الكلمات القليلة بعثت في نفسي قوة معنوية كأنها بلسم مهدىء من الحب جاءني في يوم عمل شاق. واذكر اني تمتمت في نفسي قائلة: "شكراً يا سو آن، كنت في حاجة الى ذلك التشجيع".

في اليوم التالي سنحت لي فرصة للخروج اذ ان زوجي بقي في البيت ليعنى بالاولاد. وقصدت متجراً يبعد بضعة كيلومترات حيث اقيم عرض مخفض للبيع. ولم اكن على خير ما

يرام، فطفلي مصاب بالزكام وأنا في عجلة من أمري. وبدلا من ان تنفعل البائعة الشابة لتصرفاتي المتسرعة، ظلت في منتهى التهذيب والاستعداد للمساعدة. ولاحظت ان الرقعة الملصقة على ثوبها تحمل اسم جانيت سوليفان، فسألتها اذا كانت هي صاحبة المتجر فقالت: "آه، كلا. انا موظفة فحسب، لكني أحب عملي هنا." وغادرت المتجر وانا أحس بقدرة اوفر على احتمال مشاق العمل.

في طريق عودتي فكرت في نفسي: يجدر بي ان اكتب رسالة الى صاحبة المتجر اخبرها فيها كم ان جانيت سوليفان لطيفة مع الزبائن. ولكن ليس لدي الوقت الكافي لذلك.

عندما وصلت الى البيت بدا كل شيء هادئا، ورأيت على المنضدة رسالة صديقتي سو آن. وتساءلت: اذا كان لديها وقت لترفع معنوياتي، فلماذا لا يكون لدي متسع منه لأبعث البهجة في نفوس الآخرين؟

جلست وكتبت: "عزيزتي صاحبة المتجر. كان هذا الصباح شاقاً علي. دخلت متجرك وانا في حال نفسية متوترة. غير ان جانيت سوليفان كانت مهذبة وخدومة ولم تسمح لطبعي المشاكس بان يؤثر في رقتها. اني اشكر لك استخدامك مثل هذه الفتاة الطيبة التي جعلت نهاري من افضل ايام حياتي." ووقعت الرسالة هكذا: "زبونة راضية."

بعد ذلك كتبت رسالة اخرى الى جانيت سوليفان. لم يستغرق ذلك سوى دقائق معدودة،لكن بقية نهاري بدت هانئة اكثر من العادة. فقررت ان اكتب مثل تلك الرسائل كلما التقيت اشخاصاً يجيدون اعمالهم.

وذات يوم عادت ابنتي ميغان ذات السنوات الست من المدرسة وهي تحمل دمية وعدة مشوّقة من لوازم التعلم. وكنت منذ مدة اشعر ان معلمتها تقوم بعمل جيد، لكني لم اخبرها بذلك قط.

وتساءلت: لماذا لا افعل ذلك؟ ثم اخرجت ورقة وكتبت: "عزيزتي الآنسة باتريك. ان افكارك البارعة تجعل التعلم متعة مسلية. ان ابنتي تحب المدرسة ويبدو لي ان وقتك يتسع للاهتمام بكل طفل بمفرده. وأقر صراحة باني لا اعرف كيف يتسنى لك ذلك. اني فخورة بأن لدينا مدرسين مخلصين من امثالك يملكون الموهبة والحب للقيام بواجبهم. وأشكر لك توفيرك لابنتي الصغيرة منطلقاً جيداً ومنحى حسناً لاقتباس العلم. بكل اخلاص، ام سعيدة."

قررت الا أوقع الرسالة، اذ لم أشأ ان اوحي الى الآنسة باتريك بأني اتزلف اليها لكي تحب ابنتي اكثر.

عندما خرجت لأضع الرسالة في صندوق البريد، رأيت جارنا السيد وليمس يبحث في صندوقه عن رسائل. وبدا لي رأسه مائلا بأسى وخطواته بطيئة وهو عائد الى بيته صفر اليدين. واسرعت الى بيتي لأني سمعت صراخ طفلي، ولكن لم يسعني ان انزع من خيالي صورة السيد وليمس الحزين. انه لم يكن يتوقع ان يجد حوالة مالية، فهو موسر، بل كان يبحث في صندوق البريد عن بعض الحب.

جلست ابنتي ميغان ترسم صندوق بريد ضاحكاً وابني تامي يرسم قوس

قـزح، وكتبـت انـا رسـالة قصيـرة مطلعها: "اننا معجبون بك." واضفنا الى ذلك قصة محببة وقصيدة. وكتبت علـى الغلاف "انـتظر منـا رسـائـل كثيرة."

في اليوم التالي وقفت واولادي نراقب السيد وليمس يفتح صندوق بريده ويخرج الغلاف ويفضه في الممر المؤدي الى بيته. من تلك المسافة امكنـنـا ان نـرى وجهه مشـرقـاً بالابتسام.

أخذ رأسي يدور وانا افكر في كل اولئك الناس الذين تفيدهم ابتسامات تأتيهم من صناديق البريد. ماذا عن تلك الفتاة العليلة التي تقطن في جوار منزل اهلي وقد دنا عيد ميلادها الخامس عشر؟ واولئك الناس في مأوى العجزة قرب بيتنا؟ وتلك المرأة المقعدة في حينا القديم؟ وذلك العدد الذي لا حصر له من الناس الذين لا اعرفهم لكنهم لا يزالون يؤمنون باللياقة والخير؟ حتى في ايام العمل الجاد كنت اجد فسحة من الوقت لأخط رسالة واحدة على الاقل.

بعد كتابة مئات الرسائل حققت اكتشافين:

اولا، لا ضرورة لأن تكون الرسائل طويلة. عندما انتقل آل لنثروب الى منزل جديد سمعت بعض الجيران يعربون عن مدى افتقادهم لهم. وكانت رسالتي بالنيابة عن سكان حينا، وجاءت قصيرة اذ كتبت اقول: "أعزائي آل لنثروب. عندما انتقلتم بدا كأنكم اخذتم معكم بعضاً من أشعة الشمس. الناس هنا يفتقدون ابتساماتكم واصـواتكم السعيـدة. نـرجو ان تعودوا الينـا زائـريـن. صديقتكم في شارع تشيري لاين."

ثانياً، الرسـائـل المغفلة تـدع الآخرين متحررين من اي التزام. فقد يعسر على بعض الناس تقبل المديح او العون. والرسائل المغفلة تخفف من انزعاجهم او شعورهم بأن عليهم واجب الاعتراف بالجميل او الرد باي طريقة.

في البداية كنت اتطلب منة في مقابل الرسائل، انما الآن اجد ان كتابتها سراً تضفي عليها مسحة من المغامرة. انها ممتعة اكثر.

ربما لن يتاح لي الوقت او الوسائل لمساعدة الآخرين بطريقة افضل، حتى بعد ان يشب اولادنا. لكني الآن راضية لمعرفتي أني اساعد في رفع معنويات الآخرين وان قليلا.

وكنتـيجة جانبـية لعملـي هـذا، اجدني الآن انظر الى ظروفي الخاصة مـن زاوية ايجابـيـة. لكن الشعور بالسعادة ليس في العادة سوى نتيجة جانبية.

■ آن بايتمان



الصالح والرديء

اعتزازنا بأفعالنا الصالحة يواقت قيامنا بها. لكنّ معظمنا ينتظر أشهراً أو سنوات قبل ان يراوده الخجل ازاء فعل رديء اقترفه.

ا.ج.

من ذا الذي يمكنه أن يتصور غابة من غير حيوانات برية؟ أن بزور براري خالية من الفيل ووحيد القرن والنمر وحمار الوحش والزرافة؟

كنوز افريقيا الطبيعية

في حديقة روينزوري في اوغندا رُفعت يوماً لافتات تحذّر السائقين من دوس الحيوانات، كتب عليها: "للأفيال حق المرور". في تلك الأيام كان ثلاثة آلاف فيل عملاق تسرح وتمرح في تلك المراعي المعشبة عند سفوح جبال القمر الجليلة. وكانت الحديقة عينها تؤوي ١٨ ألف جاموس، فضلا عن ١٠٥٠٠ برنيق في بحيراتها ومعابرها المائية. كما كانت السهول مكتظة بالظباء التي بدت، بألوفها المؤلفة من بعيد، ضباباً يزحف فوق سطح الارض.

هذه المشاهد ربما لن يراها أحد بعد الآن. ففي العام ١٩٧١ استولى عيدي أمين على السلطة وأغرق البلاد في الفوضى. وبقي جيشه سنوات يجتاح الحديقة بشاحناته، فيقنص جنوده بأسلحتهم الاوتوماتيكية ما راقهم من حيوانات. وأكمل ذلك العمل التخريبي على أيدي المغيرين من تانزانيا المجاورة، يساعدهم رجال القبائل المحلية.

وبعد عقد من السنين تحسنت الامور، واتُّخذت بعض تدابير لحماية الحياة البرية. ولما شرع المسؤولون عن الغابة يحصون ما بقي فيها من حيوان، أذهلهم أن يروا أن عدد الأفيال تقلص الى المئة والستين، ولم يبقَ سوى أربعة آلاف جاموس و٢٩٠٠ برنيق. أما الظباء فقُتلت بالألوف.

ولئن يكن حجم المأساة بلغ أبعاداً هائلة في اوغندا، الا أن بلداناً كثيرة اخرى تشهد ابادة للحياة البرية. والحيوان الاكثر تعرضاً للأهوال هو الفيل. ويقول الخبيران جان باركر


Photo: Peter Jordan: Gamma — Liaison

اشلاء الفيلة في اوغندا ·

وازموند مارتن ان أربعين ألفاً من الأفيال يُقضى عليها سنوياً· ففي غرب افريقيا تعاني هذه الحيوانات خطر الابادة بالقضاء على بيئتها الطبيعية· وفي شرق القارة السوداء تتضاءل البقية الباقية من الفيلة على نحو سريع·

الذهب الأبيض — لا شك في أن صيد الحيوانات البرية قديم قِدَم الانسان· غير أن الصيد الذي مارسه الافريقيون للحصول على لحوم هذه الحيوانات وجلودها لم يهدد الحياة البرية بالانقراض· كذلك لم يهددها الصيد الذي كان يتم بقصد الرياضة، والذي ضبطته السلطات الاستعمارية على نحو دقيق· أما الخطر اليوم فهو حصيلة ظروف مستجدة، أهمها، كما يبدو، ارتفاع أسعار الانياب العاجية وقرون الكركدن·

ولا عجب في هذا· ففي العام ١٩٧٠ كان ثمن الـ٤٥٠ غراماً من العاج ٢،٣٠ دولار، أما اليوم فأصبح ٣٤ دولاراً· وهذا يعني ان ذكر الفيل البالغ الذي يوزن ناباه ٤٥ كيلوغراماً، يحمل ثروة تبلغ ٦٨٠٠ دولار· بعض هذا العاج يذهب الى هونغ كونغ، حيث يتولى الصُّنّاع الصينيون تحويله شخوصاً ومجوهرات وحلى صغيرة· غير أن أنياباً كثيرة تبقى بلا استعمال، ويكتفي أصحابها بادّخارها لتكون لهم وقاء ضد التضخم المالي·

أما الكركدن (وحيد القرن) الافريقي الأسود فقد انقضّ الصيادون عليه من غير شفقة· وبعدما كان عدد أفراده يتجاوز المئة ألف قبل

عشر سنين، تقلص اليوم الى عشرة آلاف أو عشرين ألفاً في أبعد حد. ونظراً الى أن هذا الحيوان بطيء التناسل، كان من الصعب جداً اعادة الرقم كالسابق. وانثى الكركدن تضع عجلا كل أربع سنوات. وتحذّر مجموعة علماء من مستقبل هذه الحيوانات بقولها: "ان أملها في البقاء وسط القفار ضئيل جداً."

والسبب أن قرن هذا الحيوان مرغوب فيه كثيراً في القارة الآسيوية. وطالما ظن الغربيون أن سكان آسيا يستخدمون مسحوق هذه القرون كمنشط جنسي . لكنهم باتوا يعرفون أنه يستعمل كعقار للتغلّب على الحمى في الدرجة الاولى. والحقّ أنه من الغريب ان تكون لهذا القرن قيمة علاجية، علماً أنه مكوّن من المادة عينها التي تتكوّن منها الاظفار البشرية. لكنّ العديد من الآسيويين يؤمن بأنه دواء لا يُستغنى عنه، الأمر الذي رفع سعر المسحوق الى ٤٢ دولاراً للغرام الواحد.

ثمة خطر آخر على الكركدن يأتي من تقليد عريق في اليمن الشمالية، حيث يحمل كل فتى تجاوز الثانية عشرة خنجراً يُدعى "الجنبيّة" يدليه من خصره. وقد جرى التقليد على أن تُصنع مقابض الجنبيات من قرون الكركدن.

والجنبية التامة الصنع هي تلك المرصّعة بالذهب والفضة والتي تبلغ كلفتها ١٣ ألف دولار. وهذا يعني أن عدداً قليلا من اليمنيين يمكنه اقتناءها. الا أن ٧٥٠ ألفاً من سكان اليمن الشمالية يعملون اليوم في حقول النفط في البلدان العربية المجاورة. وهذا العدد يشكل عشر عدد السكان الاجمالي. وفي أقل من عشر سنين، استوردت اليمن الشمالية ٢٣ ألف كيلوغرام من قرون الكركدن. وهذه الكمية تقتضي قتل ٨٠٠٠ حيوان.

العاج "القانوني" - الحروب الكثيرة التي قامت في افريقيا منذ استقلال بلدانها رفعت معدّل قتل الحيوانات. ذلك أن غياب القانون أدى، في أماكن عدة، الى الفوضى. والافريقي الذي يعيش بأقل ما يمكن من موارد ويسكن بالقرب من حديقة حيوانات، يمكنه الحصول على ٥٠٠ دولار من قرني كركدن واحد أو من نابي فيل صغير، وهو مبلغ لا يمكنه جمعه طوال حياته بالوسائل العادية. وبعض حرّاس الغابات الذين يجنون خمسين دولاراً في الشهر يمكنهم تحصيل راتبهم السنوي عبر قتل فيل أو كركدن واحد.

ومما يزيد الامور سوءاً نزوع القضاة الافريقيين الى التساهُل حيال هذه التجاوزات، بحجة أن "السارق فقير، وهو مسؤول عن عائلة كبيرة." وتراوح أحكامهم في الغالب بين الأشهر الثلاثة والأشهر الستة سجناً.

والمفارقة في الأمر أن معظم هذه التجاوزات ليس من عمل الفلاحين المساكين. فهو غدا تجارة ذات أبعاد هائلة، تتولاها عصابات يبلغ عدد أفرادها أحياناً الستين، يركبون شاحناتهم ويطوفون في مساحات كبيرة. وهم يسلّمون غنائمهم الى

تجار يؤمّنون تهريبها الى الأسواق العالمية٠

والمحاولات التي تجرى لوقف هذه الممارسة تصدّها القوانين الافريقية التي تتيح تصدير العاج "القانوني٠" وهذا النوع من العاج يأتي به صيادون يحملون ترخيصاً حكومياً ولا يتاجرون، نظرياً، الا بالعاج الذي ينتزعونه من الأفيال النافقة أو الهرمة٠ وقد أُبرم اتفاق خاص بالاتجار العالمي بالحيوانات المهددة، تعهدت بموجبه ٧٦ دولة بألا تصدّر أو تستورد من العاج الا ما كان قانونياً٠ لكن ١٩ دولة فقط من الدول الافريقية الخمس والثلاثين التي تملك أفيالا وقّعت ذلك الميثاق٠

وتجدر الاشارة الى أن الكثيرين من تجار العاج يزوّرون الوثائق عبر رشوة المسؤولين٠ ويحسن بهواة السلع العاجية أن يتأملوا الطرق التي اوصلت اليهم ذلك العاج٠ ففي زائير، مثلا، يدس الصيادون السم في مجمّعات الماء التي ترتادها الفيلة للشرب، بحيث تلقى مصرعها لدى اطفائها الظمأ٠ كما ينصب اولئك الصيادون أشراكاً من أسلاك شائكة تسقط فيها الحيوانات فتنفق ببطء والم من العطش أو الاختناق أو الغنغرينا (تآكل الانسجة لانقطاع الدم عنها)٠

بيض وجلد - ومما يعقّد فرض القوانين بالنسبة الى المحافظة على الحياة البرية تورّط المسؤولين الحكوميين في تجارة العاج، خصوصاً في زائير حيث يسهل امور التجار مسؤولون على أرفع المستويات٠ وفي كينيا التي فقدت أكثر من ثلث أفيالها المئة والخمسين ألفاً خلال السنين العشر الأخيرة، جنت أرملة الرئيس الراحل جومو كينياتا وابنته ثروة طائلة من الاتجار بالعاج٠

أما الكركدن فقد تم قتله في كينيا على نطاق واسع، بحيث لم يبقَ الا ألف رأس من أصل عشرين ألفاً كانت هناك قبل عقد واحد٠ وفي حديقة ميرو الوطنية يتولى الجوالون المسلحون حراسة الرؤوس الستة الباقية من وحيد القرن الأبيض النادر وهي ترعى٠ وفي المساء يعمد الى ايوائها في مكان مقفل٠ وعلى رغم هذه التدابير المشددة، فقد قُتل أحد هذه الحيوانات أخيراً٠

ويهدد خطر الانقراض حيوانات اخرى أيضاً٠ وفي السنوات الخمس التي سبقت حظر الاتجار بالتحف من قبل حكومة كينيا، قُتل نحو عشرة آلاف من الحمر الوحشية لتُصنع منها طبول وحصر تُباع للسياح٠ وفي بلدان افريقية اخرى تركّب قرون الظباء على لوحات وتُباع قطعاً تذكارية، وتُحوّل أذيال الزراف سياطاً، بينما يُقتل النعام لجلده وبيضه٠ ويتم قتل الفهد الصياد (الشيتا) في أماكن عدة لكثرة الطلب على جلده غير المدبوغ٠

وقد بلغ قلق جمعيات المحافظة على الحياة البرية ذروته حيال الغوريلا الجبلية التي تتضاءل اعدادها على نحو مذهل٠ وقبل وقت ليس بطويل، قتل أحد افراد العصابات غوريلا اسمها "ديدجيت" لعبت دور البطولة في أفلام عدة عن الحياة البرية، وباع رأسها ويديها الى أحد

السياح بمبلغ ٢٥ دولاراً. وقُتلت حيوانات أخرى من فصيلة الغوريلا لصنع المنافض من راحات أيديها.

لكن المرء يجد استثناءات قليلة لهذه الممارسات. ففي حديقة امبوسيلي الكينية على سفح جبل كيليمنجارو، تمكن المسؤولون من حماية الحيوانات في السنوات الأخيرة. ويعود الفضل في ذلك الى السهر على رعايتها من قبل ٣٧ حارساً مسلحاً يتناوبون الطواف في أرجاء الحديقة نهاراً وليلا. يضاف الى ذلك أن رعاة قبيلة الماساي الذين يقطنون في جوار الغابة يأنفون الصيد ويردون الصيادين على أعقابهم.

وهناك، واحة أخرى ترتع فيها الحيوانات بأمان، تقوم على طرف نيروبي العاصمة الكينية التي تعج بـ٨٠٠ ألف نسمة. فهناك حديقة نيروبي الوطنية بمساحتها التي تبلغ ١١٤ كيلومتراً مربعاً، وتؤوي عشرة آلاف حيوان بري. ومما يسهل سيطرة الشرطة عليها صغر مساحتها النسبي وقربها من المدينة. وفيما تشقّ قطعان الكركدن والجاموس طريقها وسط الغابة، تحط طائرات "الجمبو" الضخمة في مطار نيروبي الدولي القريب وتقلع منه.

كنز للجميع – الا أن مستقبل الحياة البرية في افريقيا يبدو كالحاً. والخطر، في المدى الطويل، يأتي ليس من الصيادين فحسب، بل من المزارعين أيضاً. ذلك أن عدد السكان في القارة الافريقية يشهد ازدياداً كبيراً. ففي كينيا، مثلا، يزيد السكان بنسبة ٤ في المئة سنوياً. وهذه من أعلى النسب العالمية. واذا استمر النمو السكاني هكذا، فان سكان كينيا، وهم (١٧،١ مليوناً)، سيتضاعف عددهم في السنوات الخمس عشرة المقبلة، ثم يتضاعف هذا الحاصل في السنوات السبع والنصف التالية. ومنذ الآن شرعت قبائل كثيرة تطالب بمنحها حدائق الحيوان كيما تحوّلها مزارع ومراعي.

كثيرة هي الحكومات الافريقية التي تعرف حسناً أن الحياة البرية مورد قومي لا يقل أهمية عن الأرض. ومن هذه الدول تانزانيا وزامبيا. ولقد جنت كينيا ٢١٨ مليون دولار من السياحة الخارجية عام ١٩٨٠، وهو رقم لا يضاهيه سوى عائدات البنّ الذي تصدّره هذه الدولة. وفي حال اضمحلال الحياة البرية، سوف يتلاشى عدد السياح كثيراً.

ولكن هل يمكن انقاذ الحياة البرية في افريقيا؟

ان الحياة البرية الافريقية كنز للعالم أجمع. وبما أن غالبية الدول الافريقية لا مال لديها للحفاظ على حياتها البرية، كان جديراً أن تتسلم المال اللازم كهبات من الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية والهيئات الخاصة.

غير ان المسألة، في التحليل الأخير، وقف على ارادة الافريقيين ذاتهم. وخير الطرائق لحماية الحيوانات البرية هي أن يتولى الأفارقة انفسهم ادارة حدائق الحيوان وحمايتها. وقد اتخذت منظمة حماية الحياة البرية الافريقية،

ومركزها العاصمة الامريكية واشنطن، خطوة حكيمة في هذا المجال اذ ساهمت في تأسيس كليتين، احداهما في تانزانيا (افريقيا الشرقية) والاخرى في الكاميرون (افريقيا المغربية)، غايتهما اعداد خبراء في حماية الحياة البرية يحصلون، بعد تخرجهم، على وظائف حكومية في بلدانهم. كما ساعدت المنظمة في تأسيس نواد للشبيبة بهدف انجاز اعمال رديفة لحماية هذا الكنز.

وتبقى حديقة روينزوري في اوغندا شاهداً على الجرائم التي ارتكبت ضد الحيوانات البرية في افريقيا، وعلى ما يمكن فعله لاصلاح الخلل. ذلك أن الحديقة مفتوحة، لكن زوارها قلائل. وفيها أجنبي واحد هو البريطاني روبرت مالباس (٣١ سنة)، ممثلا مؤسسة الحياة البرية الدولية.

ويقدّر مالباس أن ثلاثة أرباع الحيوانات في تلك الحديقة قُضي عليها، لكنه يتوقع تحسّن الوضع مع الوقت. ومن هذا القبيل أن حيوان الكوب، وهو فصيلة من الظباء، أُهلك بالألوف. لكنه سريع التناسل. وها هو اليوم، بعد تطبيق برنامج للاكثار منه، بات أكثر عدداً من السابق. ويضيف مالباس: "أنا واثق من أن الجواميس والبرانيق سوف تعود الى ما كانت بل أكثر." وأسأله عن الأفيال، فيجيب: "هب أن الصيادين كفّوا كلياً عن تعدياتهم - وهذا مستبعد جداً - فان قروناً سوف تمرّ قبل أن يعود الفيل الى الازدهار الذي كان عليه في اوغندا قبل عشر سنين."

وعلى بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من خيمة مالباس، وقع نظرنا على نحو ستين فيلا من ذوات الأنياب الصغيرة والمتوسطة. وليس في القطيع أفراد كبيرة. ويقول مالباس: "يبدو أن الأفيال لا تبعد عن مكانها سوى كيلومترات قليلة. فقد علمتها الخبرة ان الخطر يترصد لها وراء تلك الحدود."

ونظرتُ الى الساعة، فاذا بها السادسة والدقيقة العاشرة مساء وقد أزمعت الشمس الاستوائية على الغروب خلف بحيرة ادوارد. واقترب صائدا سمك من الشاطىء وهما في قارب تجذيف، فيما أطلق أحد الفيلة صيحة انذار.

وراح القطيع يتحرّك بغير انتظام، على نحو دائريّ. وبدأ المطر ينهمر غزيراً. وتلاشت بحيرة ادوارد، هي والجبال والقمر، ضمن الضباب. وفي تلك اللحظة اختفت البقية الباقية من أفيال حديقة روينزوري بين طيات المطر والظلام.

■ ديفيد ريد



القلوب شواهد

قال الرجل لابنه الصغير وهو يريه سمكة بيرانا: "انظر! انها سمكة آكلة للبشر". وقالت البيرانا لصغيرها: "انظر! انه انسان آكل للسمك".

ت.ت.

من الذي أخذ أطفال
بلدة هاملن الالمانية
المئة والثلاثين
الى غير رجعة؟ وما الذي حل
بهم؟ ربما كانت روعة هذه الحكاية
في غموضها

الزمّار الأرقط

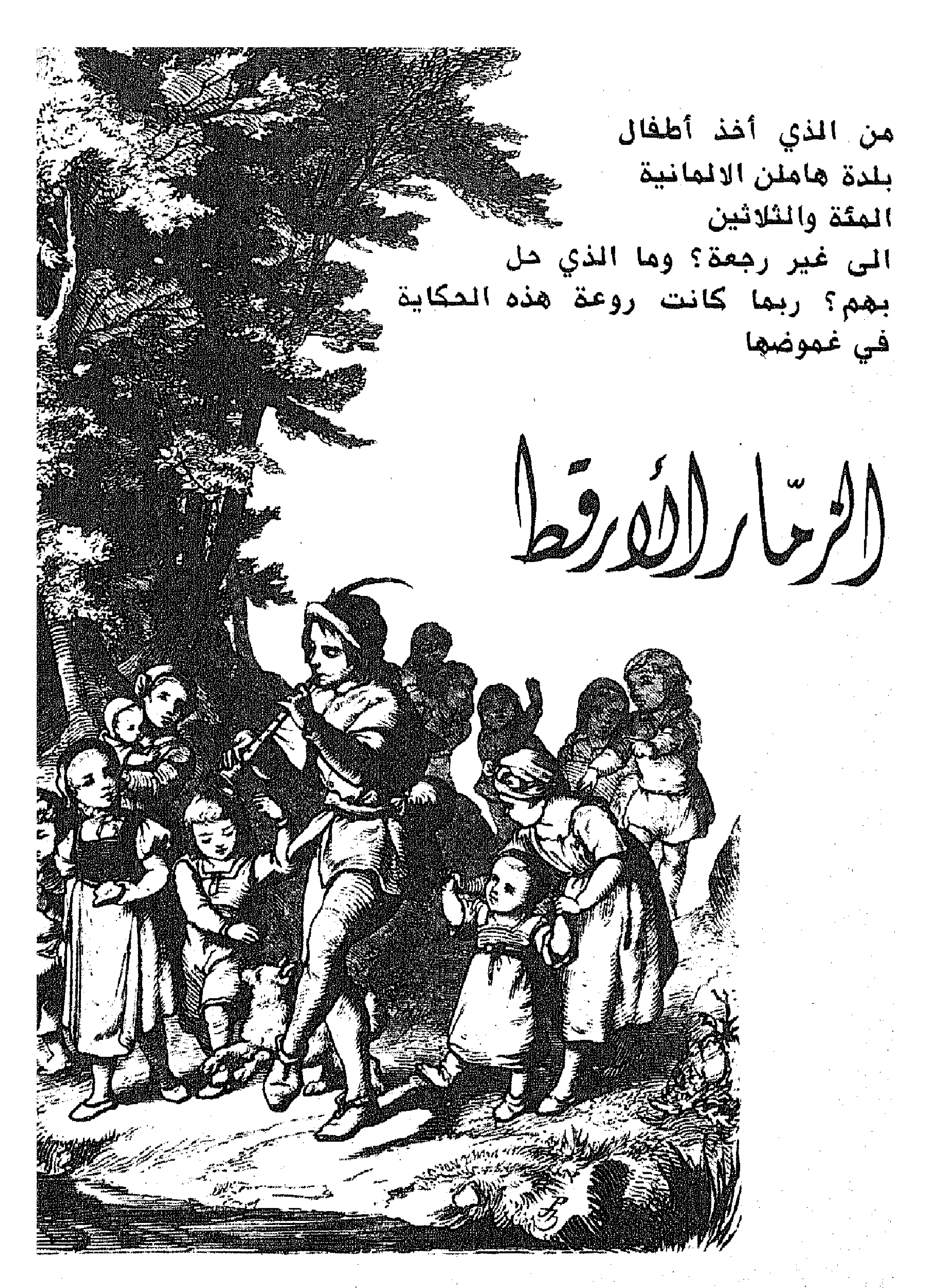


Illustration Bildarchiv PreuBischer Kulturbesitz

عميقاً في قلب مقاطعة ساكسوني الالمانية، وعلى ضفاف نهر فيسر، تقوم بلدة هاملن البديعة. وفيما كنتُ ذات يوم أذرع شوارعها المرصوفة بالحصى، مررتُ على معبر صغير اسمه "طريق بونغلوسن" أو المكان الذي لا تُقرعُ فيه الطبول. ولدى سؤالي عن الامر، أُخبرتُ أنّ الطبول ليست وحدها التي حُظرت هناك، بل جميع ضروب الموسيقى التي اختفت من ذلك المكان قبل نحو سبعة قرون. فهذه هي الطريق المشؤومة التي سلكها ١٣٠ طفلا من البلدة قبل أن يصبحوا فصلا في كتاب الاساطير.

ولقد سمعتُ حكاية "الزمار الارقط" وأنا جالس على ركبتي أمي، اسوة بملايين الاحداث. وتقول الاسطورة ان وباء هو طاعون الجرذان غزا هاملن عام ١٢٨٤. في تلك الآونة ظهر غريب مجهول النسب متشح بملابس متعددة الالوان، وتعهد بابادة الجرذان في البلدة في مقابل مبلغ معين من المال. وراح ينفخ بمزماره، فتبعته الجرذان. الى نهر فيسر حيث غرقت كلها.

الاّ أنّ الاهالي أحجموا عن الوفاء بتعهدهم تجاه الزائر الغريب الذي كان ثأره عظيماً. ذلك أنه راح ينفخ بالمزمار مرة اخرى، فتبعه ١٣٠ طفلا من البلدة عبر بوابتها الشرقية. ولما وصلوا الى تلة كوبن خارج الاسوار، انشقت الارض وابتلعتهم جميعاً.

هكذا سمعت الحكاية للمرة الاولى. وهي اليوم منتشرة حول العالم في عشرات اللغات، الامرُ الذي جعلها مادة خصبة لخيال الشعراء والروائيين والمسرحيين والموسيقيين. وفضلا عن قيمتها الشعبية، اكتسبت قيمة خُلقية يمكن تلخيصها بالعبرة الآتية: "ادفع ديونك،" وقيمة سياسية تشير الى الحرص والحذر حيال القادة الاغرار الطائشين. وربما كانت قوة هذه الحكاية مستمدة من نهايتها المأسوية. ولكن هل يعقل أن تكون هذه النهاية مبنية على أحداث تاريخية حقيقية؟

نصوص ورسوم — تسنى لي أخيراً أن أذهب الى هاملن نفسها وأُشبع فضولي. وعلى لوحة خشب في طريق بونغلوسن، قرأتُ الآتي:

"في العام ١٢٨٤، ويوم عيد يوحنا وبولس وهو السادس والعشرون من يونيو (حزيران)، دخل زمار متشح بجميع الالوان، وقاد ١٣٠ طفلا وُلدوا داخل أسوار هاملن الى نهايتهم."

هذه اللوحة، التي تعود الى مطلع القرن السابع عشر، تشير الى أنّ خطباً جللا حدث في هاملن في ٢٦ يونيو (حزيران) ١٢٨٤. لكنّ الاحجية تبقى من غير حلّ: أين ذهب الاولاد، من أخذهم؟ ما هي حقيقة الجرذان؟

في متحف هاملن، وهو مبنى من القرن السادس عشر يغص بتذكارات تلك القصة الخارقة، راجعتُ ٣٥٠ كتاباً تحاول طرح الاسئلة المتعلقة بالاسطورة والاجابة عنها. وهناك مخطوطة من القرن الخامس عشر ترجح أن الزمار الارقط عاش في الواقع. وهي تصف شاباً وسيماً في نحو الثلاثين، نال اعجاب الاهالي وهو يعزف على ناي فضيّ. وتبعه

جميع الاطفال الذين سمعوه الى خارج أسوار المدينة. وشاهدتهم فتاة من عائلة فون لود، وسرى الخبر بين ذويهم الذين انطلقوا في أثرهم ولكن لم يعثروا على أحد.

ويقول نص آخر ان سكان هاملن أقاموا شباكاً تذكارياً في كنيستهم عام ١٣٠٠، كتبوا عليه أنّ الاطفال "اختفوا بعد تعرضهم لأهوال كثيرة فوق تلة كوبن." وهذه اللوحة، التي يُقال انها تحطمت في القرن السابع عشر، كانت تشهد على صحة الرواية القائلة بصعود الاطفال الى تلة مجاورة. وكتب خطاط أن تلك النافذة "كانت تحمل رسماً قديماً لرجل في ثياب متعددة الالوان وحوله مجموعة من الاولاد". لكن الكتابة لا تأتي على ذكر آلة موسيقية.

ترى أكان ذاك الرجل كبيراً أم حدثاً؟ أكان يحمل مزماراً أم لا؟ كيف دخلت الجرذان الرواية؟

لقد شاهدتُ نسخة عن لوحة من العام ١٥٩٢، تصور الزمار كهلا قوياً ذا شاربين ومحيا رقيق وقد لبس رداء مزركشاً. وفي القسم الخلفي نقع على الزمار في مشهدين. فهو في أحدهما يقود الاطفال الى تلة حيث ينفتح شق ضخم، وفي الآخر يعتلي قارباً في نهر فيسر وينفخ في مزماره فتأتي الجرذان من المدينة الى هلاكها.

غير أنّ الجرذان في بعض كتابات القرون الوسطى ترمز الى النفس البشرية. أيعقل أن تكون الجرذان في تلك اللوحة، اذاً، اشارة الى أرواح الاطفال المئة والثلاثين الذين لاقوا حتفهم؟ أيعقل أن تشير، عن طريق الاستعارة، الى أنهم قضوا غرقاً؟ أما بمعناها الظاهري، فهذه اللوحة تنسجم والحكاية التي نعرفها حالياً.

أرض الشرق — من أجل حلّ لغز الاطفال، ينبغي حلّ مسألة الجرذان. لقد تبين لي أن الطاعون كان وباء شائعاً في اوروبا خلال القرون الوسطى. ولا تقل عنه شيوعاً القصص التي تُروى عن أشخاص اتخذوا من اصطياد الجرذان مهنة لهم. ولا يستبعد أن يكون أحد اولئك الجوالين أغرق جرذان هاملن في نهر فيسر.

والمعلومات الحديثة تشير الى أنّ الجرذان تتأثر بالاصوات الحادة. وهذا يعني أنّ للمزمار وظيفة منطقية في الرواية. وقد أراني أمين متحف هاملن ارنست سبانوت (٧٨ سنة) الذي كرس أبوه حياته لحل لغز البلدة، صفارة تنك كان يستخدمها صائد انكليزي استطاع بصوتها القوي أن يوقع آلاف الجرذان في الاشراك.

من المعقول، اذاً، أنّ هاملن كان فيها صائد جرذان، وأنّ الاهالي نظروا اليه كساحر مشعوذ فتشددوا في دفع المال له. وعلى رغم أنّ النصوص القديمة التي تتكلم عن صائدي الجرذان بالموسيقى لا تشير الى اختفاء أطفال على يد أحدهم، الا أنه لا يُستبعد أن يكون الخيال الشعبي أبقى ذاكرة ذلك الرجل الاسطوري حية، حتى اذا اختفى الاطفال ألصقت به التهمة. هذا يتماشى والتراث الشعبي الذي يخلط أحداثاً مختلفة ليخلق منها كلا اسطورياً.

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا

١٨٨ مليون مارك

اضخم يانصيب من نوعه في اوروبا يفتح أمامك فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح امامك ابواب الحظ

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط،
- من هذه البطاقات: هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتما،
- تقريبا، نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز،
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني،
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك،
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك،

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" اسس قبل ٣٥٠ سنة،

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من امثالك اصحاب ملايين، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة،
هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث ان ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من اقوى العملات العالمية واكثرها استقرارا،

الضمان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٦٤ × ١٠٠٠٠ م	= ٢٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠٠ × ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠ مارك
٢٢٦٤٠٠ × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٦٤٠٠٠٠٠
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر،
"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا،

غريغور فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحب واحد كل يوم سبت على مدار نصف سنة، تجري فيه السحوبات تكرارا على جميع البطاقات، ونرسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية عن تواريخ السحوبات والجوائز المرتقبة،

وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة، فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك، ويساوي جميع الارقام في الحظ،
يانصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!

- لكي تحصل على بطاقة، املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب الينا من غير قسيمة محددا طلبك،
- عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او بشيك مصرفي او بشيك سياحي بالمبلغ المحدد،

ويمكنك ان ترسل المبلغ نقدا، ولكن يستحسن ادراك ايداع الرسالة البريد المضمون (المسجل)،

- تستلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات وافية عن هذا اليانصيب،
- تستلم ايضا لائحة دورية بالارقام الرابحة،

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية،
- يتم دفع الجوائز باسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك،

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن اسماء المشتركين والرابحين، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده،

> **خدمة حول العالم**
> اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة، والرجاء، في هذه الحال، ان تحيط اصدقاءك علما بشركتنا، او ان تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة،

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا،

YES **I want to be with it and am ordering:**
for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets ea	DM	or US$	or £	
☐ 1/1 tickets at	720.-	360.-	180.-	each
☐ 1/2 tickets at	360.-	180.-	90.-	each
☐ 1/4 tickets at	180.-	90.-	45.-	each
☐ Lucky Letter at (= 4 quarter-tickets, each with a different number)	720.-	360.-	180.-	each

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.- / US $ 12.- / £ 6.- (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to y account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are cov ing the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additio fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 11 07 53, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ____________
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send Information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Spani

☐ Mr.
☐ Mrs. ____________
☐ Miss

Street address (or P.O. Box No.) ____________

City (postal code No.) ____________

Country ____________ Please print or type all entr

RD.AB. 11/82


النهار العربي والدولي

وفي القرن السابع عشر بدأ الدارسون يناقشون مسألة بقيت من غير حل طوال القرون الثلاثة اللاحقة: ماذا حدث لاطفال هاملن؟

ألا أن النصوص التي جاءتنا من القرون الوسطى تنطوي على تحريض للالمان على الاتجاه شرقاً نحو الارض السلافية: "انها بلاد ممتازة، غنية باللحوم والعسل والطيور والدقيق... تعالوا، اذاً، يا معشر السكسون والفرنك."

وسألتُ سبانوت: "أيحتمل أن يكون هذا صحيحاً؟"

فأجاب: "أجل...والعلماء الذين يختلفون حول التفاصيل أجمعوا على أمر واحد، وهو أنّ الاطفال ذهبوا شرقاً."

وعبارة "الشرق" كانت ذات قوة سحرية في مدن المانيا المكتظة بالسكان في القرن الثالث عشر. وكان الملاكون السلافيون والمجريون (الهنغاريون) يرحبون بالمستوطنين الالمان الذين ربما أعانوهم على دحر جحافل التتار الذين كانوا ينهبون الممتلكات ويعيثون بها فساداً لدى قدومهم من روسيا. أما الالمان المتواضعون فوجدوا حرية أكثر في تلك الديار. وبدأوا يتوافدون موجة اثر موجة، يشجعهم امراء البلاد وأشرافها الذين رأوا في نزوحهم فائدة اقتصادية لهم.

وأخيراً تبينت لي ملامح الزمار الارقط على نحو أشد وضوحاً: أنه رجل استطاع أن يُقنع ١٣٠ حدثاً من هاملن باللحاق به الى أرض الشرق حيث يبتسم لهم الحظ.

وكان السادس والعشرون من يونيو (حزيران) ١٢٨٤ عيداً في هاملن. ولا يستبعد أن يكون أحد الضباط دخل البلدة ومعه ناي وهو يرفل في حلة مزركشة. والذين جمعهم حوله ليسوا في الغالب أطفالا، وانما هم أحداث البلدة المتبطلون ومراهقوها الذين ملّوا العيش بين تلك الاسوار وكانوا يتوقون الى اختراقها سعياً وراء المجهول.

ولكن ما الذي يفسر ارتباط الاسطورة ببلدة هاملن بالذات؟ أليس واضحاً أنّ كارثة حلت باولئك الفتيان؟

نظرية معقولة ـ لاكتشاف ذلك الامر، قصدتُ الى منزل معلم المدرسة المتقاعد هانس دوبرتين (٥٨ سنة) الواقع على مشارف البلدة. وهو كرّس معظم نشاطه لتحري مصير أطفال هاملن، ويقول انه بات مقتنعاً "مئة في المئة" بما حلّ بهم. ويمضي قائلا:

"كل عبارة في الاساطير تخبىء مغزى منطقياً. واسطورة هاملن تخبرنا عن مأساة. وهذه المأساة حدثت ليس قريباً من هاملن، بل في مكان بعيد. ولديّ براهين تثبت أنّ الاولاد ذهبوا ناحية الشمال الشرقي، ومن هناك ركبوا سفينة غرقت في البحر بالقرب من بلدة كوبان البوميرانية التي تقع في بولونيا اليوم. وهذا يفسرّ النصوص الوسيطة القائلة بأنّ الاولاد "فُقدوا في كوبن" ذلك أنّ سكان هاملن خلطوا لاحقاً بين بلدة كوبان البعيدة وتلة كوبن خارج بلدتهم."

لقد استمد" دوبرتين روايته من سجلات قديمة علاها الغبار، تصف تجولات الكونت نيكولاس فون شبيغلبرغ، وهو مستعمر ألماني أقام صداقات بالقرب من هاملن. وقد شوهد شبيغلبرغ للمرة الاخيرة في ميناء شتيتن الالماني على بحر البلطيق في ٨ يوليو (تموز) ١٢٨٤، بعد ١٢ يوماً فقط من اختفاء الاولاد. وتبعد شتيتن عن هاملن ٤٠٠ كيلومتر، أي نحو ١٢ يوماً سفراً في تلك الآونة. وهي وكوبان آنذاك ميناءان كان المهاجرون الالمان ينطلقون منهما الى البلطيق للاستيطان.

ومما يقوي هذه النظرية الادلة القائلة بتنقل شبيغلبرغ بين مقاطعتي هاملن وبوميرانيا في السنوات التي سبقت ١٢٨٤. كما أن" أخويه، وهما مستعمران أيضاً، عادا الى المانيا للسكن في جوار هاملن. ويغيب ذكر شبيغلبرغ من النصوص في الوقت نفسه الذي شهد اختفاء الاطفال. وهذا، كما يقول دوبرتين، يعني أن" الكونت اختفى معهم.

وسألت المعلم دوبرتين: "نيكولاس فون شبيغلبرغ، اذاً، هو الزمار الارقط؟"

– ولِمَ لا؟ أنه الرجل الكهل الذي تمثله الرسوم القديمة في ملابسه المزركشة على غرار الاشراف الالمان آنذاك. وربما استعان بموسيقيين للفت الاهالي. وليس غريباً أن يكون الخيال الشعبي عبر العصور حول الجوقة كلها شخصاً واحداً.

ولئن يكن عدد من الدارسين يستبعد نظرية دوبرتين، الا أنه يصر" عليها ريثما يقدم أحدهم دحضاً مقبولا. ويمكن القول الآن أن دوبرتين رفع الاقنعة عن وجه الزمار الارقط اذ أعطاه اسم الكونت نيكولاس فون شبيغلبرغ.

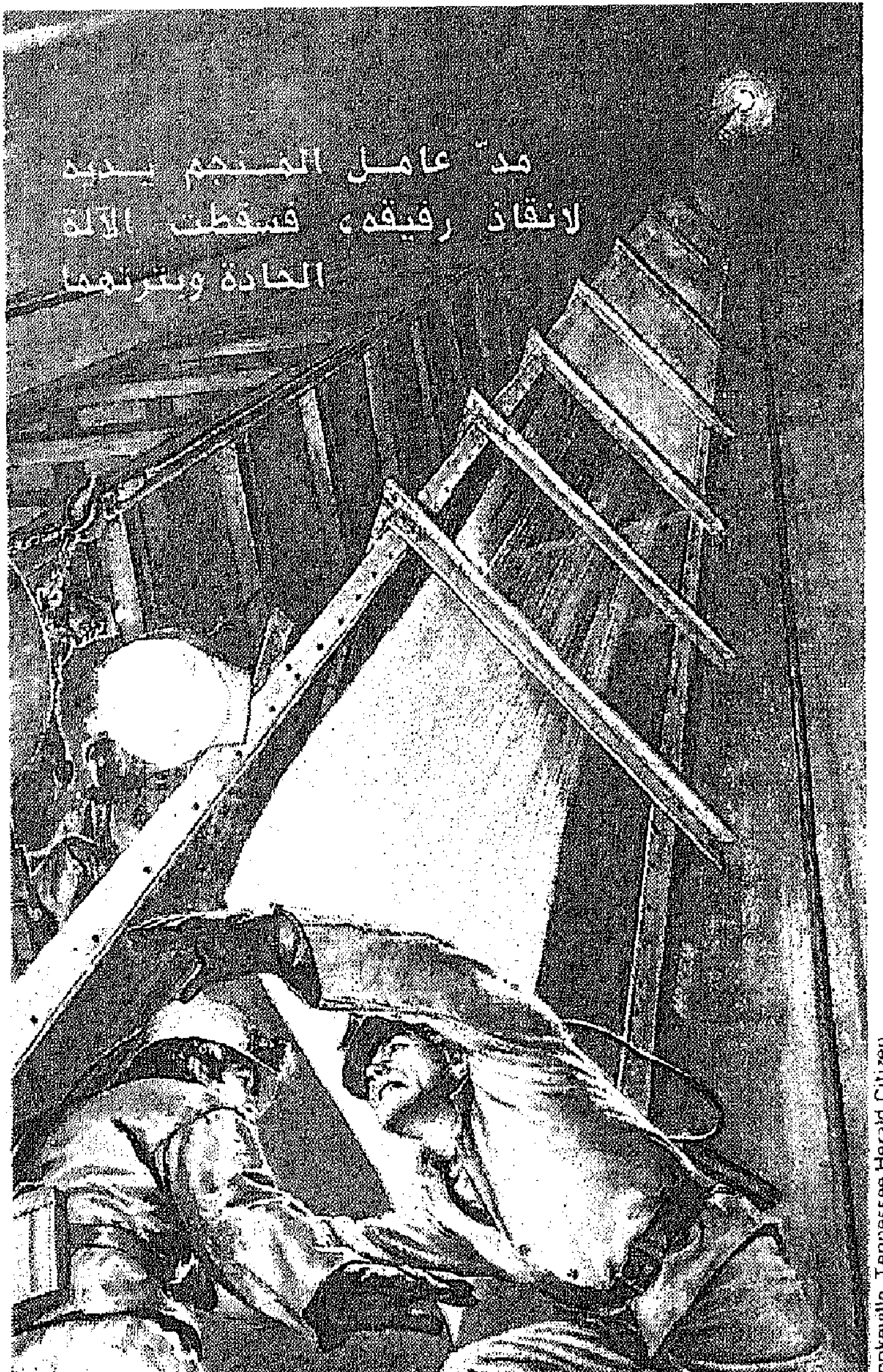
وعدتُ الى هاملن لأنضم الى مئات الزوار الذين يملأون شوارعها. وجدير بالذكر أن" هذه الاسطورة تحمل ٢٠٠ ألف سائح سنوياً الى البلدة، حيث يصرفون نحو ستة ملايين مارك ألماني (٣،٤ مليون دولار). والجرذان الوحيدة المرئية هذه الايام هي من الخبز والحلوى. وفي وجبات المطاعم طبق اسمه "ذيل الجرذ" فضلا عن شراب يدعى "قاتل الجرذان."

ومع اقتراب الظهيرة شققتُ طريقي نحو السوق. وهناك شاهدتُ مسرحية "الزمار الارقط" التي تقدمها كل" يوم أحد، طوال فصل الصيف، فرقة محلية من مئة ممثل لا يتقاضون أجراً. ويؤدي دور الجرذان أطفال من البلدة. وفي نهاية العرض يتبع الاطفال زماراً مزركش الثياب عبر الشوارع، فيما يحاول أهلهم، وهم بين الحضور، دعوتهم كي يعودوا، ولكن من غير جدوى.

وسرتُ مرة أخيرة عبر طريق بونغلوسن ذهاباً واياباً بعد اكتشافي حقيقة الامر. ان أحداً لن ينسى أطفال هاملن الذين فُقدوا عام ١٢٨٤ ما بقيت لدى الناس حاجة الى القصص والاساطير. وان ذكراهم أبقى من المرمر. وفي أرض الاساطير الدائمة الخضرة، ما زال هؤلاء الاطفال يتبعون الزمار الارقط نحو أفق مجهول.

■ موريس شادبولت

مأساة واقعية


مدّ عامل المنجم يديه لانقاذ رفيقه، فسقطت الآلة الحادة وبترتهما

Cookeville, Tennessee Herald Citizen

فريق طبّي يعيد الى شاب يدَيه المبتورتين

عندما سمع ديفيد جاكسون، الشاب ذو التسعة عشر عاماً، رنين الفولاذ عند ماسورة المنجم، عرف أن القطعة المعدنية الاخرى البالغة الأمتار الخمسة طولا والمتر عرضاً هي في طريقها الى اسفل وقد عُقدت بسلك كثافته ١٢٫٥ مليمتراً.

كان ذلك في ٣١ مارس (آذار)

١٩٧٧ بينما ديفيد يؤدي نوبة ليلية مع فريق لتركيب القنوات في منجم لمعدن الزنك بالقرب من بلدة قرطاج في ولاية تينيسي الامريكية.

ووقف ديفيد مع زميله جيري دنكان (٢٦ سنة) ينتظران على سقالة وهما على عمق ٣٣٥ متراً تحت الأرض. وعلى عمود رفيع يرتفع متراً فوقهما وقف ليمون عمّ ديفيد. وعلى ارتفاع مترين ونصف متر فوق ليمون وقف رونالد ايرغل منتظراً تركيب الصفيحة المعدنية مكانها.

وفجأة تناهى الى سمع ديفيد اصطفاق القطعة المعدنية كما لو انها أفلتت من سلكها. وكان ظنه صادقاً، اذ هوت تلك القطعة التي تزن ٧٣ كيلوغراماً عن علو ٣٠٠ متر ونيف. ونظر ديفيد الى جيري، فرآه واقفاً في طريق القطعة الحادة الساقطة.

وصرخ فيه: "جيري، " وهو يحاول أن يزيحه الى الناحية الاخرى. وما كاد ان يفعل حتى استقرّت الصفيحة المعدنية بين الاثنين. لكنها، قبل ان تستقر، قطعت ذراع جيري اليمنى عند الكتف. وراح الدم يتدفق من أحد شرايينه فيما نتأ العظم والعصَب على نحو مروّع.

وحاول ديفيد التغلّب على الدوار الذي أصابه والارتكاز على يده اليسرى بقصد الوصول الى جيري ومساعدته. غير أنه لم يستطع. وأعاد الكرّة بيده اليمنى، ولكن من غير جدوى أيضاً. وسأل نفسه: "ما هو مصدر الألم الذي أصابني؟" وللحال نظر الى جسمه، فوجد ان ذراعيه بُترتا: "اليمنى تحت المرفق واليسرى عند مفصل المرفق تماماً.

وشهق ديفيد وقد أغمض عينيه لهول ما رأى: "لماذا يا الهي؟" وأخذ يعول فيصعد صدى عويله عبر ماسورة المنجم الى فوهته.

في تلك الأثناء قفز ليمون الى السقالة وقرع صفارة الانذار، ثم هرع نحو ابن شقيقه. وتبعه رونالد ايرغل متجهاً الى جيري الذي كان غائباً عن الوعي عند حافة السقالة. وكان لديفيد خال هناك اسمه تشارلز رودجرز، وهو ناظر المنجم. هذا كان في الرافعة بالقرب من السطح عندما سمع صراخ ابن اخته. وللحال طلب الى طاقم العمال فوق أن يهبّ الى النجدة. ولما بلغ السقالة تحت، رأى الدم ينسكب من جدعتي ديفيد.

وعلى الفور استدعى احد الموظفين سيارة اسعاف من بلدة قرطاج التي تبعد عشرة كيلومترات عن الموقع.

وفي المنجم تولى تشارلز رفع ديفيد الى الحمالة. ثم التقط ذراعاً كان شاهدها سابقاً وقال: "هيا بنا الى فوق."

وتنهد رونالد قائلا: "انها ذراع جيري في يدك." ونظر اليه تشارلز وهو لا يصدق ما يسمع. لكنه ما لبث ان أدرك ان هناك ضحيتين وثلاثة أطراف مبتورة.

جراحة مجهرية ــ اغمض ديفيد عينيه بشدة فيما الألم يعصره، وانتقلت أفكاره الى خطيبته ديبي غوف. وكانا حددا موعد الزفاف بعد اسبوع.

ولما وُضع جيري الى جانبه في الحمالة، صرخ ديفيد من الألم الذي

ولّدته النخعة. واذ وصلا الى سطح الأرض كان الوقت بُعَيد السادسة صباحاً. ولم يسمع ديفيد حوله الا الصراخ الصادر عن القلق والهلع.

وطرأت فكرة على ذهن رونالد. وكان طالع مقالا حول اعادة تركيب الأطراف المبتورة في مجلة مختصة بمشاريع البناء. وقال لنفسه: "ربما كان في المستطاع اعادة ذراعي ديفيد اليه." ثم قال لزملائه: "اني عائد الى قعر المنجم لاحضار ذراعي ديفيد." وانضم اليه ليمون وزميل آخر، ودُليت الحمالة ٣٣٥ متراً. وهناك راح الثلاثة يتفحصون السقالة. وما لبث رونالد أن وجد الذراعين تحت الصفيحة المعدنية، وكانت احداهما داخل كمّ المعطف.

ولما بلغا السطح ثانية كانت سيارة الاسعاف غادرت لتوّها وهي تحمل ديفيد وجيري. وأعطى ليمون الذراعين الى الزملاء الذين أسرعوا بهما نحو مستشفى محافظة سميث في قرطاج.

هناك أوقف الدكتور جون رو النزف وأعطى الشابين عقاقير مسكنة. وكان موقناً أنهما يحتاجان الى أطباء اختصاصيين. لذلك أرسلهما على جناح السرعة الى المستشفى المعمداني في ناشفيل، على بعد مئة كيلومتر، حيث كان الأطباء التقويميون في انتظارهما.

وكانت أعصاب ذراع جيري من الأذى بحيث تستحيل اعادة تركيب الذراع. لكن أطباء ناشفيل قدّروا أنه يمكن تركيب ذراعي ديفيد اذا هو أرسل الى مستشفى بلدة لويزفيل (ولاية كنتكي) الذي يبعد ٣٥٠ كيلومتراً. وهناك يتولى الأمر الدكتور هارولد كلاينرت الخبير في الجراحة المجهرية. وجرى في مستشفى ناشفيل لفّ ذراعي ديفيد في قماش نظيف وأكياس نايلون ثم وضعهما في الثلج.

وقال أحد الأطباء لديفيد وهو يربت كتفه برفق: "لا تستسلم يا صبي! اننا سنرى اذا كان تركيب ذراعيك ممكناً."

ونُقل ديفيد بالطائرة الى لويزفيل. وفي الاولى بعد الظهر أدخل غرفة العمليات في المستشفى حيث كان في انتظاره فريق جراحي على اهبة الاستعداد. واذا قُيض النجاح لتلك العملية، فهي ستكون الاولى من نوعها في العالم.

دخل الدكتور هارولد كلاينرت الغرفة بقامته الطويلة الناحلة وهو رابط الجأش. والحقّ أن سنوات الطفولة التي أمضاها ذلك الطبيب البالغ الرابعة والخمسين في مزرعة في مونتانا أكسبته القدرة على تحمّل العمل الشاق طوال ساعات مستمرة. وهو كان سيُجري الجراحة لذراعي ديفيد بمساعدة مجهر ويخيط أوعيته الدموية بخيوط بدقة الشعر الناعم.

والحق أنه لو فكر أحدهم في اعادة تركيب طرف أبتر قبل عشرين سنة فقط، لسخر الأطباء منه. الا ان الدكتور كلاينرت كان منذ ذلك الحين، يفكر في ذلك الأمر. وهو ابتكر، طريقة مجهرية لاعادة تركيب الأصابع المبتورة. وبفضله تمكن مستشفى ناشفيل من اجراء هذه

الجراحة بمعدّل ٨٥ في المئة من النجاح.
أما ديفيد فمُدد على طاولة الجراحة وقد وقف فريق طبي الى كل من جانبيه كما لو كان شخصين. فهناك ذراعان تنبغي اعادة تركيبهما، وجُعل كلّ فريق في قسمين: واحد يعمل على الجدعة والآخر على الطرف المقطوع. وثبت مجهر الى كلّ جانب. واتفق على أن تعمل المجموعة الطبية اثنتي عشرة ساعة تبدل بعدها الممرضات ويأتي معاونون لاراحة الاطباء لئلا يجهدهم الارهاق فتزيد أخطار الجراحة.

"سوف احملك يوماً" — بعد تطهير الجدعتين والطرفين باشر الأطباء ابراز الأوعية الدموية واحداً واحداً تحت المجهر. ثمّ حان العمل الرئيسي، وهو وصل كلّ شريان ووريد في الجدعة بمكانه في الطرف المبتور.
وتولى الدكتور كلاينرت ذلك العمل بنفسه، وراح يؤديه بدقة بالغة. وبعد تثبيته احد الشرايين افلته من يده، فترهل ببياضه الشاحب. لكن الدم ما لبث ان سرى فيه على نحو طبيعي. وفيما انتقل كلاينرت الى شريان آخر كان زميل له يعمل على الذراع اليمنى، واذ انتهى هذا من احد الشرايين وضع عليه مجساً خاصاً، فوجد أن الدم يسري فيه كالمعتاد. وفي تلك اللحظة تلاقت أعين الطبيبين، فهزّ الدكتور كلاينرت رأسه باعتزاز بعدما تبين له أن حظ ديفيد جاكسون في الشفاء كبير جداً.
وانصرف الطبيبان بعد ذلك الى وصل سبع شرايين او ثمان في كل من ذراعي الشاب. كذلك وصلا الاعصاب والعضلات والاربطة، وعند انتصاف الليل رتقا الجلد قبل تغطية كلّ ذراع بجبيرة. وفي الاولى بعد منتصف الليل نُقل المريض الى غرفته.
أفاق ديفيد من غيبوبته بعد مرور عشرين ساعة على الحادث. وكان والداه عند طرف السرير وخطيبته الى جانبه. وللحال تذكر ما حصل في قعر المنجم، فنظر الى ذراعيه متوقعاً أن يرى جدعتين مخيفتين. الا أنه شاهد جبيرتين طويلتين تدلت منهما أصابعه.
وصرخ: "انها ذراعاي! لقد أُعيدت اليّ ذراعاي!" وتذكر زميله والدمع يملأ عينيه، فصرخ: "كيف حال جيري؟"
وأجابته ديبي: "لقد انقذت حياته، لكن الاطباء لم يستطيعوا انقاذ ذراعه."
وفي ٢٣ ابريل (نيسان)، بعد ثلاثة أيام من مغادرته المستشفى و٢٣ يوماً من الحادث، وقف ديفيد واشبينه (شاهد الزفاف) على باب كنيسة بيت لحم في بلدة باكستر من أعمال ولاية تينيسي. وفيما تقدمت خطيبته ديبي ووالدها، نظر الى كمّي سترته الطويلين اللذين غطيا قالبي التجبير وتجاوزا الأصابع لئلا يظهر شيء غير طبيعي، وقال لنفسه: "اني أسعد انسان على وجه الأرض."
ولما جيء بخاتمي الزواج على وسادة حرير خاصة، تناولت ديبي اكليلا فضياً معه خاتم ووضعته على رأس ديفيد. أما هو فلم يستطع

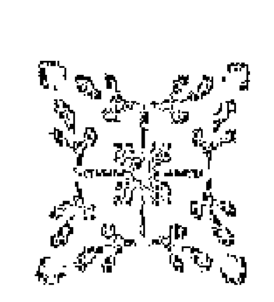
تحريك أصابعه بعد. لذلك تولى اشبينه وضع الاكليل والخاتم الذهبيين على رأس عروسه. وبينما هما يغادران الكنيسة، خفّ المصوّرون لتخليد تلك المناسبة والصحافيون للتهنئة. لقد غدا ديفيد اسماً شهيراً. ويقدّر الأطباء الذين اشرفوا على العملية أنها الاولى من نوعها في العالم.

وبعد انتهاء مراسم الزفاف توجه العروسان الى منزلهما الجديد. ووقف ديفيد عند العتبة وهو ينظر الى ذراعيه ويقول لعروسه: "سوف أحملك يوماً وأتسلق بك هذه الدرجات."

وفي الأشهر الثلاثة اللاحقة تحمّل ديفيد تمارين شاقة لاعادة حاسة اللمس الى يديه. وأخيراً حان الوقت كي يبرّ بالوعد الذي قطعه على نفسه تجاه ديبي. وهكذا حملها بذراعيه على سلم المنزل بعد انقضاء تسعة أشهر على الحادث.

وتسلم ديفيد وساماً برتبة "بطل" تقديراً لتضحيته من أجل انقاذ حياة رفيقه جيري دنكان. وفي تلك المناسبة سئل ان كان من المعقول أن يكرر ذلك العمل، فقال: "أليست حياة رفيقي أغلى من ذراعيّ؟"

■ نيلا رودجرز



التضحية محبة

قالت ابنتي الصغيرة وأنا أحملها الى السرير: "أتعرفين يا امي؟ اني اضحي بحياتي من أجلك." فشددتها بين ذراعي وقلت: "وأنا يا حبيبتي اضحي بحياتي من أجلك." عندئذ استدركت قائلة: "ولكن ما معنى كلمة أُضحي؟".

صحيفة "نيويورك تايمس"

النجاح والاخفاق

كتبت ناديا بولانجيه، وهي عازفة بيانو فرنسية ومعلمة أجيال من الموسيقيين المرموقين:

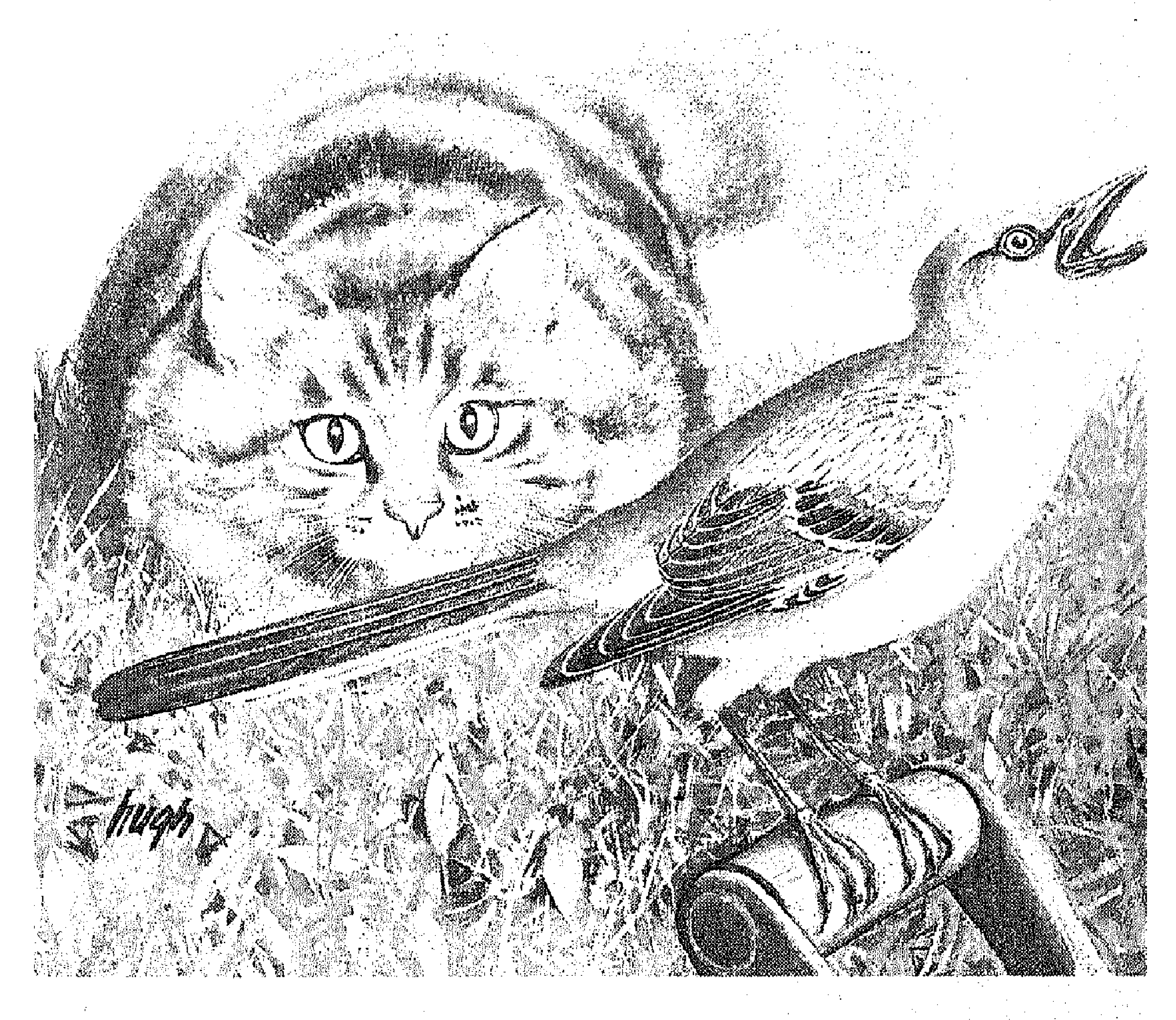
"النجاح ليس شيئاً ما لم يبذل المرء في سبيله التضحيات العظام. والاخفاق ليس شيئاً اذا كان المرء بذل غاية جهده."

لو كان الانسان بلا سقطات لاستحال إلهاً. ولو هو فقد الطموح لانحطّ الى مرتبة الحيوان.

و.ل.ك.

يطير فوق الزهر ناثراً ألحانه البهيجة ، ولا تقوى
أشد المحن على اخراس تغريده المتحدي

تغريدة الحياة



اول جار تعرفت اليه في محيط بيتي الجديد في آرلنغتون، ولاية فرجينيا، كان هزاراً(★) امّ المكان في الوقت نفسه ليعلن ملكيته لحوض الازهار النامية قرب الرواق المسقوف امام بيتي. وأطلقت على جاري اسم تشارلز أيفس، ليس تيمناً بالمؤلف الموسيقي الامريكي بل لأن شيئاً ما فيه اوحى الي بهذا الاسم.

في يوم لقائنا الاول كان تشارلز جاثماً على مقبض رفش غرزته في الارض قرب حوض الازهار التي بدأت تتفتح. كان يغرد لحناً هامساً يشبه اللحن المألوف لدى هذا النوع من الطيور، غير انه كان خفيضاً بحيث لا يسمع من مسافة تزيد على بضعة امتار. كان لحناً ساخراً، ناعماً كنغم الناي ومذهلا في ايقاعاته. وجلست وقتاً طويلا اصغي بكل جوارحي الى ذلك التغريد.

المرة الثانية التي ألتقيت صديقي الجميل كانت في حفلة عيد ميلاد فرد أستير، الممثل السينمائي الشهير برقصه وغنائه. وكان تشارلز جاثماً على أعلى غصن في شجرة عبر الشارع. كان كل بضع ثوان يقفز ثلاثة أمتار في الهواء باسطاً جناحيه ثم يحط في المكان نفسه، ولا يلبث ان يقفز ثانية مدفوعاً بما تصورته حبوراً فحسب.

لكن عالماً بالطيور اخبرني في ما بعد ان تشارلز كان بذلك يؤكد ملكيته لفسحة الارض تلك ويغازل رفيقة اعجبته. وانا لا انكر ما قاله العالم، لكني ما زلت مصراً على ان في تصرفه هذا مقداراً كبيراً من الحبور. فهو بقي على حاله ست ساعات من دون ان يتوقف لحظة واحدة لينقر ثمرة صغيرة. ومثل السيد أستير كان تشارلز يتناوب الرقص والغناء.

في اليوم التالي حط فوق اسلاك الهاتف وبدأ يغرّد باقة من الألحان ضمت نحو عشرين لحناً من أغاني الطيور الاخرى، اضافة الى لحنه الخاص المميز. كان في تغريده تنوع مثير ومدى واسع من الانغام واحساس دقيق بالاماكن التي ينبغي فيها السكوت.

كان تشارلز، على غرار جميع الموسيقيين البارعين، يغني ما يتوافر لديه من ألحان. وقد سمعته احياناً يقاقي كالدجاجة وينبح كالكلب وينوء كالقطط ويصر كباب سيارة جف الزيت في مفاصله.

وسرعان ما غدا صديقاً طالما افتقدته. كنا نأكل التفاح معاً. وكان يسمع رنين الاجراس في الباب حين افتحه لأخرج الى الحديقة، فتعلم ان يحاكي ذلك الرنين ايضاً. وكان يلحقني فأقطف له تفاحة واقطّعها واتركها في مكان بارز. وهو اعتاد ان يبقى هناك طالما بقيت، ينقر التفاحة ثم يطير ليجثم على سور الحديقة.

امور عائلية — ما أن بدأنا نزهات التفاح في الحديقة حتى اصبح تشارلز رب عائلة. فالهزار يقاتل دفاعاً عن أرضه، وهي في العادة تبلغ حوالى

(★) الهزار او المحاكي طائر غريد يتميز ببراعته في محاكاة اصوات الطيور الاخرى.

نصف هكتار، ويفوز الذكر بانثاه بالانتصار في الصراعات الحدودية في فصل الربيع والظفر على سواه من الذكور. هكذا عثر على أنثى جميلة ظل في رفقتها ثلاثة أيام، يدخلان غيضة ويخرجان منها من بزوغ الفجر حتى دكنة الشفق. وبنيا عشهما بالاعواد الدقيقة ثم بطناه بالاعشاب والنباتات الهشة والخيوط. وعلى هذه الخيوط وقع النزاع الاول بيني وبين تشارلز.

ذلك ان تشارلز، الذي كان يتصرف كرجل نبيل في معظم الامور، كان لصاً في ما اختص بالخيوط. وكنت أمد خيوطاً فوق اوتاد حول حوض ازهاري. فراح تشارلز يسطو عليها بعزم لا يعرف الكلل. وينحل احد طرفي الخيط ويبقى الآخر مشدوداً، فيأخذ تشارلز في جذب الطرف المنحل بشدة وحماسة على مدى ساعات، يتخبط خلالها هنا وهناك ويسقط على قفاه وسرعان ما ينهض ليعاود جذب الخيط. وكان ينهرني حين اخرج اليه منذراً بأن يبتعد عن سياج ازهاري.

وكنت أربط الخيط من جديد، ولكن قبل انقضاء ساعة كان ينحل مرة اخرى فيجذبه تشارلز مولياً عمله كل اهتمام حتى انه لم يلاحظ هرة الجيران المتربصة به عن كثب. واقلقني الامر وخطر لي ان اقطع بعض خيوط ألقي بها على رواق المدخل. وأخذ تشارلز هذه الخيوط، لكنه عاد يهاجم سياج ازهاري، فهو كان مصراً على ان يأخذ ذلك الخيط من دون سواه. واخيراً حللت الخيط فحمله ظافراً وطار به لكي يبطن العش الذي يعده لعائلته العتيدة.

في اواخر مايو (ايار) وضعت زوجة تشارلز اربع بيضات صغيرة لونها اخضر مشوب بالزرقة ومرقطة ببقع بنية. وبعد اسبوعين نقفت البيوض. وانطلق تشارلز كأب نشط يجمع الجنادب والزنانير الصغيرة والدويبات ليزقمها فراخه.

ولما كان منهمكاً في مسؤولياته العائلية، تعلمت الا انتظره في حديقتي. ولكن كلما حضر كان لقاؤنا مبهجاً كالمعتاد.

كان يغني ألحان العصافير الاخرى كما يعزف هوروفيتز على البيانو، مستعينا بعناصر مختلفة ليبدع منها موسيقى تملأ كل لحظة عابرة بأعلى قيمة ممكنة.

والهزار الذي يمكنه ان يحاكي اي شيء تقريباً، بما في ذلك صوت آلة جز العشب، لا يحاول محاكاة الانسان. لكني اعرف انه قد يتعلم ان يصفّر انغاماً طويلة اذا قيض له من يعنى بتعليمه. لذلك عزمت على تلقين تشارلز لحناً قديماً لفرد أستير:

"ايقنت ان لا شيء مستحيلا،
اذ عندما اسقط
وتلتصق ذقني بالارض..."

عشق الحياة — في اوائل يوليو (تموز) خرجت الى حديقة بيتي لمتابعة التمارين. وقطعت تفاحة ووضعتها في المكان المعهود وجلست انتظر. غير ان تشارلز لم يحضر. وتناهت الي اصوات بعض الجيران وهم يضحكون. وخرجت اليهم

فوجدت تشارلز هناك. كان ثائراً كما لم اعهده من قبل، وهو ينقض مهاجماً القطة المتسللة بينما انكفأت هذه محاولة الاختباء تحت السيارة.
سألت جيراني عما جرى. فقال احدهم: "انه يهاجم القطة."
ـ لماذا؟
"لأنها اعتدت على عشه."
توجهت الى الغيضة وباعدت الاغصان ونظرت. فرأيت العش مهشماً والفراخ افترست والانثى زوجة تشارلز صريعة. كان العش متدلياً من الغصن والخيط الذي بذل ذلك الجهد للحصول عليه يترجح في الهواء.
عدت الى البيت. وعندما هبط الظلام اصبح جو الغرفة حالكاً يتخلله شعاع من ضوء القمر انعكس على أحد الجدران. وبعد قليل انفرط عقد الجيران وخيم سكون ممض . وشعرت بقنوط أبى ان يفارقني.
حينئذ تناهى الى سمعي عبر المدفأة الباردة السوداء صوت شجي يشبه نغم الناي ويحمل لحن أغنية زاخرة بجمال لا مثيل له. كان تشارلز أيفس جاثماً على قمة المدخنة في ضوء القمر، يغرّد بصوت عال مفعم بالتحدي والاثارة الساحرة.
كان هناك يذود بشجاعة عن الشيء الوحيد الذي بقي له، نبل الحياة وضرورة اعتبارها أسمى من ديدان يأكلها او خيوط يستولي عليها او حتى ألحان تافهة يلقنه اياها أناس سخفاء وجبناء لا يصدّون عنه اعداءه وليس لديهم ما يقدمونه سوى شرائح التفاح.
دام هذا التغريد نحو ساعة. ثم تغير اللحن وتلاشى الصوت الشجي لتحل مكانه الأغنية الهامسة. وخيل الي انه يحاول ان يفرج كربتي ويعلمني ان عليّ ان اكون جريئاً وافعل ما وجدت من اجله، لا ان أغرق في الأسى على النكبات العارضة.
ربما نعود الى ممارسة العرض المسرحي بعد كل ما جرى، حالما نعثر على قبعة قش صغيرة.
وأيقنت ان لا شيء مستحيلاً. اذ عندما أسقط وتلتصق ذقني بالارض، أنهض وأنفض عني الغبار واستأنف العمل.

■ ديك دابني

تحقيق الاحلام

انها لمأساة أن يموت المرء قبل تحقيق احلامه. لكن الكارثة هي أن يموت بعد وقت طويل من تحقيق كل ما يريد.

ك. س.

الطريق الى المرح

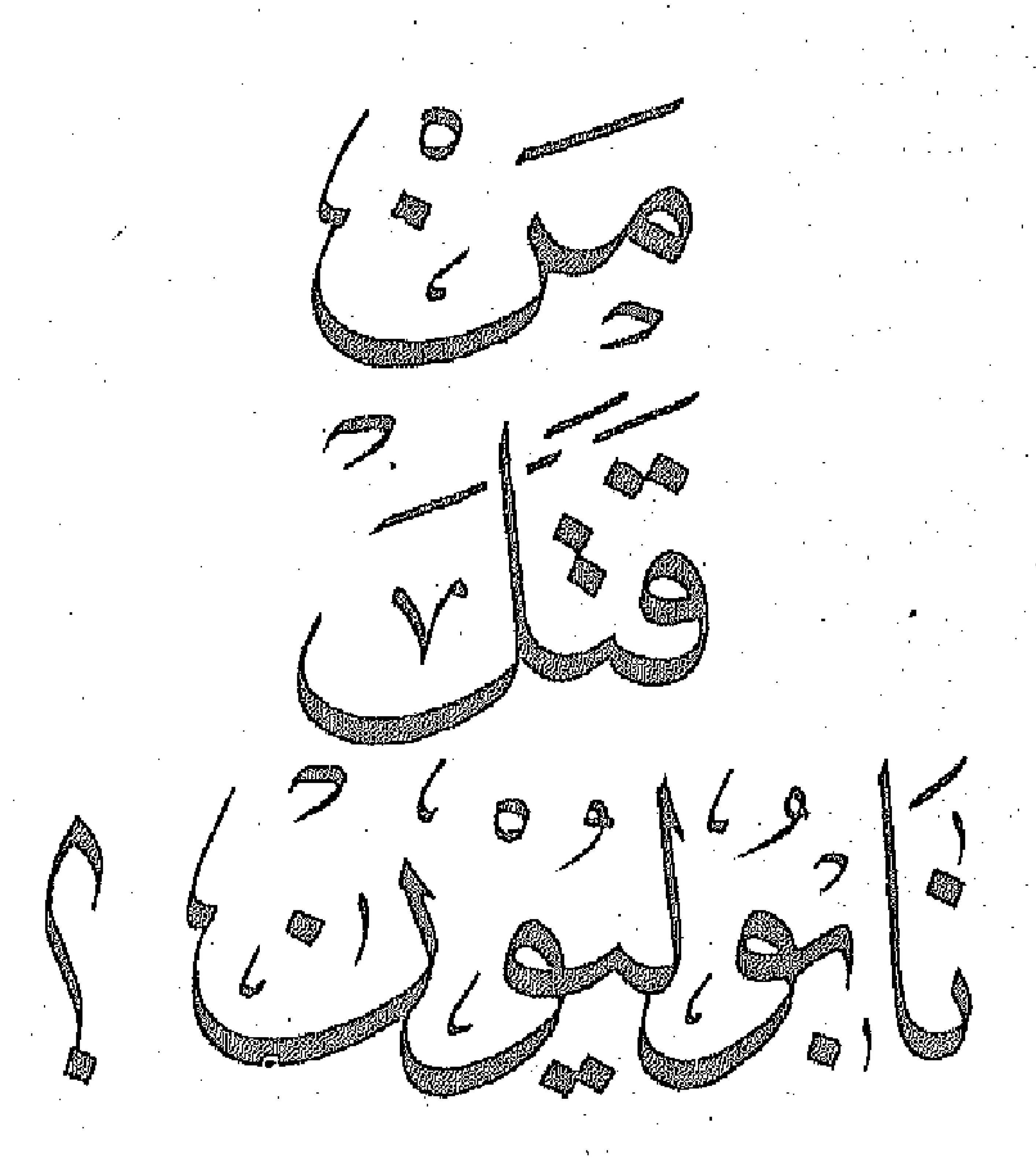
المرح لا يعلم. وهو يقتضي، الىجانب البراعة والذكاء، مقداراً كبيراً من طيبة القلب والصبر والتسامح واللطف.

ك.غ.

ANTOMMARCHI

MARCHAND

MONTHOLON



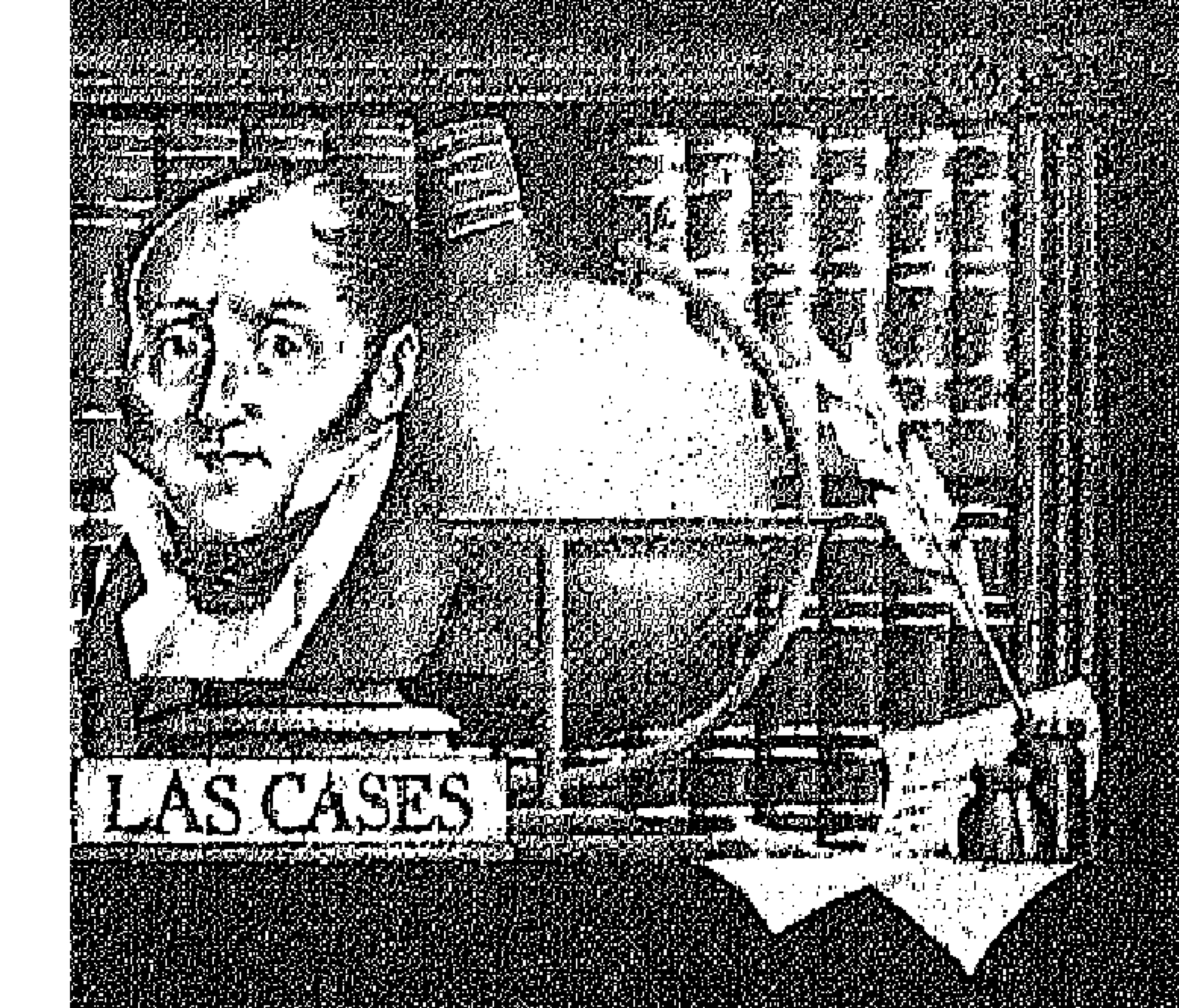
ملخص من كتاب

بن وايدر

وَديفيد هابغود

من قتل نابوليون ؟

انتومارشي طبيبه الخاص ·
دو مونتولون القيّم على مطبخ نابوليون ·
مارشان رئيس الخدم الامين ·
الكونتيسة دو مونتولون عشيقة نابوليون كما اشيع ·
برتران الذي اهمله نابوليون ·
غورغو الذي ارتاب في عملية تسميم نابوليون ·
لاس كازس الذي ارسل براميل ا خمر الى نابوليون ·









مَنْ قَتَلَ نَابُولِيُونْ ؟

في العام ١٩٥٥ استهلّ طبيب أسنان أسوجي، وهو في الوقت نفسه هاو لعلم السموم ومن كبار المتحمسين لكلّ ما يمتّ بصلة الى الامبراطور الفرنسي نابوليون بونابرت، تحرّيات واسعة لبرهان ظنه القائل بأن نابوليون مات مسموماً عام ١٨٢١.

وثابر الطبيب المذكور على ملاحقة المسألة طوال ٢٣ سنة، على غرار رجال التحريات الجنائية وكتّاب الروايات البوليسية الكبار. واستخدم أحدث الطرائق القضائية والمخبرية لدعم حججه. وكان عليه، بادىء الأمر، أن يبيّن أن جريمة القتل حصلت فعلا، وأنّ نابوليون لم يمت بسرطان المعدة كما شاع في كتب التاريخ وبين الناس.

وما أن أقام الحجة على ذلك حتى شرَع يبحث عن الجاني بين أفراد حاشية نابوليون الذين رافقوه الى منفاه الأخير في جزيرة القديسة هيلانة.

Condensed from «The Murder of Napoleon», copyright (c) 1982 by Ben Weider, David Hapgood, Sten Forshufud & Mitchell Press, Ltd., published by Gongdon & Lattes, Inc. New York, N.Y. Illustrations: Allen Carroll. Detail from the painting «Napoleon in His Study,» by Jacque-Louis David, courtesy National Gallery of Art, Washington D.C., Samuel H. Kress Collection.

عند الفسق انطلق مدفع الحامية البريطانية على جزيرة القديسة هيلانة. واذ تنهد الامبراطور، وقف طبيب الى جانبه وعينه على ساعته، وهو يحصي الثواني انتظاراً لتنهدة اخرى. ومرت خمس عشرة ثانية، ثم ثلاثون، ثم دقيقة انقطع بعدها النبض. لقد فارق نابوليون الحياة.

والقيت واجبات دفن الميت، بعد تنفيذ وصيته، على عاتق لوي مارشان، وهو شاب في الثلاثين خدم نابوليون بونابرت طوال سني بلوغه. وفي الأشهر الأخيرة من حياة سيده، أمضى معظم ساعات صحوه قرب سريره. وكان نابوليون طلب من طبيبه ما يأتي: "أود أن تشرح جثتي عقب وفاتي." وحدد موعد التشريح بعد ظهر اليوم التالي، وطفق لوي مارشان يحضر له طوال الصباح.

وتقرر أن يتم التشريح في غرفة البليار، حيث كان الامبراطور ينشر خرائطه المحببة ويعيد "خوض" معاركه فوقها. واختيرت تلك الغرفة لأنها بين غرف "لونغوود هاوس" الثلاث والعشرين، حيث حل نابوليون، أكبرها وأكثرها انارة. وحملت الجثة عارية ومددت فوق ملاءة بيضاء ووضعت على الطاولة.

وقبيل الثانية عصراً أخذ المشتركون والمراقبون يفدون الى الغرفة بهدوء. والحق أن التشريح كان حدثاً سياسياً خطيراً، اذ كيف يعقل أن يموت رجل في الحادية والخمسين، كانت صحته الجسدية وطاقته مضرب مثل؟

ان نابوليون ما فتئ يضعف باطراد خلال السنوات التي أمضاها منفياً، وغدت مشاكله الصحية مثار جدل بين أفراد حاشيته الفرنسيين والمسؤولين الانكليز. ووضع الفرنسيون اللوم على مناخ الجزيرة، واتهموا الحكومة الانكليزية بأنها أرسلت نابوليون الى هناك لاهلاكه. وكان السير هدسون لو، حاكم الجزيرة الانكليزي، يخشى كل ما من شأنه القاء تبعة تدهور صحة نابوليون عليه أو على حكومته. وهذا حداه مرة على محاكمة طبيب عسكري انكليزي أعلن أن الامبراطور مصاب بالتهاب في الكبد، فهذا المرض من شأنه أن يرد الى مناخ الجزيرة.

وكان سبعة من الأطباء الثمانية الذين أجروا التشريح بريطانيين، وكلهم يعون الأهمية السياسية لما يفعلون. أما ثامنهم، فرنشيسكو آنتومارشي، فهو كورسيكي في الحادية والثلاثين كان طبيب نابوليون الخاص طوال الأشهر التسعة عشر الأخيرة، وعهد اليه في اجراء التشريح، على أن يتولى الأطباء الانكليز المراقبة.

غير أن الأطباء، في النتيجة، لم يتفقوا على سبب الوفاة، بل رفعوا أربعة تقارير مختلفة. والواقع أنهم أجمعوا على وجود قرحة في المعدة وصفها آنتومارشي بأنها "سرطانية"، فيما وجد الأطباء الانكليز فيها أجزاء صلبة قابلة للتسرطن. وهذا أدى الى الاقتناع بأن نابوليون توفي من جراء سرطان في معدته، على رغم أن أحداً من


مولينكس تعتني بشعرك
٢٨٤
٥٧٧
mini
٦٣٥
٦٧٣
من مصفف الشعر رقم ١٤ الى "الميني" رفيقك
الى كل مكان ، مولينكس تعطي شعرك
حقه من العناية .
مصفف الشعر ١٤ مع ملحقاته يمكّنك
من تحقيق تسريحات عديدة ، إنه يصفف
شعرك ، يموّجه ، يلفّه أو يملسه ،
بالاضافة الى ذلك فهو ينفرد ببخاخ للماء لترطيب
شعرك واعادة تسريحه بسهولة واتقان ،
سشوار واحد "اس" ومجموعة سشوارات "ممبو"
منها سرعتين للتحكم بقوة الهواء وحرارته ،
أما الميني - الرفيق الدائم فينتقل معك الى
أي مكان بدون ازعاج .
مولينكس تجعل العناية بالشعر سهلة
وبأسعار بمتناول الجميع .
سلمت يداك يا
مولينكس
Moulinex

الأطباء لم يذكر هذا الأمر صراحة. لكن هذا الحكم يعفي هدسون لو والانكليز من أي مسؤولية.

أما التقرير الذي وقعه الأطباء الانكليز فجاء فيه أن "الكبد أكبر من الحجم الطبيعي،" الأمر الذي لم يشأ لو أن يسمعه لما له من علاقة بالأحوال المناخية والصحية الخاصة بالجزيرة. ولهذا طلب من الأطباء حذف الكبد من تقريرهم. واذعن هؤلاء على مضض، لكن أحدهم باح بحقيقة ما حصل عقب مغادرته الجزيرة.

وبعد ثلاثة أيام، أي في ٩ مايو (أيار) ١٨٢١، دفن نابوليون في بطن واد في جزيرة القديسة هيلانة. وانتظر أفراد حاشيته ثمانية عشر يوماً انطلقوا بعدها في طريقهم الى انكلترا. وفي ٢٥ يوليو (تموز)، وهو اليوم التاسع والخمسون في البحر، اجتمع لوي مارشان، أحد منفذي وصية نابوليون، بالمنفذين الآخرين: الكونت هنري - غراتيان بيرتران الذي كان يوماً كبير ضباط البلاط، والكونت شارل - تريستان دو مونتولون، بهدف قراءة الوصية. وهذان الأخيران هما الضابطان الوحيدان اللذان لازما نابوليون طوال سني منفاه. وشهدت تلك السنوات الشاقة تنافساً قوياً في ما بينهما على كسب ود الامبراطور. وفي الأشهر الأخيرة حقق مونتولون بغيته. وهكذا انتصر هذا الاريستوقراطي الوسيم على بيرتران، ذي الطبع الرزين الهادىء الذي أمضى سنوات أطول كثيراً في خدمة نابوليون.

وفضلا عن الجانب الشخصي للوصية، القائل بتوزيع جميع مقتنيات نابوليون كتذكارات، كان هناك جانب موجه الى الشعب. فقد كتب نابوليون الآتي: "اني أموت قبل أواني وقد اغتالتني حكومة القلة الانكليزية وعميلها المأجور."

ولدى وصولهم الى فرنسا، وجد المنفيون العائدون أمة صامتة. والحق أن عواطف الشعب كانت كبيرة حيال نابوليون. لكنها بقيت كالجمر تحت الرماد، لا يجرؤ أحد على التعبير عنها في ظل سلالة البوربون العائدة بشخص مليكها لويس الثامن عشر. وكان نابوليون، قبل ست سنوات، عاد من منفاه الأول في جزيرة البا وخلع آل البوربون من غير مشقة. ومن السهل جداً أن يتكرر الأمر ما بقي نابوليون حياً. وما فتىء آل البوربون، طوال سنوات نفيه الى جزيرة القديسة هيلانة، يعزون الى نابوليون وصحبه مؤامرات لا وجود لمعظمها الا في مخيلاتهم.

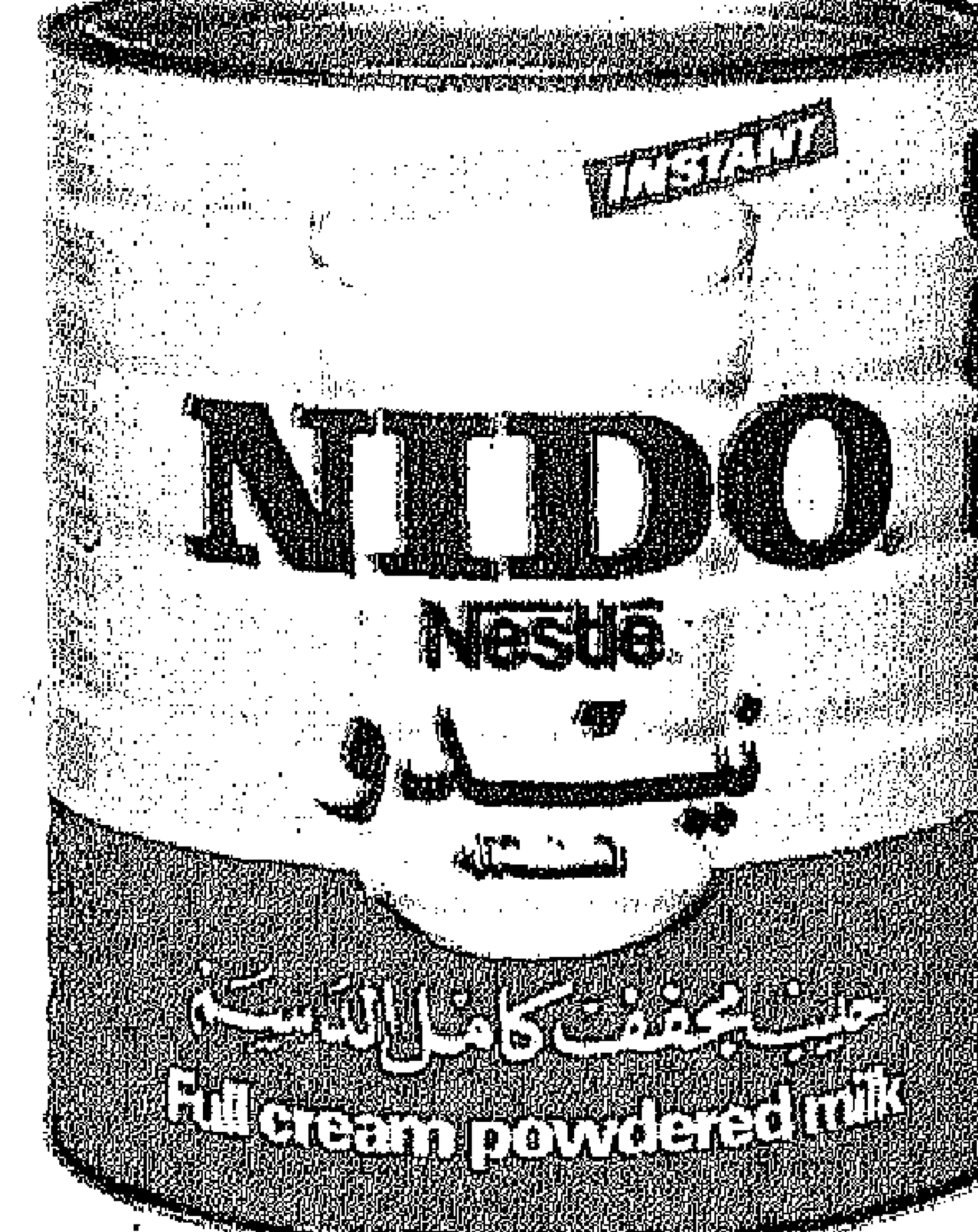
واستقر لوي مارشان في بلدة اوسير الفرنسية. وبصفته كبير خدام نابوليون، كان عليه تنفيذ وصية سيده حتى النهاية. وكان في حوزته صندوق يحوي الشعر الذي قص من رأس الامبراطور بعد وفاته. وقسم مارشان ذلك الشعر خصلا، ووزعها على أفراد عائلة نابوليون الكبيرة بعد ربط كل منها بشريط ذهبي. وضماناً لعدم خلط الشعر بسواه، حرص مارشان على أن يتم العمل كله في بيته.

واحتفظ بخصلة من الشعر لنفسه،

أمّنوا لأولادكم نموًا صحيحًا







نيدو السريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدسم يحتوي على كافّة العناصر الغذائية التي توفّر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضروريّة المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قويّة.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقيّ من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدّة تحليلات مخبريّة دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبّه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار.

نيدو السريع الذوبان

ليسموَ اولادكم ويتنعموا بالعافية.

Nestlé. تضمنه نستله

انتقلت الى ابنته ومعها مذكرات مارشان المخطوطة.

شاهد جديد

غوتبورغ مدينة أسوجية ساحلية ذات نصف مليون نسمة، تشرف على مضيق كاتيغات في الدانمرك وعلى البرّ الاوروبي. في احدى ضواحي تلك المدينة يسكن رجل طويل، ناحل، أشقر، اسمه ستين فورشوفود. وفي خريف ١٩٥٥ كان في مطلع الخمسينات من عمره، وقد وزّع نشاطه بين طبابة الأسنان، وهي المهنة التي كسب عيشه منها، والبحوث البيولوجية. كما كان لديه اهتمام كبير بعلم السموم.

ولم يخفَ على زوار فورشوفود أن اهتماماته كانت تتجاوز اختصاصه العلمي. وكانت غرفة الجلوس في منزله ملأى بالأشياء التي تذكر بالامبراطور الفرنسي. ففوق الموقد لوحة تمثل نابوليون بالرّداء الملكي. وأمام مرآة أثرية ضخمة مطلية بالذهب، وُضع تمثال نصفي يمثل نابوليون الشاب الطويل الشعر في منصبه كحاكم أوّل. وفوق الطاولة حيث الساعة تمثال آخر يبدو فيه نابوليون على صهوة جواده. وفي خزانة التحف مجموعة خزفية تحمل طابع النحلة، وهي شارة نابوليون الشخصية. أما الرسوم المعلقة على الجدران فكانت كلها ذات علاقة بمراحل حياة نابوليون.

تلك الأمسية كان فورشوفود يطالع مذكرات لوي مارشان، وهو آخر كتاب ينشر لشاهد عيان وصف حياة نابوليون على جزيرة القديسة هيلانة. والواقع أن مارشان كتب مذكراته لابنته "لكي أُريك ما كان الامبراطور بالنسبة اليّ". وبقيت هذه المذكرات من غير نشر حتى أفرج عنها حفيد مارشان، وهو ولد ابنته الوحيد، في وقت لاحق من هذا القرن. وكان فورشوفود يطالع الجزء الثاني من المذكرات وقد لفظته المطبعة حديثاً.

وفي رأي الطبيب الأسوجي أن سقوط نابوليون ووفاته المبكرة كانا من أكبر مآسي التاريخ طرّاً. وهذا حداه على استطلاع آراء الخبراء وأحكامهم حول موت نابوليون. وما فتىء الأطباء والمؤرخون يقدّمون نظرية تلو اخرى، معيدين صياغة تخمينات قديمة بُنيت كلها على التشريح الذي تمّ عقب الوفاة. ووجد فورشوفود تلك النظريات كلها غير مقنعة، ولم يصدّق أن نابوليون توفي من جراء السرطان. وراح يقرأ مذكرات مارشان، علّه يعثر فيها على بصيص نور.

ذلك المساء طالع فورشوفود يوميات نابوليون بين شهري يناير (كانون الثاني) ومايو (أيار) من العام ١٨٢١، أي في الأشهر الأخيرة من حياته. وقد وَصف مارشان، على نحو بسيط ومقنع، ما كان نابوليون يفعله ويشعر به يومياً، بما في ذلك وصف المريض نفسه لأعراضه وردود فعله على العقاقير التي كان يتناولها وعلى الطعام الذي كان يقدم اليه عند كل وقعة.

وما لبث فورشوفود أن وقع على

خيط يربط تلك الأحداث بعضها ببعض. ذلك أن نابوليون، في تلك الفترة الأخيرة، كان يترجح بين النعاس والأرق. وتذمر من انتفاخ قدميه وقال: "ان رجليّ لا تحملانني." وفي وصفه الأيام الأخيرة، تكلم مارشان عن أثر بعض العقاقير في نابوليون.

وفيما هو يتأمل تلك الحقائق، تذكر فورشوفود ما يعرفه حول السم. أيعقل أن يكون نابوليون قضى مسموماً؟

اذا صحّ هذا، فالشواهد تشير الى أن التسمم لم يتم مرة واحدة، بل على مراحل. فحصوله دفعة واحدة لا بد من أن يكون كشف خلال تشريح الجثة أو في شهادات الأشخاص الذين عاينوا الوفاة. ألا يمكن، اذاً أن يكون نابوليون أُهلك على دفعات، وخلال أشهر بل سنوات؟ ان الموت البطيء آنذاك كان يتم عبر مادة سمية هي الزرنيخ.

ما أن طرأت تلك الفكرة على ذهن فورشوفود حتى تبين له أن النعاس والأرق وتورم القدمين والانحطاط الجسدي العام وتضخم الكبد ما هي الا عوارض للتسمم المزمن والبطيء بالزرنيخ.

وقد شاع هذا السم في فرنسا في القرون القليلة التي سبقت مجيء نابوليون الى الحكم. وكان يدعى "مسحوق الارث" لأنه يُستخدم في حل النزاعات الناشئة عن توزيع الحصص على الوُراث. ومن السهل مزجه بأي طعام أو شراب لرقته وانعدام رائحته. كما يمكن استعماله بكميات ضئيلة لقتل الضحية ببطء، عبر أشهر أو سنوات.

والحسنة التي تنطوي عليها طريقة التسميم البطيء أنه لم يكن ممكناً اكتشافها أيام نابوليون. لأن أعراضها شبيهة بأعراض مرَضية اخرى. ويقول فورشوفود ان اعطاء الشخص عقاقير اخرى، خصوصاً الملح المقيىء والزئبق المسهل، من شأنه محو أثر الزرنيخ من معدته لدى اجراء التشريح. وبما أن هذين العقارين كانا شائعين آنذاك، يضيف فورشوفود، فلم يكن مستبعداً أن يكون الطبيب نفسه أنهى حياة الضحية من غير أن يدري. وهي جريمة مثالية من وجهة نظر المخطّطين. والواقع أن نابوليون أعطي ملح الطرطر المقيىء وزئبق الكالوميل في أيامه الأخيرة.

ان نظرية التسميم البطيء بالزرنيخ من شأنها الاجابة عن أصعب المسائل المتعلقة بوفاة نابوليون. واذا كان نابوليون مصاباً حقاً بالسرطان، فهذا يحتم الهزال الجسدي مع تقدم مراحل المرض. الا أن الامبراطور اكتسب المزيد من السُّمنة في أيامه الأخيرة. والبدانة ظاهرة شائعة بين ضحايا التسمّم البطيء بالزرنيخ.

هذه النتيجة التي توصل اليها فورشوفود لم يبحثها الا مع زوجته. وما لبث ان طرحها جانباً لأنها خارجة عن اهتماماته المباشرة. وقد زيّن لنفسه أن الجواب عينه يجب ان يكون بديهياً بالنسبة الى علماء الأمراض والسموم.

تقع جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الاطلسي، وقد اكتشفها البرتغاليون عام ١٥٠٢ وامتلكتها شركة شرق الهند البريطاني في القرن التاسع عشر. وهي تبعد ٢٨٠٠ كيلومتر عن كيب تاون في جنوب افريقيا و٢٩٠٠ كيلومتر عن امريكا الجنوبية و٦٤٠٠ كيلومتر عن انكلترا. وأقرب أرض اليها هي جزيرة اسانسيون التي تبعد عنها ١١٢٥ كيلومتراً. وهذه الجزيرة "المجاورة" يملكها الانكليز أيضاً، وهي بقعة بركانية وسط المحيط. وقد اختار الانكليز جزيرة القديسة هيلانة منفى للامبراطور الفرنسي المخلوع لموقعها النائي.

هذه الجزيرة الصغيرة التي يبلغ طولها ١٧ كيلومتراً وعرضها عشرة كيلومترات ونصف كيلومتر، كان يسكنها ٤٠٠٠ نسمة، بما في ذلك الحامية الانكليزية التي كان عدد أفرادها ألفاً ثم ازداد ثلاثة أضعاف على أثر مجيء نابوليون. ولقد وصل الامبراطور في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٨١٥ ومكث أولا في ضيافة وليم بالكومب، وهو متعهد تموين لسفن شركة شرق الهند. وكان آل بالكومب، وهم ستة أشخاص، يعيشون في دارة فخمة شيدوها فوق احدى تلال الجزيرة. وبعد سنوات نشرت بتسي بالكومب في لندن مذكراتها حول الفترة التي أمضتها مع نابوليون، ضيف العائلة، وهي في الخامسة عشرة من عمرها:

"اذ اتذكره اليوم، أستعيد شعوراً اختلط فيه الخوف بالاعجاب. فلقد نشأتُ على الخوف الشديد لدى ذكر اسمه. ان منظره على صهوة الجواد كان غاية في الجلال. حتى الحيوان الذي اعتلاه كان نبيل المحتد بسواده الحالك. واذ كان يطأ الأرض باعتزاز، خُيّل اليّ أنه يليق بذلك الشخص الذي قُيض له أن يكون يوماً حاكم العالم الاوروبي كله.

"اني لم أشاهد قطّ أحداً بتلك البنية الجسدية العظيمة. ان الرسوم التي أُنجزت له تعطي فكرة عامة عن ملامحه، لكن بسمته وتعابير وجهه لا يمكن أن يحويها مثال. وفي تلك الامور عينها كان يكمن سحر نابوليون."

تلك الفتاة التي عرفها نابوليون كانت شقراء الشعر، وردية الخدين، ذات جسد ينتقل الى طور البلوغ. وكانت، في العادة، تضع فوق شعرها الأشعث وقاء من الشمس، وترتدي صِداراً ذا قبة مزركشة معقودة برباط وتنورة قصيرة فوق سروال يتدلى الى قدميها. ولم يحبّ نابوليون ذلك الزيّ على الاطلاق، بل أخبر بتسي ان في وِدّه منعه لو كان حاكماً للجزيرة.

وسرعان ما نشأت صداقة بين تلك الفتاة المراهقة والامبراطور الذي لم ينقض سوى أربعة أشهر على اندحاره في واترلو. ووجد الاثنان، على فارق السن والعرق، حساً مشتركاً من المرح. وتقول بتسي في مذكراتها:

"بُعَيْد قدومه، جاءت فتاة صغيرة تزورنا. وكانت المسكينة سمعت أخباراً مخيفة عن بونابرت. وما أن أعلمتُها بوجوده عندنا حتى

لاذت بي وهي في قمة الهلع. ويبدو اني نسيتُ مخاوفي الاولى، فهرعتُ خارجاً لأخبر نابوليون أن هناك طفلة تخاف منه، وأرجوه أن يدخل. وسار نحوها وهو يملّس شعره بيده ويهزّ رأسه ويبدّل تعابير وجهه على نحو غريب. وأتبع ذلك بصوت يشبه عواء حيوان بري . وأخذت الصغيرة تشهق وتبكي بلا انقطاع، فأخذتها امي خارج الغرفة خوفاً عليها من الجنون. أما نابوليون فضحك كثيراً لفكرة كونه مصدراً للرعب، ولم يصدّق ما أخبرتُه اياه عن فزعي السابق منه."

والواقع أن ضباط نابوليون وافراد بطانته اشمأزوا من تلك الفتاة الانكليزية المرحة، بل حسدوها. وهم كانوا معذورين في ذلك. فعلاقتهم الشخصية بالامبراطور كانت تحدّدها لياقات رسمية صارمة. ولا يمكن ضابطاً الدخول عليه الا بعد استدعائه من قِبَل خادم. ومتى دخل لا يجوز له الجلوس أو الكلام الا باذن من سيده. ولا شك في ان أفراد الحاشية كلهم كانوا يخاطبون نابوليون بلقب "صاحب الجلالة." لكن أياً من هذه القواعد لم ينطبق على بتسي التي كانت تدعو صديقها "بوني."

وذات مرة احتجزها أبوها في غرفة صغيرة "لخدعة حقيرة.":

"في تلك الأثناء كان الامبراطور يجد سلواه الكبيرة في محادثتي من وراء قضبان نافذتي. وكان، معظم الأحيان، يحملني على الضحك بتقليد التعبير الكئيب على وجهي. ومرّة قال: "ألا ترين أننا، نحن الاثنين، سجينان؟ فلماذا أنتِ تبكين وأنا لا أبكي؟"

ـ أنت؟ لقد بكيتَ حقاً.

"أجل، لقد بكيت. غير أن السجن بقي سجناً. لذلك من الأفضل ان نعمل وننسى ونضحك."

ومكث نابوليون في دارة آل بالكومب نحو شهرين. ثمّ أُحيط علماً بأن دارة "لونغوود" التي تبعد ثمانية كيلومترات الى الداخل أصبحت جاهزة. وكان في تلك اللحظة يلعب وأطفال العائلة. وهكذا انتهت أسعد فترة أمضاها في جزيرة القديسة هيلانة.

وكان آل بالكومب يزورونه في مسكنه الجديد مرة في الاسبوع، فترى بتسي رفيقها القديم، كما سمته، الذي "كان المرح يلتمع في عينيه من وقت الى آخر،" وان "بات كئيباً معظم الوقت."

خَيْط واحد

انقضت أربع سنوات على الأمسية التي كوّن فورشوفود قناعته ـ بعد قراءة مذكرات لوي مارشان ـ بأنّ نابوليون مات مسموماً. ولم ينفكّ، خلال تلك السنوات، يطالع كلّ ما ينشر حول نابوليون من مقالات علمية وسير عمومية، عل وحياً يهبط عليه. وأخيراً جاء الفرج. فقد ظهر مقالان في مجلة أسوجية حول موت نابوليون، أقنعا فورشوفود بأن حقيقة الامر، اذا كانت ستظهر يوماً، فعلى يديه. ولم يشر أي من الكاتبين الى امكان موت نابوليون بالسم، كما لم يذكر كتاب مارشان الصادر حديثاً.

وأخذ فورشوفود يمضي معظم أوقاته الشخصية في مكتبه في الطبقة الثالثة، يعمل على ما سماه "قضية نابوليون." وتراكمت لديه الشواهد. ووضع جنباً الى جنب التقرير الصادر عن لجنة تشريح الجثة وسجل فرنشيسكو آنتومارشي، طبيب نابوليون الخاص، ووصف مارشان اليومي لحال المريض. وعبر مقارنة هذه الشواهد بعدها ببعض، تبين له أن اثنين وعشرين عرضا على الاقل ظهرت لدى نابوليون في أيامه الاخيرة، من أصل ٣٢ عرضاً يحدثها التسمم بالزرنيخ.

الا أن فورشوفود كان يفتقر الى الشواهد المادية الملموسة. والبرهان الوحيد لا يأتي الا عن طريق فحص الرفات. غير أن جثة نابوليون نقلت الى باريس بعد ١٩ سنة من وفاته، وهي الآن في ضريح الـ"انفاليد" تحت ٣٥ طناً من حجار الرخام البراقة. وضحك فورشوفود طويلا اذ عبرت ذهنه فكرة الطلب الى السلطات الفرنسية أن تسمح لدارس أجنبي مغمور بفحص رفات بطل الامة ليرى ما اذا مات بالسم.

لكن ثمة أمراً آخر ممكناً، هو فحص شعر نابوليون. تلك الايام كان المشاهير يهدون خصلا من شعورهم تذكاراً الى من يحبون. والمعروف عن نابوليون أنه قدم خصلا كثيرة من شعره. والشعر يظهر ما يحتوي عليه الجسم من زرنيخ.

وهناك طريقة لتحليل الشعر اعتـُمدت طوال عقود من السنين. لكنها تقتضي كمية كبيرة نسبياً من الشعر، وهي خمسة غرامات، أي ما يعادل خمسة آلاف شعرة قصيرة. ولكن انى لطبيب الاسنان الاسوجي أن يحصل على هذه الكمية؟ أليس هذا مستحيلا كرفع ٣٥ طناً من المرمر عن ضريح الامبراطور؟

الا أن ضربة الحظ أصابت فورشوفود في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩، عندما وجد في مكتبة غوتبورغ نسخة من مجلة "الكيمياء التحليلية" تحوي وصفاً لطريقة حديثة لكشف نسبة الزرنيخ في الشعر بناء على تحليل شعرة واحدة. ومبتكر الطريقة هو الدكتور هاملتون سميث، أحد العلماء في دائرة الطب الشرعي في جامعة غلاسكو الاسكوتلندية.

وعلى الفور كتب فورشوفود رسالة الى الأمير نابوليون، الوارث الحالي في سلالة الامبراطور. وأجابه هذا داعياً اياه الى طرح الأسئلة التي يريد. وفي شهر مايو (أيار) ١٩٦٠ سافر فورشوفود الى باريس، ترافقه زوجته أولابريتا.

وما أن وطىء أرض العاصمة الفرنسية حتى خابر الأمير. لكنه لم يبلغه الا عبر وُسطاء. وبعد بضعة أيام اتضح أن سليل نابوليون لا يريد رؤيته.. عندئذ اتصل فورشوفود بالكومندان هنري لاشوك، وهو خبير بارز في الشؤون المتعلقة بالامبراطور وعضو سابق في مجلس ادارة المتحف العسكري في الـ"انفاليد" وأحد منقحي مذكرات مارشان. وسأله فورشوفود اذا كان يرغب في استقباله هو وزوجته للكلام حول نابوليون.

وفي منزل الكومندان في منطقة مونمارتر الباريسية، عرض فورشوفود نظريته ووصف طريقة هاملتون سميث في تحري الزرنيخ وختم بالآتي: "هذا ما جاء بي اليكم. اني ابحث عن شعرة من رأس الامبراطور."

وأجابه لاشوك: "لديّ بعض خصل من شعره."

وكان متحف لاشوك الخاص مليئاً بمخلفات الامبراطور، بما فيها علبة الخشب الصغيرة التي حفظ فيها مارشان مذكراته. وكان داخل العلبة مغلف أبيض كتب عليه كبير الخدم بخطه: "شَعْر الامبراطور،" وهو يحوي خصلة ناعمة ذات لون بني ضارب الى الحمرة، قُصّت من رأس نابوليون في اليوم الذي أعقب وفاته.

وقدّم لاشوك المغلف الى اولابريتا التي تناولت ملقطاً صغيراً انتزعت به شعرة واحدة وضعتها داخل غلاف من النايلون مدّه زوجها اليها. وقال لاشوك: "تفضّلي يا سيدتي، اسحبي المزيد من الشعر." لكنها أحجمت عن ذلك بحياء، ولم يصر زوجها عليها كي تفعل. وهو أمر ندم عليه لاحقاً.

خلافات المنفى

لم تكن دارة لونغوود بالمكان المريح. فالمطر كثير فوق ذلك السهل الأعزل والمنزل دائم الرطوبة. وكانت الملابس تلتقط الرطوبة وينتشر العفن على الجدران. والأسوأ من هذا أن المنزل كان يعج بالجرذان.

وكيفما نظر نابوليون حوله كان يرى الأسر يحيط به من كل جانب. وعلى مرأى منه كان يقوم مخيّم يؤوي ٥٠٠ جنديّ. كما صُفّ الحراس بستراتهم الحمر الطويلة على امتداد الجدار الحجري الذي يحدّ لونغوود. وكان الحراس على قمم التلال ينقلون أخبار الأسير بعضهم الى بعض عبر الاشارات بالأعلام. وكان في امكان نابوليون أن يبصر السفن الحربية الانكليزية الخمس المرابطة عند مداخل الجزيرة.

وكان هدف نابوليون المباشر أن يُبقي اسمه حياً في العالم الذي سيطر عليه يوماً. ومن أجل ذلك كان على أفراد حاشيته اختراق جدار الرقابة التي فُرضت على جميع المراسلات الى لونغوود ومنها. ولم يكن نابوليون يغادر المنزل الا نادراً. الا ان الآخرين أكثروا الذهاب عبر الكيلومترات الثمانية الى مرفأ جيمستاون الصغير، حيث كانوا يتسقطون الأخبار ويختلطون بالبحارة. وكان فرنشيسكي تشيبيرياني، ذلك الكورسيكي الشجاع القاتم البشرة الذي لاذ بعائلة بونابرت منذ حداثته، أبرعهم في تحري الأخبار، بينما كان الخادم لوي اتيان سان دوني مسؤولا عن نسخ الرسائل المهرّبة الى الخارج.

وفي منتصف الصباح، بعد انتهاء نابوليون من ركوب الخيل، كان طبيبه باري اوميرا يستدعى أحياناً. غير أن الامبراطور لم يحس حاجة ملحة الى مهارة اوميرا في تلك الأيام الاولى من منفاه، اذ ان صحته كانت حسنة. لكنه كان يعوّل على اوميرا كمصدر للاشاعات المحلية.

وكانت الجماعة تتناول الغداء قرابة الحادية عشرة، في غرفة نابوليون أو في الحديقة اذا سمح الطقس بذلك. وكان الطعام يُعَدّ في مطبخ لونغوود على أيدي طباخين اصطحبهم نابوليون معه. واقتصرت مسؤوليتهم على اعداد الطعام الذي كان يقدمه لوي مارشان بنفسه مع مساعدَين أمينَين.

وحاول نابوليون تناول الغداء بصحبة ضباطه، لكن مناوشاتهم المستمرة كانت تزعج أعصابه. ومرة قال لهم: "انكم حفنة أشخاص في طرف العالم. أفلا يمكنكم، على الأقل، ان تحبوا بعضكم بعضاً؟" لكن نصيحته بقيت بلا صدى في نفوسهم. والواقع ان مشكلة اولئك الضباط كانت انعدام المسؤولية. فالعمل قليل جداً، وقد نال القسط الأكبر منه الكونت ايمانويل دو لاس كازس، أكبرهم سناً، الذي كان نابوليون يملي عليه رسائله. وانضمّ لاس كازس الى نابوليون في الأيام الأخيرة من حكمه، على أمل أن يصبح مؤرخه.

وكان "الغران مارشال" بيرتران مغتاظاً لأن مونتولون انتزع مكانته لدى الامبراطور. وكان ذلك الضابط الكئيب المزاج يلازم عائلته كلما أمكنه ذلك. وهو لم ينقطع عن نابوليون منذ أيام ملكه على ايطاليا، وفي باريس غدا كبير ضباط القصر. وقد خوّله منصبه تسلم شؤون المنزل. لكنه، بالحاح من زوجته فالي الطويلة الشقراء التي شاءت أن تبقى بعيدة عن نابوليون، سكن خارج لونغوود. أما نابوليون الذي جرح ذاك التصرف كبرياءه، فقد عهد الى مونتولون في تدبير الشؤون المنزلية. وهو شاب وسيم اجعد الشعر لازم الامبراطور طوال فترة نفيه.

وجاء تعيين وليم بالكومب، والد بتسي، كمتعهد تموين ليطمئن نابوليون. وهو كان على يقين من أن الانكليز يريدونه ميتاً، وأنهم لن يدّخروا جهداً للقضاء عليه. ولم يكن احتمال التسميم بعيداً عن ذهنه. وقال ان الأطباء والصيادلة حذّروه من الخمر والقهوة على نحو خاص. لكنه ضرب بذلك التحذير عرض الحائط نظراً الى الظروف المستجدة: "ليس هناك خطر من دس السم. ذلك أن بالكومب الذي يؤمّن الطعام واوميرا وبوبلتون (وهو الضابط الانكليزي المقيم في لونغوود) اناس شرفاء لا يمكن ان يقترفوا عملا كهذا."

لقاء في غلاسكو

بعد عودته من باريس الى اسوج (السويد) خابر فورشوفود هاملتون سميث في غلاسكو وطلب منه فحص شعرة رأس بطريقته، من دون اعطائه أي معلومات اخرى. ووافق سميث من غير أن يطرح أسئلة هو الآخر.

وغلف فورشوفود الشعرة بعناية وأرسلها الى اسكوتلندا في البريد المضمون. وفي يوليو (تموز) ١٩٦٠، جاءه الجواب الآتي:

"هذا النموذج يحوي ١٠،٣٨ ميكروغرام من الزرنيخ في الغرام الواحد من الشعر، مما يعني أن

صاحبه كان عرضة لكميات كبيرة من الزرنيخ."

ان كمية الزرنيخ الطبيعية في شعر الانسان هي نحو ٠,٨ في المليون. أما شعر نابوليون عند وفاته فكان يحوي ١٣ ضعف هذه الكمية.

وغبط فورشوفود نفسه لتلك النتيجة ثم راح يتأمل في المستقبل. ان ثمة طريقاً طويلة أمامه. وقد تبادر الى سمعه سلفاً احتجاج المشككين: "انه اختبار مفرد، قائم على تحليل مقدار ضئيل. والجائز أن يكون الشعر ملوثاً، أو أن يكون الزرنيخ أتى لاحقاً من مصدر خارجي. كما يعقل أن يكون هذا الشعر من رأس غير رأس نابوليون."

أجل، ثمة عمل كبير ينبغي انجازه. فهناك حاجة الى المزيد من الشعر والمزيد من الاختبارات. يضاف الى ذلك ما يمكن وما لا يمكن استنتاجه من الفحص. وأهم ما في الأمر الكلام الى هاملتون سميث وجهاً لوجه.

وطار فورشوفود الى غلاسكو في اغسطس (آب). وبعد جولة في مختبر سميث، جلس الاثنان أمام كوبين من الشاي التقليدي فيما راح سميث يشرح طريقته. ووزن النموذج وختم في وعاء من البوليثيلين. ثم عولج بالأشعة مع محلول عادي من الزرنيخ خلال ٢٤ ساعة. وعبر مقارنة النموذجين، تبين وجود الزرنيخ في جسم صاحب الشعر. ولا شك في صحة طريقة سميث التي استخدمت مرة بعد اخرى بنجاح. والذي يؤسف له أن الاختبار يقضي على الشعر بحيث لا يمكن تكراره.

وكان لدى هاملتون سميث سؤال واحد يطرحه على ضيفه: "هل لك أن تخبرني عن اسم الضحية؟"

وأجاب فورشوفود بهدوء: "هذا الشعر هو للامبراطور نابوليون الأول."

ويتذكر فورشوفود لاحقاً أن وجه سميث ابيض لدى سماعه الجواب، بل أصبح "باهتاً كجثة." وطرأ على ذهن فورشوفود أن سميث كان يفكر في امكان عزو الجريمة الى الانكليز. أفلا يغتاظ بريطاني من غريب يلقي تهمة قتل على عتبة داره؟

ومن أجل طمأنة مضيفه، قال فورشوفود: "انني على ثقة بأن الانكليز لم يرتكبوا تلك الجريمة."

وما أن سمع سميث ذلك حتى ثارت ثائرته على نحو لا مواربة فيه، وصرخ قائلا: "وهل تظن أن ذلك يهمني؟ ما شأني بالانكليز أنا الاسكوتلندي؟"

وعلى الأثر انفجر الاثنان ضاحكين.

وحان دور فورشوفود ليطرح سؤالا: "أيمكن ان يكون الزرنيخ جاء نتيجة تلوث من مصدر خارجي؟"

واذ ذاك تكلم سميث عن تطور في طريقته، وهو الفحص المقطعي لنموذج من الشعر. واذا كان الزرنيخ أتى من الخارج – من غرفة الشخص المعني مثلا – فالتحليل يظهر الكمية نفسها تقريباً في جميع المقاطع. أما اذا دخل الزرنيخ الجسم عبر فترات زمنية مختلفة وبكميات كبيرة نسبياً، فان مقاديره تختلف من مقطع الى آخر بحيث تظهر في الرسم البياني على هيئة قمم ووهاد. وفي الامكان حساب الوقت بين قمة واخرى، علماً

ان الشعر ينمو نحو ٠،٣٥ مليمتر يومياً.
وفي حال نابوليون، هذا يعني امكان معرفة الكميات التي تناولها من الزرنيخ في كل مرحلة، بناء على التحليل المقطعي للشعر بالمقارنة مع المذكرات اليومية التي تصف ما كان يعانيه.
الا أن المسألة تحتاج الى نماذج اخرى من شعر الامبراطور. وخُيِّل الى فورشوفود أن لاشوك الذي أمدَّه بالشعر سابقاً، لا بد من ان يهب الى نجدته الآن.
وعرض فورشوفود المسألة أمام الدائرة التاريخية للجيش الفرنسي، وذلك في العاشر من ابريل (نيسان) ١٩٦١. وكان أعضاء الجانب الفرنسي، وهم طبيبان عسكريان وكبير صيادلة الجيش، يصغون اليه بهدوء، مما ولَّد انطباعاً بأنهم يهتمون لنظريته ويؤيدونها. والواقع أن لاشوك وعد باعطاء خصلة من شعر الامبراطور لتحليلها، وأعدَّ فورشوفود العدة لفحص النموذج على يد خبير فرنسي. غير أن لاشوك بدل رأيه في اللحظة الأخيرة واسترد الخصلة.
وخُيِّل الى فورشوفود أنه يعرف السبب. فلا بد من أن يكون الفرنسيون طرحوا على أنفسهم السؤال الآتي: "من كان المجرم؟" ومن المغري الصاق التهمة بالانكليز. لكن ظروف الحياة على جزيرة القديسة هيلانة لم تكن تسمح للانكليز بتسميم نابوليون وحده من دون تسميم أفراد الحاشية جميعاً. وهذا يعني أن بطل فرنسا العظيم قضى عليه واحد من قومه، الأمر الذي لا يروق الفرنسيين التفكير فيه.
ووجد فورشوفود نفسه مرغماً على نشر نظريته، وان ناقصة، عله يجد من يكملها في أرض الله الواسعة. ذلك ان عشرات الخصَل من شعر نابوليون تمَّ اهداؤها خلال حياته وبعد وفاته. ولا بدَّ من أن يوجد بين مالكي تلك الخصَل الحاليين من هو مستعد للتضحية ببعض ما يملك اكراماً للعلم والتاريخ.

"المناخ القاتل"

في الحادي عشر من يوليو (تموز) ١٨١٦ زار نابوليون وواحد من ضباطه، وهو غاسبار غورغو، السيدة آلبين دو مونتولون التي سبق أن وضعت مولودة انثى قبل أسابيع. ودخلا عليها وهي تقرأ قصة المركيزة دو برانفيلييه التي تؤرخ احدى أكبر الجرائم في تاريخ فرنسا.
ففي العام ١٦٧٦، تحت حكم لويس الرابع عشر، اتُّهمت المركيزة وحُكم عليها بالاعدام لتسميم والدها وأخويها بالزرنيخ. وقبل تنفيذ الحكم فيها أدلت باعتراف مفصَّل أصبح الى جانب اعتراف شريكيها في الجريمة، مادة للكتاب الذي كانت آلبين دو مونتولون تطالعه.
والحق أن الكتاب كان وصفاً مرحلياً مفصلا لطريقة القتل بالزرنيخ على نحو لا يثير الشبهات. ومن الأعراض الاولى التي عاناها ضحايا المركيزة الصداع وفقد الشهية للطعام والتقيؤ والحكة وآلام الصدر. وعندما حاولت المركيزة تسميم زوجها، شكا

ضعفاً في رجليه جعل الوقوف والمشي عسيرين عليه٠

ولقد كان غاسبار غورغو أشد ضباط نابوليون تذمّراً لقلة أعماله٠ ذلك أن لاس كازس كان له ما يفعله، في حين أمضى كل من بيرتران ومونتولون معظم الوقت مع زوجته وأولاده٠ لكن غورغو كان أعزب٠ وهو شاب في مطلع الثلاثينات ضخم البنية وقاتم البشرة ومفعم بالحيوية والنشاط والعاطفة التي لم تجد متنفساً لها٠

وعهد نابوليون الى غورغو في العناية بجياده الاثني عشر٠ غير أن سوّاس الخيل أنجزوا العمل عنه بحيث لم يستلزم عمله في الاسطبل سوى القليل من الوقت والجهد٠ وكان يركب جواده ويستحثه بنزق حول سهل لونغوود، ويتخاصم معظم الوقت مع مونتولون ويشتكي الى نابوليون حول كل شيء٠

أما علاقة نابوليون بحاكم الجزيرة الجديد هدسون لو الذي وصل في ربيع ١٨١٦، فكانت سيئة منذ البداية٠ وكان الحاكم القلق يخشى ان يؤدي تلكؤه عن القيام بمسؤولياته الى فرار نابوليون بعد اثارة الشعب في صفوف السكان وافراد الحامية٠ ومنعاً لحدوث شيء من هذا القبيل، أصدر قوانين جديدة وأحيا قوانين قديمة لم يكترث سلفه لها٠

ومعظم هذه القوانين كان يهدف الى قطع العلاقة بين نابوليون وسكان الجزيرة ومنعه من الكتابة الى العالم الخارجي٠ وعلماً منه أن أفراد الحاشية يهرّبون الرسائل باستمرار تحت أعيُن الرقباء، أصدر لو قانوناً يجرّم بموجبه أي ساكن للجزيرة يتعامل مع جماعة لونغوود من غير اذنه الخاص٠ وقلّص المساحة التي يمكن ان يتجوّل فيها نابوليون على حصانه من غير مرافق٠ كما أحيا قانوناً قديماً لم يطبّق حتى ذلك الوقت، يخضع نابوليون بموجبه لمراقبة ضابط انكليزي مرتين يومياً٠

أما أكثر اجراءات لو تفاهة فكان ذاك الذي يدعو جماعة لونغوود الى اختصار موازنتهم السنوية من ١٢ ألف جنيه الى ثمانية آلاف٠ ووجد نابوليون في ذلك الاجراء فرصة لارباك السلطات الانكليزية، فأمر ببيع الفضة الامبراطورية٠ وانتظر تشيبريانـي احتشاد الناس على رصيف الميناء قبل عرض الصحون والأواني الفضية٠ وعندما سُئل عن حال الامبراطور أجاب: "ها هو يعرض سلعه الفضية للبيع كي يتمكن من العيش٠" وكان نابوليون يأمل ان تبلغ هذه الأنباء لندن، فتكسبه عطف الشعب الانكليزي٠

ووجد نابوليون في اجراءات لو التعسّفية مجالا لتحدّيه٠ ولدى تقليص المساحة التي يحق له ركوب الخيل فيها، أخبر طبيبه اوميرا (وهذا لا بدّ من أن ينقل الخبر الى الحاكم) أن حرمانه الرياضة يؤدي الى موته الذي تقع تبعته على الانكليز٠ أما مراقبته مرّتين يومياً من قبل ضابط انكليزي فقد تجنبها نابوليون ببقائه أياماً في غرفتيه في لونغوود لا يبارحهما٠

الا ان نابوليون دفع غالياً ثمن

خصومته مع لو. فقد كانت دائرة أسره تتقلّص يوماً بعد يوم. وخفّ عدد زواره كثيراً بعدما نشأ خصام حول من يوقع لهم اذن المرور. وكانت صحة الامبراطور تسوء باطراد. وفي شهر مايو (أيار) شكا من النقرس (داء المفاصل) وقال للدكتور اوميرا: "ان رجليّ ترفضان العمل من أجلي." وكان يشعر بالبرد على الدّوام ويُصاب بالتهاب في اللثة، ولاحظ اوميرا أنها غدت "طرية كالاسفنج وباهتة اللون وتنزف لأقلّ سبب." وعزا اوميرا تلك الأعراض المتكررة جزئياً الى "المناخ القاتل،" وهو تفسير واسع يشمل كل ما يستعصي تفسيره بالطرق الاخرى.

مقارنات باهرة

اشترك فورشوفود وهاملتون سميث وآندريس فاسن، وهو عالم سموم أسوجي، في كتابة مقال يصف الاختبار الذي أجراه سميث. ونُشر هذا المقال في عدد ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦١ من المجلة العلمية البريطانية "الطبيعة" مع ذكر اسم نابوليون صراحة. وجاءت ردود الفعل الاولى من خبراء الدراسات النابوليونية الذين رفضوا النظرية جملة وتفصيلا. وهذا عين ما كان يتوقّعه فورشوفود.

وبعد اسبوعين من صدور المقال، تلقى فورشوفود مخابرة من صاحب معمل نسيج سويسري اسمه كليفورد فراي، قال انه يملك خصلة من شعر نابوليون تحوي خمسين شعرة، وانها كانت في الأساس خاصة جان ابرهام نوفيراز، الخادم الذي قص شعر الامبراطور في اليوم التالي لوفاته. وعبّر فراي عن رغبته في تقديم كمية من ذلك الشعر لاجراء الاختبار عليها، وتولى بنفسه ارسالها الى غلاسكو.

وفيما كان فورشوفود ينتظر تقرير سميث، وضع وصفاً مفصّلا للأشهر السبعة الأخيرة من حياة نابوليون، بين أواخر سبتمبر (أيلول) ١٨٢٠ ويوم وفاته في ٥ مايو (أيار) ١٨٢١. ودوّن جميع الأعراض الصحية التي شكا منها الامبراطور نقلا عن شهادات الدكتور آنتومارشي ومارشان وشخص ثالث. وبلغ طول الورقة التي سجّل عليها فورشوفود تلك الملاحظات متراً. وقد ظهر عليها مرض نابوليون الأخير في ضوء الأشهر السبعة كلها. ولم تكن الأعراض مستمرة، بل مجموعة في فترات زمنية متقطعة تفصل بينها مراحل من الابلال. وأشارت الدلائل الى أن نابوليون عانى، خلال تلك الأشهر السبعة، ست اصابات حادة، آخرها في شهر مارس (آذار). وأبلّ جزئياً في أواسط ابريل (نيسان) عندما كتب وصيّته. وبعد ذلك ظهر مرضه الأخير الذي دام اسبوعين.

ووصل تقرير سميث في مطلع ديسمبر (كانون الاول). وكان سحب من الخصلة عشرين شعرة، أجرى على بعضها اختباره القديم الذي يقيس كمية الزرنيخ الاجمالية. وتبين ان تلك الشعرات تحوي نسبة من الزرنيخ تراوح بين ٣،٢٧ و٣،٧٥في المليون، أي بزيادة أربعة الى خمسة أضعاف

على كمية الزرنيخ الطبيعية في شعر الانسان.

واقتطع سميث شعرتين، طول احداهما ١٣ سنتيمتراً والاخرى تسعة سنتيمترات، لاجراء التحليل المقطعي عليها. وثبّت سميث الشعرتين على ورقة وجعلهما في مقاطع بطول خمسة مليمترات للمقطع الواحد. وبعد ذلك قاس كمية الزرنيخ في كل مقطع. وجاءت النتيجة، بالنسبة الى الشعرة الأطول،متدرّجة من ٢،٨ الى ٥١،٢. أما الأخرى فتدرّجت من٠٦،١ (وهذا ليس بعيداً جداً عن المعدّل الطبيعي) و١١. وبلغ عدد الاختبارات التي أجراها سميث على تلك الخصلة من شعر نابوليون المئة والاربعين. وأظهرت الرسوم البيانية التي وضعها أنّ نابوليون لم يمت عرَضاً، وأنّ الزرنيخ في شعره لم يكن تلوّثاً مصدره الهواء.

وتناول فورشوفود الجدول الذي وضعه لحال نابوليون الصحية في الأشهر السبعة الأخيرة من حياته، ونشره أمامه على الأرض مع تقرير سميث. وراح يحسب من اليوم الذي قُطع فيه الشعر، وهو السادس من مايو (أيار) ١٨٢١، الى الوراء. وكان كلّ مقطع من خمسة مليمترات يقابل ١٥ يوماً من حياة نابوليون. وأجرى فورشوفود مقارنة بين فترات مرض نابوليون وابلاله من ناحية، وكميات الزرنيخ بالنسبة الى تحليل سميث المقطعي من ناحية اخرى. فجاءت النتيجة مطابقة، مما يعني ارتفاع نسبة الزرنيخ خلال فترات المرض وانخفاضها في فترات الابلال.

ونجحت محاولة فورشوفود لتعزيز شواهده اذ تلقى، بعد وقت قصير، رسالة من المؤلفة الاوسترالية السيدة مابل بروكس حفيدة اخت بتسي بالكومب. وكانت مابل طالعت المقال المنشور في مجلة "الطبيعة." كما كانت تملك خصلة من شعر نابوليون، أهداها بنفسه الى بتسي خلال زيارتها الوداعية الى لونغوود في ١٦ مارس (آذار) ١٨١٨. وقرّرت ارسال نموذج منها الى غلاسكو.

وتولى سميث تحليل النموذج الجديد عبر قسمة خيوطه مقاطع ثلاثة يبلغ طول كل منها سنتيمتراً واحداً. وراوحت نسبة الزرنيخ بين٦،٧ اجزاء و٢٦ جزءاً في المليون. وهذا برهان اضافي على التسميم المتعمّد. وبما أن مذكرات بتسي تقول ان الخصلة أُعطيت لها لدى زيارتها الأخيرة الى لونغوود، فهذا يعني أن الشعر الذي تتكوّن منه نما في العام ١٨١٧ أو في مطلع ١٨١٨. وهذا جعل فورشوفود يرفع الشك عن اولئك الذين دخلوا جزيرة القديسة هيلانة في وقت لاحق، وبينهم الدكتور أنتومارشي الذي وصل عام ١٨١٩.

وقد سُرّت السيدة مابل كثيراً لتلك النتائج، علماً أنها كانت دائماً على قناعة بأن وفاة نابوليون لم تكن طبيعية، بل كانت تنطوي على جريمة.

نقص الحاشية

تدهورت صحة نابوليون. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٨١٧ شكا الى اوميرا ألماً تحت غضروف القفص

الصدري يعانيه للمرة الاولى. وشخّص اوميرا الألم على أنه نتيجة التهاب الكبد. وبعد اسبوعين دوّن في تقاريره ان نابوليون يعاني على الدوام احساساً مزعجاً في جانبه الأيمن، وان شهيته تقلصت والتورّم لم يبارح رجليه، خصوصاً في الليل.

وعندما زاره آل بالكومب ذلك الوقت، دوّنت بتسي في مذكراتها ما يأتي عن مرضه: "لقد أحدث فيه أثراً شديداً بحيث بات النظر اليه محزناً. فوجهه غدا باهتاً كلون الشمع الأصفر بالتمام، وغار خدّاه، وانتفخ رسغا قدميه حتى خرج اللحم من حذائه. وبلغ منه الضعف مبلغاً لم يستطع معه الوقوف من غير القاء يد على الطاولة واخرى على كتف أحد ملازميه. ولاحظت أمي، ونحن نغادره، أن الموت كان مرتسماً على قسماته."

وكان مرض نابوليون المتكرر يحيي لديه أحياناً الخوف من التسمّم، خصوصاً عبر دس السم في الشراب. وفي يونيو (حزيران) وجد غورغو طعماً غريباً في زجاجة من خمر الامبراطور الخاصة. ونصحه باشراك صَحْبه جميعاً في شرب تلك الخمر، لأن أحداً لن يجرؤ على تسميم الحاشية كلها خوفاً من افتضاح الأمر.

والحق أن صحة نابوليون كانت جانباً واحداً من همومه. فمن ناحية اخرى كان أفراد حاشيته يتضاءلون عدداً. ذلك أن غاسبار غورغو غادر الجزيرة في فبراير (شباط) ١٨١٨، بعد سنة كاملة من الخصام المر مع صَحْبه. وكان لاس كازس ترك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨١٦. ونظراً الى حداثة سنه وحدّة طبعه، لم يتمكن غورغو من تحصين لسانه. وعندما تذمّر أمام نابوليون من كونه أعزب، أجابه سيده: "ماذا تقول؟ النساء؟ اذا لم تفكر فيهن، فانك لن تحتاج اليهن! لماذا لا تكون مثلي؟"

غير أن غورغو لم يصدّق ما قاله سيده، لقناعته بأنه اتخذ آلبين دو مونتولون خليلة له. وهو لم يخبىء قناعته تلك عن نابوليون. ومرة فاجأ السيدة وهي في طريقها الى نابوليون الذي كان عارياً في غرفة نومه. ولما أسرّ الى زوجها بما حَدث، أجاب مونتولون متلعثماً: "لا أدري. وفي الوقت نفسه لا أنفي."

وجاءت النهاية في مشهد عاصف. كان الحديث يدور على مونتولون وزوجته. وقال نابوليون انه سيعاملهما على النحو الذي يروقه. واذ ذاك قرّر غورغو ان يغادر الجزيرة، متذرعاً بسوء حاله الصحية.

وفي اواخر فبراير (شباط) حلت خسارة اخرى وأكبر بالامبراطور. ففي أثناء العشاء ذات مساء سقط تشيبرياني فجأة على الأرض وهو يتلوّى ألماً. ومات بعد يومين. وجاء في تقرير اوميرا أن سبب الوفاة كان "التهاباً في الأمعاء." ولم يُجْرَ أيّ تشريح للجثة لأن صاحبها كان خادماً. وهكذا طُويت وفاة تشيبرياني المفاجئة.

وفي الشهر التالي غادر آل بالكومب الجزيرة بحجة مرض السيدة بالكومب. لكن السبب الحقيقي كان أن حاكم الجزيرة هدسون لو غاظته العلاقة الحميمة بين نابوليون وتلك

العائلة الانكليزية. ومع ذهاب وليم بالكومب، فَقَدَ نابوليون صلة وصل مهمة مع العالم الخارجي، كما فَقَدَ كل من له من أصدقاء انكليز في ذلك المكان.

وتبع اولئك جميعاً باري اوميرا. وأسف نابوليون كثيراً لمغادرة ذلك الطبيب الشاب الذي بات، مع قلة ضئيلة، مصدراً لمعلوماته بعد وفاة تشيبرياني ورحيل آل بالكومب.

وبعد سنة حزمت آلبين دو مونتولون أمتعتها ومضت ومعها أولادها الثلاثة، مخلّفة أسئلة لا تزال حتى اليوم بلا جواب: هل كانت عشيقة نابوليون كما ادّعى غورغو؟ هل كانت ابنتها "نابوليون" التي وُلدت على الجزيرة ثمرة تلك العلاقة؟

مهما تكن علاقة آلبين بالامبراطور، فلا شك في أن ذهابها جعل أيامه تبدو أكثر فراغاً. ولدى معرفته بعزمها على الذهاب، أخبر زوجها أنه يأذن له بالذهاب معها. غير أن مونتولون رفض. فهو أقرب أفراد البطانة الى الامبراطور بعدما انتزع تلك المكانة من بيرتران الكئيب الطبع، المنكفىء على ذاته، الذي عبّر عن رغبته في الذهاب أيضاً. وما أن أصبح مونتولون وحيداً حتى بات يقضي أوقاته مع الامبراطور من غير أن يتذمّر البتة.

أجوبة للمشككين

طوال فترة تحرّياته ودراساته ووجه فورشوفود بالكثير من الأسئلة الحادة التي تتحدى نظرته. وقد جاء بعض تلك الأسئلة من المشككين وبعضها الآخر منه هو. ولدى اثبات نظريته عام ١٩٧٤ حول وفاة نابوليون، بات مستعداً للاجابة عن تلك الأسئلة بالكثير من اليقين.

١. ثمة دلائل عدة تشير الى تسمّم نابوليون بالزرنيخ فلماذا لم يحاول أحد قبلك اجراء تلك التحريات؟

ـ السؤال نفسه طرحتُه على هنري غريفون، الخبير في السموم في مختبر الشرطة في باريس. فأجاب أنه ما من حادث تسمّم بالزرنيخ تمّ تحرّيه بدقة وفي الوقت المناسب، مشيراً الى أنه اشترك في تحريات عدة من هذا القبيل. فالأعراض التي ترافق هذا النوع من التسمّم تلازم أمراضاً كثيرة اخرى. وعلى الطبيب المسؤول أن يفصل في الأمر. ولا شك في أن تشخيص الأمراض العادية أسهل كثيراً من تشخيص التسمّم بالزرنيخ.

٢. لكنّ الدكتور أنتومارشي هو الذي أجرى التشريح. والقتل بهذه الطريقة كان شائعاً جداً آنذاك. فلماذا لم يطرح ذلك الامكان؟

ـ يجب الا ننسى التمييز بين التسمّم المزمن وغير الحاد بالزرنيخ والتسمّم الحاد والفوري بهذه المادّة. والنوع الأول الذي تعرّض له نابوليون، ذو نتائج لم يكن الأطباء يعرفونها تماماً آنذاك. والحق أنها لم تُعْرَف جيداً قبل العام ١٩٣٠.

٣. ماذا تقول، اذاً، عن الأطباء والمؤرخين الذين عالجوا المسألة حديثاً؟

ـ لم يقم هناك اي دليل ملموس على موت نابوليون بالسم الى أن ابتكر هاملتون سميث طريقته في

تحليل الشعر، والمذكّرات التي سلّطت الأنوار الكاشفة على أيام نابوليون الأخيرة لم تُنْشَر الا حديثاً. فكتاب بيرتران ظهر عام ١٩٤٩، وكتاب مارشان عام ١٩٥٥. وهذان الكتابان لا يجيبان عن نظرية الوفاة بالسم لأنهما لا يطرحانها. ولكن ظهرت نظريات اخرى حول وفاة نابوليون، وكان لكل نظرية أتباعها.

أما غلاة المعارضين لنظرية الوفاة بالزرنيخ فقد وضعوا كتباً ومقالات يدافعون فيها عن النظريات القديمة الشائعة. وعلى حَدّ علمي، ليس هناك أي عالم سموم أو عالم أمراض عارض نظريّتي، كما لم يعارضها أي خبير بالجرائم أو بالطب الشرعي. والعديد من هؤلاء أيّدني.

٤. ان نقّادك أثاروا شكوكاً حول مصدر الشَّعْر. فكيف نعلم حقّاً أن الشعرات التي تم تحليلها كانت من رأس الامبراطور؟

— نحن نعرف ذلك من لون الشعر والشبه بين النماذج واحتوائها جميعاً على الزرنيخ. وهذه النماذج جميعاً تلائم الوصف الذي نعرفه لشعر الامبراطور. ولئن يكن هذا يدّلنا على أن صاحب الشعر واحد لكنه ليس بالضرورة نابوليون، فمن حقّنا أن نتساءل كيف وصلت تلك النماذج الى أيدي أُناس لا يعرف بعضُهم بعضاً، مثل لاشوك في باريس وفراي في سويسرا والسيدة مابل في اوستراليا، فضلا عن شخصين آخرَين؟

٥. لماذا استغرقت عملية التسميم ذلك الوقت كله، ولم يتمّ قتل نابوليون بجرعة قوية واحدة؟

— من أجل فهم ما حصل، علينا أن نعرف ما الذي كان يخشاه آل البوربون. لا شك في أنهم كانوا يحسبون حساباً كبيراً لنابوليون، لكنهم خشوا كثيراً الحركة البونابرتيّة.

ولكن لنفترض أن الكونت دارتوا، ولي عهد سلالة البوربون، اوعز الى مجرم بدس السم للامبراطور السابق للقضاء عليه مرة واحدة. هذا من شأنه طرح مسألة التسميم كأمر واقع، وتشريح الجثة بناء على هذه الفرضية. واذ ذاك يُكتشَف وجود الزرنيخ. الا أن هذا قد يؤدي الى قيام ثورة شعبية عارمة ضد آل البوربون لدى وصول الأخبار الى فرنسا — ثورة من شأنها أن تقضي على حكمهم الى الأبد. من الضروري، اذاً، تسميم الضحية على مراحل لكي تبدو الوفاة امراً طبيعياً.

ومن حسنات التسميم البطيء أيضاً أنه يحد من نشاط نابوليون.

أخيراً، ثمة اعتبار مهم بالنسبة الى المجرم، وهو الحرص على عدم افتضاح الجريمة خلال وجوده على أرض الجزيرة. فذلك يدفع أنصار نابوليون الى الاجهاز عليه.

الخيط الأخير

بعد الاجابة عن تلك الاسئلة جميعاً، بات فورشوفود على استعداد لكشف هوية المجرم. وكان استبعد، منذ البداية، الأشخاص الذين عاشوا خارج دارة لونغوود التي أوت نابوليون وبطانته. فليس في امكان اولئك دس السم للامبراطور وحده من غير

تسميم أفراد الحاشية الآخرين. وهذا يعني وضع الانكليز وبيرتران خارج نطاق الشك.

واستبعد فورشوفود كذلك الأشخاص الذين لم يلازموا نابوليون من بداية نفيه الأخير حتى نهايته، بعدما بيّن اختبار النماذج المختلفة من الشعر أن التسميم حصل طوال مدة النفي في جزيرة القديسة هيلانة، وهي خمس سنوات ونصف سنة. وهذا يعني استثناء لاس كازس وغورغو واوميرا وآلبين دو مونتولون وتشيبرياني والدكتور آنتومارشي.

ان الطريقة المعهودة للتسميم بالزرنيخ هي دسّه في الطعام أو في الشراب. والواقع أن بيارون، كبير الطهاة، بقي في لونغوود طوال مدة النفي. ومن السهل أن يكون سمم نابوليون، ولكن ليس نابوليون وحده، بل سائر المرافقين. ذلك ان بيارون أشرف على تحضير الطعام، لكنه لم يكن هو المسؤول عن تقديمه. ولم يكن نابوليون يتناول طبقه الا من الخدَم. وكيف لكبير الطهاة أن يعرف سابقاً أي جزء من الطعام سيُقدَّم الى الامبراطور؟

اذاً، أيكون القاتل واحداً من الخدام الثلاثة: مارشان، سان دوني، نوفيراز؟

انّ الاسمين الأخيرين يمكن حذفهما لأنهما لم يقدّما الطعام باستمرار. ولقد كان نوفيراز طريح الفراش خلال احدى فترات تسميم الامبراطور.

هذه التصفية تُبقي اسمين اثنين: مونتولون ومارشان، أقرب الناس الى نابوليون. وهذا ينطوي على مفارقة، لكنه أمر طبيعي. فليس لغير القريبين أن ينفذوا عملية من هذا النوع.

وراح فورشوفود يدرس سيرة المشبوهين ويتساءل عن سبب ذهابهما الى جزيرة القديسة هيلانة. وكان مارشان خدم نابوليون منذ شبابه بعدما خدمت امه في البلاط وذهبت الى فيينا، عند النفي الاول للامبراطور، للعناية بابنه. ولم يكن لعائلة مارشان ولا له هو اي صلة بالاسرة المالكة، لذلك كان طبيعياً أن يرافق الامبراطور.

أما مونتولون فكان من الأريستوقراطية القديمة. وهو كان ضابطاً لم يحارب قط. وقد رفض نابوليون أن يمنحه ترقية، كما عارض زواجه بآلبين. ولما تزوجها تخلى عنه. وبعد تنحية نابوليون ونفيه الى البا، سعى مونتولون الى نيل خطوة لدى آل البوربون.

وكان الكونت سيمونفيل، زوج والدة مونتولون، قريباً للكونت دارتوا، شقيق الملك لويس الثامن عشر. ولا ريب في أن تلك الصداقة هي التي أوصلت مونتولون الى رتبة جنرال على أثر استعادة آل البوربون الحكم. لكنه، قبل ممارسة صلاحياته، اتُّهم باختلاس مبلغ ٥٩٧٠ فرنكاً من رواتب جنوده، وهو جرم كبير. لكنه لم يمثل أمام المحكمة العسكرية على الاطلاق.

ثم ظهر مونتولون مع حاشية نابوليون في أعقاب معركة واترلو، كمسؤول عن مخدع الامبراطور. ترى

ما الذي حدا ذاك الشاب المحب للمتعة على خدمة قضية خاسرة؟ ما الذي يفسر حماسته للذهاب الى جزيرة القديسة هيلانة؟ لماذا ارتضى ترك مباهج الحياة في فرنسا، حيث تحكم جماعته، ليمضي أجمل سنيّ حياته فوق جزيرة نائية في خدمة شخص لا يعني له شيئاً؟

وأتبع فورشوفود تحرياته بدراسة سلوك مونتولون في الجزيرة. لقد رفض التدخّل في علاقة زوجته مع نابوليون، حتى بعدما نبهه غورغو الى ذلك بهزء. كما أنه لم يتذمر البتة ولم يطلب اعفاءه من مهمته. ولم يجد فورشوفود في ذلك السلوك الغريب سوى أمر واحد، وهو أن مونتولون أُرسل بمهمة اغتيال الامبراطور. والمؤكّد أن الكونت دارتوا هو الذي أعطى الأمر، والمعروف أنه خطط غير مرة للقضاء على نابوليون. ومن المعقول أن يكون هدّد مونتولون بأن احجامه عن تنفيذ ذلك الأمر يحتم ارساله الى السجن بتهمة السرقة.

وتوصّل فورشوفود الى المزيد من الأدلة. فقد كان مونتولون مدير الخمور في لونغوود، وفي يده مفتاح الغرفة التي حُفظ فيها الشراب. وكانت الخمور تُنقل الى لونغوود في براميل خشبية. ومن السهل ان يلقي مونتولون الزرنيخ في البرميل نفسه، قبل تفريغه في القناني. وهذا أسهل وأكثر اقصاء للشبهات من دس السم في الطعام، الذي يجب ان يحصل كل مرة بمفردها. أما وضع الزرنيخ في البرميل فيعني تسميم نابوليون طوال الأسابيع أو الأشهر اللاحقة. وقد تمّ التسميم ببطء لأن نابوليون لم يكن شرّيب خمر مفرطاً. ومرة أهدى زجاجة من خمره الخاصة الى غورغو، فشكا هذا الأعراض نفسها التي كانت تصيب الامبراطور.

الا أن لبّ المسألة يكمن في المرحلة الأخيرة من حياة نابوليون، وهي الأشهر الاولى من العام ١٨٢١ التي تبنى المجرم خلالها الطريقة التقليدية لتسميم ضحيته. فقد طلب من أحد الأطباء وصف عقاقير غير مؤذية، لكنها ضارة جداً في حال التسمّم بالزرنيخ. وفي تقارير شهود عيان خلال تلك الأشهر الأخيرة، وجد فورشوفود البرهان القاطع على أن نابوليون مات قتلاً، وأن قاتله كان مونتولون.

الضربة القاضية

مع بداية ١٨٢١ كان نابوليون شديد الضعف وهو يعاني نوبات من الانحطاط الجسدي والالم المبرح في معدته. وطوال تلك الفترة، ما انفكّ مونتولون يقول لحاكم الجزيرة هدسون لو ان آنتومارشي ليس كفياً لابراء نابوليون في تلك المرحلة من مرضه، وان سيده يودّ استقدام طبيب من باريس. وكرر مونتولون رجاءه أمام آنتومارشي نفسه، قائلا: "ليكن القرار في يد الملك الفرنسي."

وكان وجود آنتومارشي لا يلائم المجرم من ناحيتين. فهو، أولا، مختص بعلم التشريح، وفي إمكانه أن يبزّ الأطباء الآخرين في هذا المجال. وبما أنه كورسيكي، من

ناحية اخرى، فلم يكن له ولاء لاي من التاجين البريطاني والفرنسي، وبالتالي لم يكن يخشى نشر تقريره عن وجود السم. أما في حال إرسال طبيب فرنسي من قبل العائلة المالكة، فأن هذه المخاوف تزول، اذ لا بدّ من أن يحاط علماً بأن مهمته تتجاوز التشريح.

وأرتأى فورشوفود أنه من غير المعقول أن يسلم نابوليون نفسه الى طبيب اختاره آل البوربون، علماً أنه كان يخشى الأطباء الانكليز أنفسهم. ولا بدّ من أن يكون مونتولون كذب على حاكم الجزيرة اذ أخبره أنّ نابوليون يطلب احضار طبيب من فرنسا.

وفي أواسط فبراير (شباط) طرأ تحسُّن على صحة نابوليون قبل أن تنتكس فجأة. وسجل آنتومارشي الآتي: "سعال جاف، تقيؤ، سخونة في الامعاء يعسر احتمالها." والواقع أنّ تحليل الشعر أظهر سمية مرتفعة في تلك الاثناء. وفي مارس (آذار)، بعد إلحاح بيرتران ومونتولون وآنتومارشي، تناول الامبراطور عقاراً مقيئاً للتغلّب على تلك الأعراض.

وكان الأطباء في ذلك العهد يصفون المقيىء على أنه الخلاص الوحيد من أمراض لا سبيل آخر الى طردها. وكان ملح الطرطر الشائع مركباً من عناصر يؤدي اجتماعها الى التهاب الغشاء المخاطي، وأحياناً يملع عملية التقيؤ التي تنجزها المعدة تلقائياً لطرد السموم.

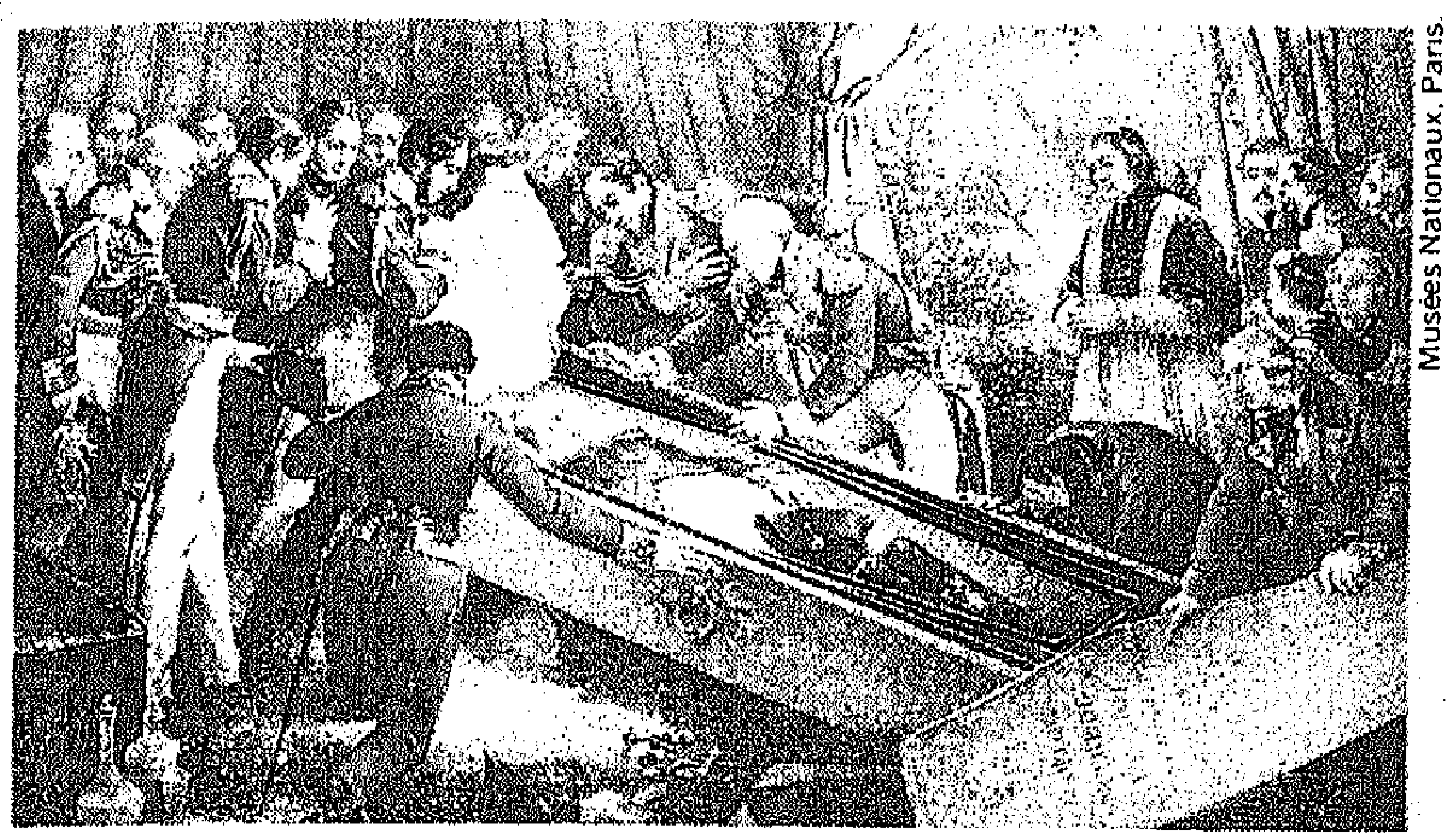
وقد فحص هاملتون سميث بعض الشعر الذي قُصّ من رأس نابوليون عقب الوفاة، فوجد ارتفاعاً في كمية الحمض المذكور.

وفي أواخر ابريل (نيسان) قرّر نابوليون وقف شراب السوس لتناول شراب اللوز غير الكحولي. وهذا شراب يتمّ بنقع اللوز الحلو، مع اضافة بعض اللوز المرّ للنكهة. ولولا اللوز المرّ لكان الشراب المذكور غير مؤذ. لكن اضافة هذا العنصر إليه، فضلا عن زئبق الكالوميل، تحوّله سماً ناقعاً.

في تلك الأثناء تحسّنت حال نابوليون قليلا، فراح يضع اللمسات الأخيرة على وصيته. وفي وقت لاحق من الشهر أرسل إليه الحاكم صندوقاً من اللوز المرّ. وغدا شراب اللوز الذي كان يتناوله آنذاك سماً زعافاً.

وفي ٣ مايو (أيار) أرسل هدسون لو طبيبين إنكليزيّين لفحص نابوليون. ووصفا له الكالوميل من غير أن يرياه، اذ لم يسمح لهما مونتولون بذلك. واعترض آنتومارشي على الوصفة بحجة أنها ترهق المريض من غير أن تأتي خيراً. لكن بت الأمر كان في يد مونتولون الذي أيد رأي الطبيبين الانكليزيين. وهكذا أُعطي الدواء.

وكان الكالوميل بمثابة العقار السحري آنذاك. فالاطباء كانوا يصفونه، فضلا عن الملح المقيىء، لعلاج أي مرض لا يمكن التصدي له بالطرق الاخرى، خصوصاً امساك المعدة. والكالوميل، في ذاته، لا يؤذي. لكن امتزاجه بشراب اللوز الذي كان نابوليون يتناوله، مع ما ينطوي عليه من لوز مرّ، يسفر عن أوخم العواقب. فاللوز المرّ يحتوي



نبش تابوت نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة.

على الحمض الهيدروسيانوجيني الذي يستخرج السيانيد الزئبقي السام من الزئبق الكامن في الكالوميل. وسرعان ما تفقد الضحية الوعي بعد تناول هذا الخليط الفتاك. ثم تُشل العضلات الارادية، وتفقد الضحية البصر والسمع.

وربما تدخلت معدة الضحية لحمايتها من التسمم اذا لفظت المادة السمية عبر التقيؤ. غير أن الافراط في تناول الملح المقيىء يمنع هذا الامر ويؤدي، معظم الاحيان، الى الوفاة.

أما كمية الكالوميل التي أُعطيت لنابوليون، وهي عشر حبات، فيمكن وصفها بالعمل البطولي أو العمل الجنوني. والشائع ذلك الوقت أن يُعطى المريض حبة او اثنتين على مراحل. وعلى أثر تلك الجرعة انهار نابوليون كلياً ولم يتمكن من مبارحة فراشه. واستحال برازه أسود، وهذه علامة على تلف المعدة ونزفها. وبعد يومين، في الخامس من مايو (أيار)، توفي في تمام الخامسة والدقيقة التاسعة والاربعين عصراً.

شهادة نابوليون

وقف ستين فورشوفود وحيداً فوق ضريح نابوليون الخالي، حيث كان الصمت رائناً على الوادي الذي بقيت فيه جثة الامبراطور المسممة ١٩ سنة. وكان الضريح لوحاً حجرياً خالياً من الكتابة، يحيط به سياج معدني بسيط. وكان فورشوفود الزائر الوحيد ذلك اليوم من يونيو (حزيران) ١٩٧٤.

وهو وصل الى جزيرة القديسة هيلانة قبل اسبوع، وينتظر أن يغادر في اليوم التالي. ولم تكن الرحلة سهلة على الاطلاق. ذلك أن بلوغ الجزيرة اليوم أعسر منه في أيام نابوليون. فقد فقدت الجزيرة وظيفتها المميزة كنقطة استراحة للسفن المتجهة شرقاً، بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩. وسكانها

اليوم يتقاضون تعويضات مادية كبيرة من الحكومة البريطانية. ولخلوها من أي مطار، فالطريقة الوحيدة لبلوغها هي سفينة شحن بريطانية في طريقها بين ميناء بريستول الانكليزي وميناء كيب تاون في جنوب افريقيا.

وفيما وقف فورشوفود يحدق الى اللوح الحجري، اتجهت أفكاره الى اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٤٠، الشهر الذي كانت جثة نابوليون البرهان الاخير لحقيقة موته مسموماً. وفي وقت سابق من تلك السنة، كان الملك لوي فيليب وافق، بضغط من الحركة البونابرتية الناهضة في فرنسا، على تنفيذ رغبة نابوليون في نقل رفاته ليستريح على ضفاف السين. ودعي جميع رفقاء المنفى الى تشييع جثمان سيدهم الى مثواه الاخير.

وقبل معظمهم الدعوة، وذهبوا الى جزيرة القديسة هيلانة. وكان بيرتران، وقد وخطه الشيب ونهكته سنوه السبع والستون، هناك مع أحد أبنائه. وأرسل لاس كازس ابنه ايمانويل لتمثيله بعدما أصيب بالعمى وبلغ الثمانين. وجرى هناك نقاش بين غورغو الذي لم يفقد شيئاً من حدة طبعه، وايمانويل عوضاً عن أبيه؛ وفي ذلك الوقت كان مارشان في منتصف عمره وقد غدا في عداد الطبقة البورجوازية وجمع ثروة من وصية نابوليون. وهو كان هناك أيضاً مع معاونيه السابقين سان دوني ونوفيراز. أما الطبيبان اوميرا وآنتومارشي فماتا قبل ذلك الوقت.

ولم يكن مونتولون هناك، بل في السجن. فبعد عودته من المنفى بقيت حياة مونتولون مثاراً للاستفهام. وكان جمع ما يربو على المليون فرنك بفضل وصية نابوليون، وهو مبلغ طائل بدده كله قبل العام ١٨٢٩. وما برح ينضم الى الجيش ثم يخرج منه وهو أبداً على الاطراف، لا ينتمي قلبياً الى مكان. وعُرف أن مقابلة سرية تمت عام ١٨٢٧ بينه وبين الملك شارل العاشر (الكونت دارتوا سابقاً). والملك لم يكافىء مونتولون علناً. فالحكومات لا تكافىء اجراءها الذين تكل إليهم تنفيذ أعمالها الحقيرة.

وفي العام ١٨٤٠ لاذ مونتولون بالأمير لوي نابوليون الذي غدا لاحقاً نابوليون الثالث. وفي اغسطس (آب) من ذلك العام، قاد مونتولون حملة طائشة انطلقت من انكلترا لاطاحة الحكم الفرنسي لمصلحة سيده الجديد. لكن الجيش الفرنسي الذي بلغته أخبار المحاولة أرسل قوة الى بلدة بولون على الساحل الفرنسي المقابل لانكلترا، وقفت للآتين بالمرصاد. وما أن نزلوا على الشاطىء حتى قبضت عليهم جميعاً. وحكم على مونتولون بالسجن عشرين سنة، أمضى ستاً منها في الأسر ثم أطلق ليموت بعد ١٣ سنة من غير أن يترك أي اعتراف كتابي بجرمه الكبير.

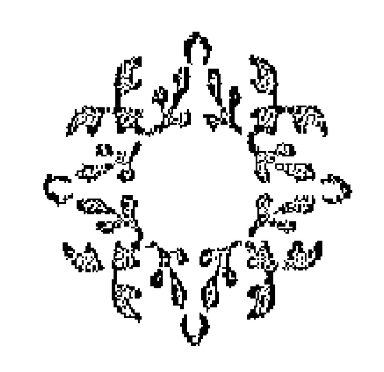
ويقول فورشوفود إن غياب مونتولون عن الاحتفال الذي أقيم في جزيرة القديسة هيلانة عشية نقل الرفات كان من حسن حظه. وتجدر الاشارة الى أن جثمان نابوليون لم يحنط، لكنه وضع بعد تشريحه ضمن نعوش أربعة، بينها نعشان

معدنيان. ووقف العمال يفتحونها واحداً بعد آخر. ولدى فتح النعش الأخير، توقع أعضاء الوفد أن يبصروا هيكلا عظمياً.

الا أن جثمان نابوليون كان محفوظاً بالتمام، وبدا صاحبه كأنه نائم. وفي تلك السنوات التسع عشرة، كان التغيير الذي طرأ على وجهه أقل كثيراً من ذاك الذي طرأ على وجوه الناظرين اليه. أما التفسير الذي أعطاه فورشوفود لتلك المعجزة الظاهرية فكان: الزرنيخ. ذلك أن الزرنيخ القاتل يحفظ أنسجة الجسم من التلف بعد الوفاة. والمتاحف تستخدمه لحفظ البقايا الأثرية لديها. وتحلل الجثة البشرية يتم ببطء شديد اذا كان صاحبها عرضة للتسمم البطيء المزمن بالزرنيخ.

والنتيجة الأخيرة التي استمدها فورشوفود كانت أن جثة نابوليون نفسها شهدت بصمت على جريمة قتله.

■ بن وايدر وديفيد هابفود



الامس واليوم

يقدر باحثو مختبرات "بل" الامريكية أن عدداً واحداً من صحيفة "نيويورك تايمس" يحوي من المعلومات أكثر مما كان يعرفه شخص من القرن السادس عشر طوال حياته.

"المختار العلمي"

حذار البطاريات المستعملة!

في فرنسا مؤسسة مختصة بالتخلص من النفايات واعادة استعمالها اذا أمكن. وقد حذرت هذه المؤسسة أخيراً من الأخطار الناجمة عن رمي البطاريات الصغيرة التي تستخدم في آلات التصوير وساعات اليد والادوات السمعية وسواها من الآلات الصغيرة. وكل من هذه البطاريات يحوي مقدار غرام على الأقل من الزئبق، مما يعني أن البطاريات الصغيرة التي تختلط سنوياً بالتراب في فرنسا ـ وعددها عشرة ملايين ـ تخلف عشرة أطنان من الزئبق في الارض. ولا يلبث هذا المعدن أن يتسرب من البطارية المستعملة بفعل التأكسد، ويختلط بالماء ويتحول عن طريق البكتيريا الى مثيل الزئبق، وهي مادة يظن أنها تؤدي الى داء "ميناماتا" الخطير.

وقد باشرت المؤسسة المذكورة تنبيه المعنيين الى خطورة هذا الأمر، وتزويد المحلات التي تبيع آلات التصوير والساعات وأدوات السمع بعلب تتسع الواحدة منها لستمئة بطارية مستعملة، على أمل ارجاعها الى المؤسسة لاعادة استخدامها. كما بوشرت حملة مماثلة بالنسبة الى موازين الحرارة، علماً أن خمسة ملايين منها تتكسر سنوياً في مستشفيات فرنسا وترمى، بما فيها من زئبق، في سلال المهملات من دون غطاء.

صحيفة "لو فيغارو"، باريس

SUPER 23 JEWELS SERIES

5

فاخرة ومميّزة

نخبة النخبة ، مجموعة
سيكو "٥" الرجالية الممتازة ذات الـ ٢٣ حجرًا

فاخرة باحجارها الثلاثة والعشرين ودقة حركتها . مميزة بتصميمها الانيق وقيمتها الفريدة . تلك هي مجموعة سيكو "٥" الممتازة للرجل الذي يحسن الاختيار .

• أوتوماتيكية • ضد الماء • روزنامة باليوم والتاريخ
• مقاومة للصدمات • تصميم متفوق



